

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي

الجزء الثاني

ⓒ عبد المحسن محمد القاسم، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن محمد

الخطب المنبرية ج ٢/ عبد المحسن محمد القاسم ـ
ط ٢ ـ الرياض، ١٤٢٩هـ

٢٨١ ص: ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٤ ـ ٠٠٣٦ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

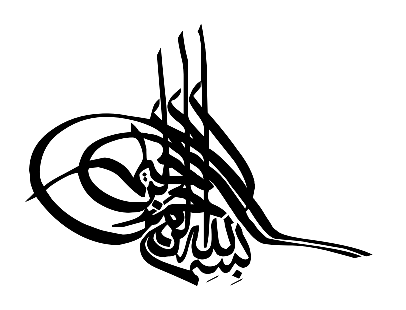
١ ـ الوعظ والإرشاد ٢ ـ خطبة الجمعة أ ـ العنوان

ديوي ٢١٣ ١١٨٧/ ١٤٢٩

رقم الإيداع: ١١٨٧/ ١٤٢٩
ردمك: ٤ ـ ٠٠٣٦ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٢٩ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

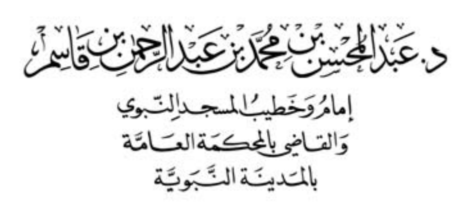
الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فهذه «**المجموعة الثانية**» من الخطب التي ألقيتها في المسجد النَّبوي الشريف.

أسأل الله أن ينفع بها، وأن يجعلها ذخراً لنا في الآخرة.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



التَّوحيد

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التقوى؛ فبالتَّقوى تستنير البصائر والقلوب، وتحط الخطايا والذُّنوب.

أيها المسلمون:

لقد مَنَّ الله علينا بدين موافق للفطر القويمة والعقول السَّليمة، صالح لكلِّ زمان ومكان، جامع بين العلم والعبادة، وبين القول والعمل والاعتقاد، لا يقبل الله من الخلائق ديناً سواه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥]، في هذا الدِّين كلمة من قالها صادقاً من قلبه وعمل بمقتضاها مبتغياً بذلك وجه الله دخل الجَنَّة بلا حساب ولا عذاب، لا إله إلا الله هي أطيب الكلام، وأفضل الأعمال، وأعلى شعب الإيمان، من قالها حقاً ارتقى إلى أرفع منازل الدِّين، والنُّطق بها لا يكفي للدخول في الإسلام أو البقاء عليه، بل يجب مع ذلك أن يكون المسلم عالماً بمعناها عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله معتقداً صحة ما تضمنته واقتضته، والمسلم صادق في

إيمانه وعقيدته، مستسلم لله في الحكم والأمر والشرع والقدر، لا ينزل حوائجه إلا بالله، ولا يطلب تفريج كروبه إلا منه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]. ودعاؤه وحده سبحانه عبادة جليلة من أفضل العبادات، قال ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**» (رواه أحمد)، ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أفضل العبادة الدعاء»، وإذا حلّت بك الحوادث والكروب، وأُغلقت في وجهك المسالك والدروب، نادِ العظيم فإنّ من سأله أعطاه، ومن لاذ به حماه، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام لابن عباس رضي الله عنهما: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**» (رواه البخاري).

ولا تستنكف عن سؤال ربك ما قلَّ من الأمور، يقول النَّبي ﷺ: «**سلوا الله كل شيء حتى الشِّسع إذا انقطع، فإنه إن لم ييسره الله لم يتيسر**» (رواه أبو يعلى). وأما الميت والغائب فإنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن نفع غيره، والميت محتاج إلى من يدعو له كما أمرنا النَّبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم وندعو لهم لا أن يستغاث بهم.

وربُّنا سبحانه متصف بالسمع والبصر، ومن القدح في ربوبيته والتنقص لألوهيته: أن تجعل بينك وبينه وسائط في الدُّعاء والمسألة وهو القائل: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ومما يناقض كلمة الإخلاص إراقة الدِّماء لغير الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

والطَّواف بالبيت العتيق عبادة متضمنة للذلِّ والخضوع لربِّ البيت ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، والطَّواف لغير الله من الأضرحة والقبور موجب للحرمان من الجَنَّة، والحلف بالله صدقاً في مواطن

الحاجة من تعظيم ربِّ العالمين، والحلف بغيره استخفاف بجناب الباري جلَّ وعلا، لذلك يقول النَّبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» (رواه الترمذي).

ومن اتخذ حروزاً لدفع العين عنه أو جلب النفع له؛ فقد دعا عليه المصطفى ﷺ بأن لا يحقق الله له مبتغاه، وبأن يصاب بضدِّ ما قصده، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من تعلَّق تميمة فلا أتمّ الله له**» (رواه أبو داود). وقد أمسك النَّبي ﷺ عن بيعة من علّق التمائم، يقول عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه: أقبل إلى الرسول ﷺ رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا قال: «**إنَّ عليه تميمة**» فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: «**من علَّق تميمة فقد أشرك**» (رواه أحمد).

فعند الشَّدائد والأحزان الجأ إلى الواحد الدَّيان فنعم المجيب هو، ومن تعلَّقت نفسه بالله وأنزل به حوائجه والتجأ إليه وفوّض أمره كله إليه كفاه كل سُؤْلِه، ويسّر له كل عسير، ومن تعلّق بغيره أو سكن إلى علمه وعقله وتمائمه، واعتمد على حوله وقوته، وكله الله إلى ذلك وخذله، قال في تيسير العزيز الحميد: «وهذا معروف بالنصوص والتَّجارب».

ومن معاول هدم الدين إتيان السَّحَرة والمشعوذين، وسؤال الكهَّان والعرَّافين، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]، وفي الحديث: «**من أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمَّد**» (رواه النسائي). ومن سأل السَّحَرة الكيد بالآخرين عاد وبال مكره عليه قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فَاطِر: ٤٣]، والظلمة لا تدفع بالظُّلمة، ودهماء السِّحر يدفع بنور القرآن لا بسحر مثله ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسرَاء: ٨٢]. فحافظ ـ أيها المسلم ـ على عقيدتك فهي أنفس ما تملك، وأعز ما تدَّخر، والشرك يطفيء نور الفطرة وهو سبب الشقاء، وتسلط الأعداء.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزّخرُف: ٤٣، ٤٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

فالرُّكن الثَّاني بعد الشهادتين الصَّلاة، وهي أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة، فلا تتهاون بها مع جماعة المسلمين، ولا تؤثر الكسل على طاعة ربِّ العالمين، ولا تزهد فيما أعدَّه الله للمحافظين عليها من جزيل الأعطيات، وعلى قدر صلة العبد بربِّه تنفتح له الخيرات، وتجنب الذُّنوب والأوزار فإنها تثقل عليك الطَّاعات.

وفي الدَّعوة إلى الله إعزاز لدين الله، واقتداء بالأنبياء والمرسلين، وهي أحسن القول وأكرمه، وتحسّس الداء وضع الدَّواء المناسب له، واعرف حال المدعوين وما يحتاجون إليه، وتحمَّل هَمَّ النَّاس ولا تُحَمِّل النَّاس همومك.

وأكثر من التوبة والاستغفار، فالعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية، وآية قبول الحسنة، إتباعُ الحسنةِ الحسنة، يقول قتادة ـ رحمه الله ـ: «إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذُّنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار». وهو سبب دخول الجنات، وزيادة القوة والمتاعِ

الحسن، ودفع البلاء، يقول أبو المنهال ـ رحمه الله ـ: «ما جاور عبد في قبره مِنْ جارٍ أَحبَّ من الاستغفار».

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

قوادح التَّوحيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فمن اتَّقى ربه نجا، ومن أعرض عن ذكره هوى.

أيها المسلمون:

سعادة العبد في كمال عبوديته لله، وتحقيق العبودية يكون بإخلاص العمل لله واتباع هدي النبي ﷺ، وإذا عمل العبد عملاً لم يكن فيه مخلصاً لله كان عمله هباء، قال الله تعالى ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفُرقان: ٢٣]، وإذا أخلص فيه لله ولم يكن متبعاً هدي النَّبي ﷺ كان العمل مردوداً عليه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» (رواه مسلم)، وإذا كان العمل خالصاً صواباً كان متقبلاً مشكوراً قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، والدين قائم على نفي وإثبات لا يصلح إسلام المرء إلا بهما؛ تبرؤ من الآلهة وأهلها، وإثبات العبودية لله وحده قال جلَّ وعلا ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ

﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عزَّ وجلَّ**» (متفق عليه)، وأعظم أمر في الإسلام الأمر بالتَّوحيد، وأعظم نهي فيه النَّهي عن ضده، سئل النَّبي ﷺ «**أيُّ الذَّنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وقد خلقك**» (متفق عليه)، ودعوة الرُّسل متفقة على الأمر بإفراد الله وحده بالعبادة، والتَّحذير من الشِّرك، أو الوقوع في حماه ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]. ومن لازم عبادة الله كما أمر جلَّ وعلا أَمِنَ في نفسه وماله وولده وداره، وأَمِنَ في قبره وفي يوم الحشر والحساب قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، والتَّوحيد الحقُّ ممحصٌ للذنوب، ماحقٌ للخطايا، مانعٌ من ولوج النَّار، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فإن الله حرَّم على النَّار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**» (متفق عليه)، ومن حقَّق التَّوحيد الواجب والمستحب دخل الجنَّة بغير حساب، وقد أخبر النَّبي ﷺ عن وصفهم بقوله: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**» (متفق عليه). فأفئدتهم متعلقة بالله وقلوبهم مفوضة أمورها لـه.

والشِّرك وباله وخيم، يحبط العمل ويسخط الربّ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥]، وقال ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النَّار**» (رواه البخاري)، بل إنه يوجب الخلود في النَّار كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[[النساء: ٤٨]، ولأن الشِّرك يوجب الهلاك في الدنيا والآخرة؛ دعا الخليل إبراهيم عليه السلام ربه أن يحفظه منه، قال سبحانه إخباراً عنه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال إبراهيم التيمي ـ رحمه الله ـ: «ومَنْ يأمن الشِّرك على نفسه بعد إبراهيم». وخير ما يدعو إليه الداعية كلمة التَّوحيد

وما تدل عليه، قال النَّبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب؛ فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**» (متفق عليه)، ومن دعا غير الله فقد ظلم نفسه ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يُونس: ١٠٦]، ومن جثا عند صنم أو خضع لقبر يرجو نفعه فقد طلب محالاً وحسب السَّراب ماءً ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

ودعاء الأموات وسؤالهم الحوائج نداء لا يُسمع، وكربات لا تُفرج قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]. والغلوّ في الأموات والصَّالحين سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم، وقد حذّر منه المصطفى عليه الصَّلاة والسَّلام بقوله: «**إيَّاكم والغلوّ في الدِّين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدِّين**» (رواه النسائي)، وشرُّ الخلق من عكف على القبور ودعاها من دون الله قال عليه الصَّلاة والسَّلام لأمِّ سلمة رضي الله عنها: «**أولئكِ إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئكِ شرار الخلق عند الله**» (متفق عليه).

والسِّحر يطفيء نور الإيمان ويهدم الإسلام ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البَقَرة: ١٠٢]، وإتيان الكهَّان فساد في الدِّين ونقص في العقل قال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النَّمل: ٦٥]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من أتى كاهناً أو عرَّافاً فسأله عن شيء فصدَّقه؛ فقد كفر بما أنزل على محمَّد**» (رواه أحمد).
والتَّمائم من الحِلَقِ والخيوط والأصداف ونحوها لا تزيد لابسها إلا وهناً وضعفاً في التَّوكل على الله «**رأى النَّبي ﷺ رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً،**

فإنك لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبداً» (رواه أحمد). ولبس التَّمائم شرك بالله قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من علَّق تميمة فقد أشرك**» (رواه أحمد)، ومن علَّق شيئاً وكله الله إلى ذلك المعلَّق فهلك، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من تعلَّق شيئاً وكل إليه**» (رواه أحمد والترمذي).

والأشجار والأحجار لا ترتجى البركة منهما، ولا بهما، وإنما هي من مخلوقات الله لا تضرُّ ولا تنفع. وإراقة الدماء بالقربان لا يكون إلا لله، ومن ذبح لغير الله وقع في أوحال الشِّرك قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غيَّر منار الأرض**» (رواه مسلم)، والنَّذر عبادة لا يصرف لغير الله قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيَه فلا يعصه**» (رواه البخاري)، ومن استعاذ بالله أعاذه، ومن لجأ إلى غيره خذله، يقول النَّبي ﷺ: «**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التَّامات من شرِّ ما خلق، لم يضرَّه شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**» (رواه مسلم).

وإذا حلت بك نوائب الدهر وكروب الزَّمان فلا تستغث بغير الله، ولا تدع غيره، ولا تخضع لميت في قبره، أو رفات في لحده، وارفع مبتغاك إلى من في السَّماء فهناك يجاب الدُّعاء ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، ولا مفر من الابتلاء ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[العَنكبوت: ٢]، وإذا أصابتك مصيبة فقابلها بالرِّضا والتَّسليم قال سبحانه: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] قال علقمة: «هو الرَّجُل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلّم»، ولا تسخط من المكتوب فالسخط لا يزيلها، واحذر الندم على قلة الحذر قبل وقوع القدر بكلمة لو، فإنها من الشَّيطان، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشَّيطان**» (رواه مسلم). ففوض أمورك إلى الله فلن يأتيك من

الدنيا إلا ما قسم لك منها ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه لابنه: «يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك».

والاعتماد على الأسباب بالقلب والجوارح قدح في التوحيد، وتعطيل السبب عجز، والواجب فعل الأسباب المباحة مع تعلق القلب بالله. وبالتوكل عليه سبحانه يتيسّر العسير، وتبسط الأرزاق، وتفرج الكروب، والأمن من مكر الله غرور ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، واليأس من روح الله قنوط قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، والجمع بين الرَّجاء والخوف مع المحبة سبيل الاعتدال.

والشِّرك له أبواب خفية يسعى الشَّيطان جاهداً أن يلج منها العباد قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أخوف ما أخاف عليكم الشِّرك الأصغر، فسئل عنه فقال: الرِّياء**» (رواه أحمد). والرِّياء داء العاملين، يفسد العمل ويغضب الربّ، وهو أخوف على الصَّالحين من المسيح الدَّجَّال قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟ قالوا: بلى، قال: الشِّرك الخفي، يقوم الرَّجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرَّجل إليه**» (رواه ابن ماجه).

والعمل الصالح يرتجى به ثواب الله وحده لا يراد به زخرف الدنيا، ومن صرف قلبه بعمله الصَّالح إلى زينة الحياة حبط عمله، وخسر في آخرته قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

ولا أحد أحبَّ عند المسلم من الله ولا أجلَّ في قلبه منه تعالى، فهو

العظيم في فؤاده، والكبير في نفسه، والصادق في محبته لا يحلف إلا به وحده، والحلف بغيره سبحانه كالكعبة والنَّبي والأمانة والولي، شرك في التَّوحيد قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» (رواه الترمذي)، والإكثار من الحلف منافٍ لتعظيم الله في الصدور، فاحفظ يمينك ولو في صدقك قال سبحانه: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المائدة: ٨٩]، واحذرها في كذبك فهي الغموس، ومن تعظيم الله الرِّضا بالحلف به ولو كان المستمع يعلم كذب الحالف قال النَّبي ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلِف لـه بالله فليرض، ومن لم يرض بالله فليس من الله**» (رواه ابن ماجه). ومن إجلال الله أن لا يردّ من سأل بالله قال ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه**» (رواه أبو داود). وذم الدَّهر وتقلب أحواله من حرٍّ أو قرٍّ أذية لربِّ العالمين، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قال الله عزَّ وجلَّ: يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدَّهر، وأنا الدَّهر بيدي الأمر، أقلِّب الليل والنهار**» (رواه البخاري).

ولأجل الدين قامت السَّموات والأرض، وأعدت الجَنَّة والنَّار، والسُّخرية بالدين أو بأحكامه أو أهله المتمسكين به تُخرج المرء من الإسلام قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التّوبَة: ٦٥، ٦٦]. ولا تظنّ بالله ظنّ السَّوء، من استحقاقك أكثر مما أُعطيت، أو تحتقر نعمة في يد غيرك منحها الله إياه، فذاك ظنّ الجاهلية، فكل ما في الكون بأمر الله وحكمته ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

والتَّصوير من كبائر الذُّنوب، صاحبه متوعد بالنَّار قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كل مصور في النَّار، يجعل لـه بكل صورة صوّرها نفس يعذّب بها في جهنَّم**» (متفق عليه)، واقدر ربك حقَّ قدره، فهو العظيم في ملكه، المستوي على عرشه، الحكيم في تشريعاته، فحافظ على ما افترضه الله

عليك من الصلوات المكتوبة في وقتها، وإياك والتفريط فيها فإنها عمود الدِّين، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصَّلاة، فمن تركها فقد كفر**» (رواه الترمذي) وكن متوجهاً إلى ربِّك في جميع أحوالك تصلح أعمالك.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فالدين أنفس ما تملك، فاحفظ دينك بالبعد عن الفتن، فإنها تأخذ بالقلوب وتجلب الشبهات والشرور، قال عليه الصلاة والسلام: «**ومن استشرف إليها** ـ أي: تطلع إليها ـ **أخذته**» (رواه البخاري). وغض البصر عن النساء المحرمات، زكاء للنفس وطاعة لله ورفعة في الدرجات، قال جلّ وعلا: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]. وحلية المرأة في سترها، وجمالها في حجابها، وزينتها بتمسكها بدينها، ونساء الصحابة مثال يحتذى بهن في الحجاب والستر والحياء، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وسماع الأغاني من المعاصي التي تظلم القلب وتصد عن سماع القرآن، قال ﷺ: «**ليأتين أقوام من أمتي يستحلون الحِرَ** ـ أي: الزِّنا ـ، **والحرير، والخمر، والمعازف**» (رواه البخاري)، وخير ما يسمعه العبد كلام رب العالمين، فيه النور والهدى والشفاء. والمال الحلال صلاح للدين، وقوة في البدن، وهداية للأولاد، وبركة في العطاء، وسبب في إجابة الدعاء،

واقتداء بالأنبياء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١]، والمال الحرام ممحوق البركة، كثير الضرر، صاحبه طويل الندم، مردود الدعاء.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

معرفة العبد ربه

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالنَّعيم في اتِّباع الهدى، والشقاء في موافقة الهوى.

أيها المسلمون:

خلق الله الخلق لتكون الطَّاعة له والتذلُّل إليه، وكمال السعادة في معرفة الله والإيمان به، ومعرفة العبد ربه هو الأصل الأول الذي يجب على الإنسان معرفته، وهو أول ما يُسأل عنه العبد في قبره، أوجد الله الخلق بعد عدم، وأغدق عليهم من النعم، وضمن لهم الرزق ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هُود: ٦]. أوجد العالمين بعد أن لم يكونوا شيئاً ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسَان: ١]، ربّ متفرد بالخلق والرزق والتدبير ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعرَاف: ٥٤]. متفرد بالوحدانية، متصف بالعظمة والجبروت، مقاليد الأمور كلها بيديه، قوي متين، قاهر فوق عباده، لا يرضى أن تصرف العبادة إلا له ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ

وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزُّمَر: ٧]، نصب في كل مخلوق آيةً دلالةً على وحدانيته، ليزداد تعلّق القلب بربه، آيتان تتعاقبان علينا تذكرنا بوحدانية الله، ليل يغشى ونهار يتجلى، يطلب كل منهما الآخر طلباً سريعاً ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعرَاف: ٥٤]، والشمس والقمر يجريان في مسار دقيق، أبهر ذوي العقول، هذه تشرق وذاك يُدبر، سيرٌ منتظم لا يتقدم ولا يتأخر ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يٓس: ٤٠]، أرض تُقِلُّنا وسماء تُظِلُّنا، لا غنى لنا عن أحدهما، خلق متقن وتدبير من بديع ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [لقمَان: ١١].

والمسلم يعتزُّ إذا كان عبداً لمدبر هذا الكون العظيم ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعَام: ١٦١]، لا يعبد إلا ربّ هذا الكون جلّ وعلا، ولا يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره، يلجأ إليه في الملمات، ويخاف منه وحده في العلانية والخفيات ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الأنعَام: ١٧]، فلا يخاف من ميت أن يضره بسوء أو يرجو منه إحساناً.

والفزع إلى الله وحده رجحان في العقل، وأمان في القلب، وطمأنينة على الروح، ومن خاف ربه لم يفزعه أحد بل هو ثابت القلب ساكن الجوارح، وأنعم بنفس لا تأنس إلا مع الله ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥]، يقول أبوسليمان الداراني ـ رحمه الله ـ: «ما فارق الخوف قلباً إلا خرب». وأقرب العباد إلى الله أخوفهم منه يقول النّبي ﷺ: «**إني أعلمكم بالله، وأشدكم له خشية**» (متفق عليه)، وهو من لوازم الإيمان وموجباته، ومن خاف ربه وحده فتحت له أبواب الجنان قال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: ٤٦]، قال أهل العلم: «لا يجمع الله على عبده بين خوفين، فمن خافه في الدُّنيا أمّنه يوم القيامة، ومن أَمِنه في الدُّنيا ولم يخف ربه أخافه في الآخرة»، فراقب ربك وخف من خالقك؛

تكن أسعد الخلق عند الله، ولا ترجُ من غير الله تحقيق مرغوب أو سلامة من مرهوب، من: زوال علة، أو شفاء سُقْم، أو طلب رزق، أو جلب عافية، وحقق رجاءك بالله دون سواه فالخلق مجبولون على الضعف، عاجزون عن جلب النفع لأنفسهم ودفع الضر عنهم، وهم أعجز عن ذلك لغيرهم، وما رجا أحد مخلوقاً إلا خاب ظنه فيه، فلا تعلق أطماعك وأملك بغير الله، فلن تجني سوى العدم وذُلّ المسألة، وارج كرم الله وعطاءه وجزيل مننه، فرجاء ما عند الله تعبُّد، وفي ذُلِّ القلب لله عزة النَّفس ورفع الدَّرجات وتحقيق المأمول.

وراحة النَّفس في تفويض أمرها لخالقها، ويزداد تعلقها ببارئها إذا تذكرت أن الربَّ عليم بحالها، رحيم بأمرها، قدير على كشف ضرها، ولِمَ التعلّق بمخلوق عاجز عن كشف الضرِّ قتورٍ في العطاء؟! وربك كافيك جميع أمورك، وهو متوليها إن ألقيت إليه حاجاتك وسلَّمت إليه مقاليد أمورك ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطّلاق: ٣].

والسَّعيد هو الراغب في رحمة الله، الراهب من عذابه، الخاضع المتذلل في عبادته لمولاه، وتلك المحامد السَّنية اتصفت بها بيوت الأنبياء، قال سبحانه عن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، والرسل سبّاقون إلى الرغبة فيما عند الله، قال سبحانه لنبيه محمَّد ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٨]، وهي تنحسر عن العبد على قدر ذنوبه، وتزيد بزيادة إيمانه قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «إذا أراد الله بعبده خيراً، وفَّقَه لاستفراغ وسعه وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق».

والخشية من المخلوق ذُل ومهانة، ومن خشي من خالقه عاش عزيزاً، وفي حياته سعيداً، وأنار بصيرته فكان متذكراً، قال سبحانه: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠]، واتعظ بالمواعظ والعبر قال جل وعلا:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٦]، وكان كتاب الله له سعادةً وذكرى ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٢، ٣]، وهي موجبة لمغفرة الله وجزيل نواله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]، فاجعل ربَّك بين ناظريك، ولا تأمن من مكره وحلول عقوبته، ولا تخش غير الله في قطع رزق أو تأخر شفاء أو حلول شقاء قال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠].

والعبد ضعيف بنفسه مفتقر إلى عون ربه القوي، وبالاستعانة به جلَّ وعلا تستغني عن الاستعانة بالخلق، ومن سعى في تحقيق مطلوب ولم يكن مستعيناً بالله مفتقراً إليه في حصوله، أُغلقت في وجهه الدُّروب وتعسرت أمامه المكاسب، يقول النَّبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**يا غلام: إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**» (رواه الترمذي). والاستعانة عليها مدار الدِّين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وبها أَمر الرُّسل أقوامهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ [الأعراف: ١٢٨]، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «الدِّين أن لا يعبد إلا الله، ولا يستعانَ إلا به»، وكمال غنى العبد في تعلقه بربه، ومن فضل الله على عباده أن من تعلق به أعانه، والرزق يتيسر بالطاعة والاستعانة، ويزداد بالتوكل والاستكانة، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

والحياة مليئة بالآفات والمكاره قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، ولكل مخلوق أعداء من الجن والإنس، وفي مقدمتهم إبليس ـ لعنه الله ـ، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، ولا غنى للعبد من الاحتماء بجناب الله، والاستعاذة به وحده، والاعتصام بحماه من الشرور، والربُّ متصف بالجبروت والعزة، من

اعتصم به لم ينله أذى أحد، وتخلف عنه الضرر ولو مع وجود السبب، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التَّامات من شر ما خلق، لم يضرَّه شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**» (رواه مسلم). قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلاً، فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات».

والمخلوق يتعرض للأذى، ولن تهنأ حياته إلا بالاعتصام بالله واللياذة به، فالضرر والنفع كله بيد الله، ومن سعى للإضرار بك لم يتحقق له مناه ما لم يشأ الله ذلك، قال النَّبي ﷺ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**» (رواه الترمذي). وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ بخالق الإصباح من شر جميع المخلوقات، ومن شر الغاسق والحاسد، والقادر على إزالة هذه الظلمة عن الكون، قادرٌ أن يرفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه، والمعتصم بالله المستعيذ به في كل شأن في حصن مكين من أهل الشرور والماكرين.

وربُّنا لا مفزع لنا في الشَّدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، والمستغيث بالله المستجير به يطرق أخص أنواع الدعاء، والاستغاثة بالربِّ العظيم مفزع الأنبياء والصالحين في الشدائد والمكائد، قال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وقال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]. ومن دعا الأموات فنداؤه لا يُسمع، وحاجاته لا تُرفع، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، فإذا حلَّت بك الخطوب، واشتدت بك الكروب، فاستغث بعلام الغيوب ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وإفراد الله بأفعال العباد نقاء في المعتقد، وسعادة تعمّ المجتمع، وطمأنينة في النفوس.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

أبواب السعادة والخير تفتح بتعلق القلب بالله، وتغلق أبواب الشرور بالتوبة والاستغفار، وعافية القلب في ترك الآثام، ونعيم الدنيا في انجذاب القلب إلى الله حباً له وخوفاً منه ورجاءَ فضله، فالخوف يبعدك عن معصية الله، والرجاء يدفعك إلى طاعته، ومحبته تسوقك إليه سوقاً. فاجعل أعمالك كلها خالصة لله، قائمة على أكمل الوجوه في الظاهر والباطن، مع اليقين بأن الله مطلع على السَّرائر والنيات، بصير عليم بالخفيات.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

أسماء الله الحسنى

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فمن اتقى ربه نجا، ومن أعرض عنه هوى.

أيها المسلمون:

العلم بالله أحد أركان الإيمان، بل هو أصلها وما بعده تبع له، ومعرفة أسماء الله وصفاته أفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصّلته النفوس، وأدركته العقول. قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «أطيب ما في الدُّنيا معرفته سبحانه ومحبته»، والقرآن كله يدعو النَّاس إلى النَّظر في أسماء الله وصفاته وأفعاله، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله، أكثرُ مما فيه من ذكر الأكل والشرب»، والله يحب من يحب ذكر صفاته، وقد بشّر النَّبي ﷺ الذي كان يقرأ سورة الإخلاص بأن الله يحبه لـمّا قال: إني لأحبها لأنها صفة الرَّحمن (رواه البخاري). وأسماؤه سبحانه أحسن الأسماء، وصفاته أكمل

الصفات ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وحقيق بكل مسلم معرفتها، وفهم معانيها.

فربُّنا تعالى هو **الرَّحمن الرَّحيم**؛ وسعت رحمته كل شيء، ورحمته أوسع صفاته «**خلق مائة رحمة، وأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة، بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**» (متفق عليه)، وما من أحد إلا وهو يتقلب في رحمة الله، وكل نعمة تراها هي من رحمته، وكل نقمة صرفت فهي من آثار رحمته، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وكان هذا الكتاب ـ أي: إنَّ رحمتي سبقت غضبي ـ كالعهد من الله سبحانه للخلق، ولولاه لكان للخلق شأن آخر»، ومن كان قريباً من الله كانت رحمة الله أولى به.

وهو سبحانه **الملك**: المتصرف بخلقه كما يشاء، لا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا بعلمه وإرداته، يأمر وينهى، يعز ويذل بلا ممانعة ولا مدافعة، لا يعجزه فيهما شيء، ففوض إلى المَلِك أمورك، فبيده المقاليد، وتوكل عليه في جميع أحوالك تجده قريباً.

وهو **القدوس**: المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال، فلا إله معه يدعى، ولا ولي معه ينادى.

وهو **السَّلام**: السَّالم من جميع العيوب وخلل الأوصاف، جميع المخلوقات تنزه ربنا من ذلك، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور: ٤١]. وهو جلَّ وعلا **المؤمن**: خَلْقه آمنون من أن يظلمهم أو يْبَخسَهم حقهم، فتزوّد من التقوى؛ فالأعمال محفوظة مضاعفة. وهو **المهيمن** على خلقه، مطلع على خفاياهم وخبايا صدورهم، فلا تأمن مكر الله إن عصيته. وهو **الشَّهيد** على أقوال وأفعال عباده ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]. هو **العزيز**: لا يُغْلب، عزّ كل شيء فقهره، ذلّت

الصعاب لعزته، ولانت الشَّدائد لقوته، إذا قضى الأمر في السَّماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، من دنا منه بالطاعة عزّ، قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠]، ومن بارزه بالمعصية ذلّ، فلا تنظر إلى المعصية وانظر إلى من عصيت.

وهو **العليّ الأعلى** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]. هو **الجبّار**: جبر خلقه على ما يريد لا يمتنع منهم أحد ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يٓس: ٨٢]، قال للسماء وللأرض: ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا: أتينا طائعين، وهو سبحانه جابر قلوب المنكسرين. هو **الكبير**؛ كل شيء دونه، ولا شيء أعظم ولا أكبر منه، الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسَّموات مطويات بيمينه «**يجعل السَّموات على أصبع، والأرض على أصبع، والجبال والشَّجر على أصبع، والماء والثَّرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع**» (متفق عليه).

هو **المتكبر** وحده، ولا يليق الكبر إلا به، ومن تكبر من خلقه فمأواه سقر، قال جل وعلا: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]، والعبد واجب عليه التذلل والخضوع لربه، والتواضع لعباده. وهو **الخالق**؛ أوجد الكون وأبدعه، فأبهر من تأمّله، خلّاق أتقن ما خلق، فتبارك الله أحسن الخالقين. هو **الباريء**؛ برأ الخلق من عدم، نجوم وشمس وقمر، وخلق في الأفق ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، أدهشت من تفكر فيها وتذكّر.

وهو **المصوّر**؛ صور خلقه على صفات مختلفة، وهيئات متباينة كيف شاء ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ﴾ [النور: ٤٥]، وخلق الإنسان في أحسن صورة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. هو المصور، وحرّم التصوير على خلقه، وتوعّد المصورين من خلقه ولعنهم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لعن الله المصور**» (رواه البخاري)، وقال: «**كل مصوِّر في النَّار**» (متفق عليه).

وهو **الغفور**؛ يمحو ذنوب من أناب إليه من عباده. وإن تناهت خطاياه، غفر لسحرة فرعون كفرهم وسحرهم ومبارزتهم لنبيهم، بسجدة واحدة لله مقرونة بتوبة ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]. وهو **القهّار**؛ الخلق تحت قهره وقبضته، ينزع روح من شاء متى شاء، لا يقع في الكون أمر إلا بمشيئته ولو سعى العبد إلى تحقيقه. وهو **الفتّاح**؛ يفتح أبواب الرزق والرحمة وأسبابها لعباده، ويفتح عليهم المنغلق من أمورهم وأحوالهم.

وهو **الرّزاق**؛ يرزق العبد من السَّماء والأرض ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [سبأ: ٢٤]، عمَّ برزقه كل شيء فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، رزق الأجنّة في بطون الأمهات، ورزق السباع في القفار، والطيور في أعالي الأوكار، والحيتان في قعر البحار. وهو **الوهّاب**؛ يعطي من أراد ما شاء، بيده خزائن السَّموات والأرض، وهب ذرية طيبة لأنبياءَ بعد بلوغهم عتياً من الكِبَر، وسأل سليمان عليه السلام ربه الوهاب ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فوهبه آيات وعبراً من العطاء، ريح وجن وعين قِطْرٍ مسخراتٍ بأمره.

هو **العليم**؛ يعلم السرائر والخفيات، لا يخفى عليه قول ولا فعل مما يجترحه العباد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]. هو **السَّميع**، يسمع النجوى وما أعلن، والسر وما أخفى، إن جهرت بقولك سمعه، وإن أسررت به لصاحبك سمعه، وإن أخفيته في نفسك علمه. هو **البصير**؛ يرى خوافي الأمور وإن دقّت، لا يعزب عنه مثقال ذرة وإن خفيت، يرى في ظُلَم الليل ما تحت الثرى، ويبصر قعر البحار في الدهماء. هو **الظَّاهر والباطن**؛ لا يخفى عليه دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظَّلماء، إن فعلت فعلاً ظاهراً رآك، وإن عملت باطناً ولو في جوف بيتك أبصرك ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، ومن علم أن الله مطلع عليه؛ استحى أن يراه على معصية.

هو **الحكيم**؛ لا يدخل في أحكامه ولا تشريعاته خلل ولا زلل، وليس لأحد أن يراجع أحكام الله أو ينتقصها أو يضعها للجدل، والله يحكم لا معقِّب لحكمه، بل الواجب التسليم والإذعان لها، والانقياد إليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، ولا يصلح لعباده سوى شرعه المطهَّر، ومن سخِر بدينه أو شرعه أذله الله. هو **اللَّطيف**؛ يلطف بعباده، يسوق الرزق إليهم وهم لا يشعرون. وهو **الخبير** بأمور العباد لا يخفى عليه شيء، مطَّلع على حقيقة كل أمر ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩]. وهو **الحليم** لا يعجل العقوبة على عباده بذنوبهم، ولا يحبس إنعامه وأفضاله عنهم بخطيئاتهم، يعصونه ويرزقهم، يذنبون ويمهلهم، يجاهرون ويستر عليهم، فلا تغْتر بحِلْم الله وكرمه عليك، فقد يبغتك العذاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] . وهو **العظيم**؛ إذا تكلم بالوحي أخذت السَّموات منه رجفة، أو رعدة شديدة خوفاً من الله، فإذا سمع ذلك أهل السَّموات صعقوا وخروا لله سجداً. وهو **الشَّكور**؛ يعطي الجزيل على اليسير من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، فلا تحقر أيّ عمل صالح وإن قلّ فالحسنة تتضاعف، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣] .

وهو **الحفيظ**؛ يحفظ أعمال العباد ويحصي أقوالهم ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]، ويحفظ عباده من المهالك والمعاطب، حفظ يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت في لجج البحار، وحفظ موسى عليه السلام وهو رضيع في اليمّ، فتوكل على الله في حفظ نفسك وأولادك، فلا تعاويذ شركية ولا تمائم ولا سحرة ولا كهان. وهو **القويّ**؛ لا يعجزه شيء، قوي في بطشه، قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ: «إذا بطش بشيء أهلكه»، أمر جبريل عليه السلام بقلب قرية عاتية بالفواحش قوم لوط فَعَلَا بها بطرف جناحه ثم قلبها بمن فيها وجعلها آية للاعتبار عبر القرون ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧ ـ ١٣٨]، ومن

تأمَّل قوة من عصى ترك ما عصى، وهو سبحانه **الشَّافي**؛ يشفي ويعافي من الأمراض والأسقام ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، والأدوية أسباب يجب أن لا يتعلق القلب بها. وهو **المنان**؛ يبدأ بالعطاء قبل السؤال. والله سبحانه هو **المحسن** غمر الخلق بإحسانه وفضله.

هو **الكريم**؛ يعطي ويجزل في العطاء، ليس بينه وبين خلقه حجاب، فاسأل وربك الأكرم، وإذا فتح الرزق على عبده لم يمنعه أحد، قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]. وهو **حيي** إذا سأله عبده عطاء، ورفع إليه يديه، يستحي أن يردهما صفراً. وهو **الرَّقيب**؛ لا يغفل عن خلقه ولا يضيعهم ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧] مطلع على ما أكنته ضمائرهم، قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «رحم الله عبداً وقف عند همِّه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر» فقف وقفة عند كل عمل فإن كان لله فتقدم، وإن كان لغيره فتأخر. وهو **الودود**؛ يتودد إلى عباده بالنعم وترك العصيان، ومن ترك شيئاً لأجله أعطاه المزيد. وهو **ذو محبة** لعباده الصَّالحين يحب التَّوابين منهم والمتوكلين والصابرين. وهو **المجيد**، ذو مجد ومدح وثناء كريم، لا مجد إلا مجده، وكل مجد لغيره إنما هو عطاء وتفضل منه سبحانه. وهو **الحميد**؛ مستحق للحمد والثناء بِفِعاله، يُحمد في السراء والضراء، وحمده من أجل الأعمال، قال ﷺ: «**والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السَّموات والأرض**» (رواه مسلم).

وهو سبحانه **الحي القيوم**؛ قائم بأمر جميع الخلائق ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. هو **أحد** لم يزل وحده، ولم يكن معه غيره، وتوحّد بجميع الكمالات لا يشاركه فيها مشارك. وهو **الصَّمد**؛ تصمد إليه الخلائق في حاجاتها، وتبثّ إليه شكواها، وتضع بين يديه ملمّاتها. وهو **السَّيد**؛ إليه الملجأ وحده عند الشدائد والكروب. وهو **القدير**؛ تام القدرة والنفوذ على كل شيء، قال لنارٍ محرقة: كوني برداً

وسلاماً على إبراهيم فكانت كما أمر، وأمر بحراً زاخراً بالأمواج أن يكون طريقاً يبساً لموسى ثم عاد بحراً على أكمل حال. هو **البَرُّ**؛ يحسن إلى عباده ويصلح أحوالهم، بَرٌّ بالمطيع في مضاعفة الثواب، وبَرٌّ بالمسيء في الصفح والتجاوز ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]. وهو **التواب**؛ لا يردُّ تائباً، من جاء إليه في ليل أو نهار قَبِله بل وأحبه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وهو **العفوُّ**؛ مهما أسرف العبد على نفسه بالعصيان ثم تاب عفى عن ذنوبه. وهو **الرؤوف** بجميع خلقه، يغدق عليهم الأرزاق وإن عصوه رأفةً منه بهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وهو **الغنيّ**؛ لا حاجة له إلى خلقه، يده ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، يقول النَّبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**» (رواه مسلم).

وبعد: أيها المسلمون:

فبأسمائه تعالى الحسنى يدعى، وبها وبصفاته العلى يثنى، والله يحب من يدعوه ويحمده، وأكمل النَّاس عبودية المُتعبِّد بجميع الأسماء والصفات، وأسماؤه لا حصر لها، منها تسعة وتسعون اسماً من أحصاها ـ بالعلم بمعناها والعمل بمقتضاها ـ دخل الجَنَّة.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

مفتاح دعوة الرسل وخلاصة رسالتهم معرفة المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلا؛ يستلزم إجلاله، وإعظامه، وخشيته، ومهابته، ومحبته، ورجاءه، والتوكل عليه، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه، وعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب في القلب، وأعرف النَّاس به أشدهم لـه تعظيماً وإجلالاً، ومن عرف أسماء الله وصفاته عَلِم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها من ضروب المصالح التي لا يحصيها علمه، والله يحب موجب أسمائه وصفاته، فهو كريم يحب الكريم من عباده، حليم يحب أهل الحلم، عليم يحب العلماء، شكور يحب الشاكرين.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

الإخـلاص

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالعزُّ في طاعة المولى، والذلُّ في اتّباع الهوى.

أيها المسلمون:

القلوب لا تطمئن إلا بالله، وغنى العبد بطاعة ربه والإقبال عليه. ودين الحق هو تحقيق العبودية لله، وكثيراً ما يُخالط النُّفوسَ من الشهوات الخفية ما يفسد تحقيق عبوديتها لله. وإخلاصُ الأعمال لله أصل الدين، وبذلك أمر الله رسوله في قوله: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ٢]، وأُمر النَّبي ﷺ أن يبين أن عبادته قائمةٌ على الإخلاص فقال: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ١١]، وبذلك أُمرت جميع الأمم قال جــل وعـــلا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البَيِّنَة: ٥]، وأحقُّ النَّاس بشفاعة النَّبي ﷺ يوم القيامة من كان أخلصهم لله، قال أبو هريرة رضي الله عنه: مَنْ أسعد النَّاس

بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**» (رواه البخاري). والإخلاص مانع بإذن الله من تسلُّط الشَّيطان على العبد، قال سبحانه عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [صٓ: ٨٢، ٨٣]. والمخلص محفوظ بحفظ الله من العصيان والمكاره، قال سبحانه عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يُوسُف: ٢٤]. به رفعة الدَّرجات، وطرق أبواب الخيرات، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنك لن تُخَلَّف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة**» (متفق عليه).

وإذا قوي الإخلاص لله علت منزلة العبد عند ربه، يقول أبو بكر المزني ـ رحمه الله ـ: «ما سبقنا أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه بكثير صلاة ولا صيام، ولكنه الإيمانُ وقر في قلبه، والنصح لخلقه»، وهو سبب لتفريج الكروب، ولم يُنج ذا النُّون سوى إخلاصه لمعبوده ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

المخلص لربِّه مُجاب الدَّعوة، يقول النَّبي ﷺ: «**انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسَدَّت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم** ـ فقال: كل واحد منهم متوسلاً إلى الله بصالح عمله وإخلاصه ـ **اللَّهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنَّا ما نحن فيه من هذه الصَّخرة، فانفرجت فخرجوا يمشون**» (متفق عليه). بتجريد الإخلاص تزول أحقاد القلوب، وضغائنُ الصُّدور، يقول النَّبي ﷺ: «**ثلاث لا يَغِلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين**» (رواه أحمد). والإخلاص شرط في قبول توبة المنافق قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: ١٤٥، ١٤٦].

في الإخلاص طمأنينة القلب، وشعور بالسعادة، وراحة من ذل الخلق، يقول الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: «من عرف النَّاس استراح» ـ أي: أنهم لا ينفعونه ولا يضرونه ـ، وكل عمل لم يقصد به وجه الله طاقة مهدرة، وسراب يضمحل، وصاحبه لا للدنيا جمع، ولا للآخرة ارتفع، يقول النَّبي ﷺ: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتُغِي به وجهُه**» (رواه أبو داود والنسائي). وإخلاص العمل لله، وخلوص النية له وصوابه، أصل في قبول الطاعات، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لا ينفع قول وعمل إلا بنية، ولا ينفع قول وعمل ونية، إلا بما وافق السُّنة».

والإخلاص أن تكون نيتك لله، لا تريد غير الله لا سمعة ولا رياءً، ولا رفعة عند أحد ولا تزلفاً، ولا تترقب من النَّاس مدحاً، ولا تخشى منهم قدحاً. والله سبحانه غني حميد لا يرضى أن يُشرك العبد معه غيره، فإن أبى العبد إلا ذلك ردّ الله عليه عمله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام في الحديث القدسي: «**قال الله عزَّ وجلَّ: أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه**» (رواه مسلم).

أيها المسلمون:

العمل الصَّالح وإن كان كثيراً مع فساد النية يورد صاحبه المهالك، فقد أخبر الله جلَّ وعلا عن المنافقين أنهم يصلون وينفقون ويقاتلون، وأخبر النَّبي ﷺ عنهم أنهم يتلون كتاب الله في قوله: «**ومثل المنافق الَّذي يقرأ القرآن كالرَّيحانة، ريحها طيب، وطعمها مرّ**» (متفق عليه)، ولفقد صدقهم في إخلاصهم قال الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النِّساء: ١٤٥]، وأول من تسعَّر بهم النَّار، قاريءُ القرآن والمجاهد والمتصدق بماله، الذين لم تكن أعمالهم خالصة لله، وإنما فعلوا ذلك ليُقال: فلان قاريء، وفلان شجاع، وفلان متصدق.

والعمل وإن كان يسيراً يتضاعف بحسن النِّيَّة والصِّدق والإخلاص،

ويكون سبباً في دخول الجنات، يقول النَّبي ﷺ: «**مرَّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأُنحِّين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم؛ فأدخل الجَنَّة**» (رواه مسلم)، «**وامرأة بَغيٌّ رأت كلباً يطيف بركية كاد يقتله العطش، فسقته بموقها ماء، فغفر الله لها**» (متفق عليه). يقول عبدالله بن المبارك ـ رحمه الله ـ: «رُبَّ عملٍ صغير تعظمه النِّية، ورُبَّ عملٍ كبير تصغره النِّيَّة». قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧١]: «أي: بحسب إخلاصه في عمله». والواجب على العبد كثرة الصَّالحات مع إخلاص النِّيات. فكن سبّاقاً لكل عمل صالح، ولا تحقرنَّ أي عمل تخلص نيتك فيه، فلا تعلم أي عمل يكون سبباً لدخولك الجنات، ولا تستخفنَّ بأي معصية فقد تكون سبباً في دخولك النَّار كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**دخلت امرأة النَّار في هرّة حبستها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**» (متفق عليه).

والله جلَّ وعلا متصف بالحمد والكرم، وإذا أحسن العبد القصد ولم تتهيأ له أسباب العمل فإنه يؤجر على تلك النية وإن لم يعمل كرماً من الله وفضلاً، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من سأل الله الشَّهادة بصدقٍ، بلَّغه الله منازل الشُّهداء وإن مات على فراشه**» (رواه مسلم)، ويقول النَّبي ﷺ عن الرجل الذي لا مال عنده وينوي الصدقة: «**لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته**» (رواه الترمذي). بل إن من همَّ بعمل صالح يُؤجر عليه وإن تخلف العمل، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من همّ بحسنة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة**» (متفق عليه).

والمسلم يجعل نيته صادقة في كل خير، يقول عمر رضي الله عنه: «أفضل الأعمال صدق النية فيما عند الله، فإن صدَّق العمل النية فذاك، وإن حيل بين العمل والنية فلك ما نويت»، ومن سره أن يكمل له عمله فليحسن النية، فإن الله يأجر العبد إذا حسُنت نيته حتى بإطعام زوجته.

أيها المسلمون:

إذا قوي الإخلاص وعظمت النية وأُخفي العمل الصالح مما يشرع فيه الإخفاء؛ قرب العبد من ربه؛ وأظلَّه تحت ظلِّ عرشه، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**سبعة يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه** ـ وذكر منهم ـ: «**ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**» (رواه البخاري). وكلما أخفي العمل كان أقرب إلى الإخلاص، قال جلَّ وعلا: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٧١]، يقول بشر بن الحارث ـ رحمه الله ـ: «لا تعمل لتذكر، اكتم الحسنة كما تكتم السيئة»، وفُضِّلت نافلة صلاة الليل على نافلة النهار، واستغفار السحر على غيره؛ لأنَّ ذلك أبلغ في الإسرار، وأقرب إلى الإخلاص. وعلى العبد الصَّبر عن نقل الطاعة من ديوان السِّر إلى ديوان العلانية، وإذا أخلصت في العمل ثم أثنى عليك الخلق وأنت غير متطلع إلى مدحهم فليس هذا من الرِّياء، إنما الرِّياء أنْ تزيِّن عملك من أجلهم، سئل النَّبي ﷺ عن الرَّجل يعمل العمل من الخير يحمده النَّاس عليه فقال ﷺ: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**» (رواه مسلم). ومن كان يعمل صالحاً ثم اطلع الخلق على عمله فأحجم عن الاستمرار في تلك الطاعة ظناً منه أن فعله بحضرتهم رياء فذلك من حبائل الشَّيطان، فامض على فعلك يقول الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: «ترك العمل من أجل النَّاس رياء، والعمل من أجل النَّاس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما».

وبعض النَّاس يظنّ أن الإخلاص مقصور على الصَّلاة والصَّدقة والحجِّ دون غيرها من الأوامر، ومِنْ رحمة الله ورأفته بعباده: أن الإخلاص يستصحب في جميع العبادات والمعاملات وغيرها، ليثاب العبد على جميع حركاته وسكناته، فزيارة الجار وصلة الرَّحم وبر الوالدين هي مع الإخلاص عبادة. وفي جانب المعاملات من الصدق في البيع

والشراء، وحسن عشرة الزَّوجة، والاحتساب في إحسان تربية الأبناء، كل ذلك مع الإخلاص يجازى عليه بالإحسان، يقول النَّبي ﷺ: «**ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا أجرت عليها، حتى اللّقمة تضعها في فيّ امرأتك**» (متفق عليه). قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «من عبد الله وأحسن إلى النَّاس، فهذا قائم بحقوق الله وحق عباد الله في إخلاص الدين له، ومن طلب من العباد العوض، ثناء، أو دعاء، أو غير ذلك لم يكن محسناً إليهم لله».

أيها المسلمون:

الإخلاص عزيز، والنَّاس يتفاضلون فيه تفاضلاً كبيراً، ولدفع عوارضه من آفة الرياء والعجب بالعمل؛ الجأ إلى الله دوماً بالدعاء أن تكون من عباده المخلصين، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرَّحمن يقلبها كيف يشاء، وكان أكثر دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً».

وأكثر من مطالعة أخبار أهل الصِّدق والإخلاص، واقرأ سير الصَّالحين الأسلاف، واحتقر كل عمل صالح تقدمه، وكن خائفاً من عدم قبوله أو حبوطه، فليس الشأن الإتيان بالطاعة فحسب، إنما الشَّأن في حفظها مما يبطلها، ومِنْ حفظ العمل: عدم العُجب وعدم الفخر به، فازهد في المدح والثناء، فليس أحد ينفع مدحُه ويضر ذمه إلا الله، والموفق من لا يتأثر بثناء النَّاس، وإذا سمع ثناء لم يزده ذلك إلا تواضعاً وخشية من الله، وأيقن أن مدح النَّاس لك فتنة، فادع ربك أن ينجيك من تلك الفتنة، واستشعر عظمة الله وضعف المخلوقين وعجزَهم وفقرَهم، واستصحب دوماً أن النَّاس لا يملكون جنة ولا ناراً، وأنزل النَّاس منزلة أصحاب القبور في عدم جلب النفع لك ودفع الضر عنك، والنفوس تصلح بتذكر مصيرها، ومن أيقن أنه يوسد في اللَّحد فريداً أدرك أنه لن

ينفعه سوى إخلاصه لربه، وكان من دعاء السلف: «اللهم إنّا نسألك العمل الصَّالح وحفظه».

أيها المسلمون:

ثوب الرِّياء يشفّ ما تحته، يفسد الطاعة ويحبط الثَّواب، وهو من قبائح صفات أهل النفاق ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النِّساء: ١٤٢]، وهو من أشد الأبواب خفاء، وصفه ابن عباس رَضِيَ الله عَنْهُمَا بقوله: «أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل»، قال الطيبي ـ رحمه الله ـ: «وهو من أضر غوائل النَّفس وبواطن مكائدها، يبتلى به المشمّرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة»، والنَّبي ﷺ خافه على أمّته، وحذرهم منه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشِّرك الخفي، يقوم الرَّجُل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه**» (رواه أحمد). قال في تيسير العزيز الحميد: «الرِّياء أخوف على الصَّالحين من فتنة الدَّجَّال».

المرائي مضطرب القلب، مزعزع الفكر، لا يخلص في عبوديته ومعاملته، يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب الرفعة والمنزلة عند الخلق تارة. المرائي يفضحه الله، ويهتك ستره، ويظهر خباياه، ضاعت آماله، وخاب سعيه، وعومل بنقيض قصده، يقول النَّبي ﷺ: «**من يسمِّع يسمِّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**» (رواه مسلم). وإن أخفى المرائي كوامن نفسه وخفايا صدره أظهرها الله، يقول النَّبي ﷺ: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**» (متفق عليه). فاخش على أعمالك من الخسران، فالميزان يوم الحشر بمثاقيل الذر، والمنُّ والأذى يبطل البذل، والرِّياء يحبط العمل، وإرادة الدنيا وثناء الخلق متوعد فاعله بدخول النَّار.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

لا أنفع للقلب من تجريد الإخلاص، ولا أضر عليه من عدمه، وكلما قوي إخلاص الدين لله كملت العبودية، ومن عرف النَّاس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله، وكلما صحت العزيمة وعظمت الهمّة طلب الإنسان معالي الأمور، ولم يلتفت إلى غير الله، ولم ينظر إلى ما سواه، وليس من الرُّشْد طلب الآخرة بالرِّياء، وإياك أن تطلب بعملك محمدة النَّاس، أو الطَّمع بما في أيديهم. والإخلاص يحتاج إلى مجاهدة قبل العمل وأثناءه وبعده، وآفة العبد رضاه عن نفسه، ومن نظر إلى نفسه بعين الرضا فقد أهلكها، وأمارة الإخلاص استواء المدح والذم.

والله يحب من عبده أن يجعل لسانه ناطقاً بالصدق، وقلبه مملوءاً بالإخلاص وجوارحه مشغولة بالطاعة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه...

الإنـابــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فمن اتَّقى ربه أكرمه بين الأنام؛ وأسعده مولاه على الدَّوام.

أيها المسلمون:

أفضل الخلق وأهداهم أتمّهم عبودية لله، وسرور القلب وانشراح الصدر في إنابة العبد إلى الله والإقبال عليه والاستعانة به. والرُّجوع إلى الله والإنابةُ إليه عبادة عظيمة من سنن الأنبياء والمرسلين، كما قال سبحانه عن داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [صٓ: ٢٤]، وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [صٓ: ٣٤]، وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وقال عن نبيِّنا محمَّد ﷺ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠]، وأثنى الله على خليله إبراهيم عليه السلام لاتصافه بالإنابة إليه والرُّجوع إليه في كل أمر، قال

سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]، ومن دعاء الخليل عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]، والمنيبون إلى الله هم خير من يصحبهم المرء في حياته، يقول سبحانه: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

والإنابة إلى الله سبحانه هي مفتاح السَّعادة والهداية قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرّعد: ٢٧]، والبشارة لأهل الإنابة ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ [الزُّمر: ١٧]، ولا يعتبر بالآيات ولا يتعظ بالعبر إلا المنيب إلى ربِّه، قال عزَّ وجل: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [قٓ: ٨]، وهو المتذكر بنزول النِّعم ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣].

والإنابة إلى الله مانعة من عذاب الله ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزُّمر: ٥٤]، والجَنَّة أُعدَّت نزلاً للقلب الخاشع المنيب، قال سبحانه: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [قٓ: ٣١، ٣٢]، وأمر الله جميع الخلق بالإنابة إليه والرُّجوع إليه، قال سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]، وقد جمع الله بينها وبين التَّوكُّل فقال: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرّعد: ٣٠]، ومنزلة التوكل قبل منزلة الإنابة، فالتَّوكُّل وسيلة وهي غاية، فالعبد يتوكل في حصولها، وحقيقتها الرُّجوع إلى الله، وهي منزلة أعلى من التَّوبة، فالتَّوبة إقلاعٌ عن الذَّنب وندمٌ على ما فات وعزمٌ على عدم العودة إليه، والإنابة تدل على ذلك وتدل على الإقبال على الله بالعبادات ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

ومن أكثر الرُّجوع إلى الله كان الله مفزعَه عند النوازل والبلايا والفواجع، وحقيق بالمرء أن ينيب إلى ربه وأن يحاسب نفسه على ما

سلف وعلى ما اقترف من عصيان، يقول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «إنَّ العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة همته». والمؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، له شأن وللناس شأن، واعمل بوصية النَّبي ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**» (رواه البخاري). ومن كانت الآخرة همّه؛ كانت همته في تحصيل الزاد الصالح، وإذا استيقظت القلوب استعدت للآخرة، قال بعض السلف: «ما نمت نوماً قط فحدثت نفسي أني أستيقظ منه». ومن اجتهد في محاسبة نفسه ولجمها عن العصيان نجا في الآخرة من الندامة والخسران.

أيها المسلمون:

حقٌّ على الحازم أن لا يغفل عن زلات نفسه وخطراتها وخطواتها، بل يقودها إلى ما يقربها إلى ربها، فالمحافظة على الصَّلوات جماعة في بيوت الله من شعائر الإيمان، والدعوة إلى الله تنير البصيرة، وبذكر الله تلين القلوب، قال سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، ومجالسة العلماء والصالحين وملازمة دروسهم من أسباب خشية الله ومراقبته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: ٢٨]، وبرُّ الوالدين مفتاح السَّعادة، وصلة الرَّحم بركة في الوقت والمال، والمال الحلال سبب في صلاح الأبناء وإجابة الدُّعاء، وقصر الأمل دافع للعمل، وتذكر الموت خير واعظ، وزيارة المقابر والتأمل في أحوال الموتى تذكير بالآخرة، والتطلع إلى سير السلف يهذب النَّفس ويحدوا للعمل، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ومن تأمَّل أحوال الصحابة وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن، وكان الصديق رضي الله عنه يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن، وكان إذا قام إلى الصَّلاة كأنه عود من خشية الله».

والرشيد من خاف على نفسه الوقوع في الزَّلل أو الإصرار على

الخلل، فالصُّحبة السَّيئة تورد المهالك، وإطلاق عنان البصر في المحرمات مما يشاهد في الفضائيات والطرقات يضعف زكاء النَّفس، وإهمالُ الأبِ إصلاحَ أهلِ بيته تفريطٌ في الأمانة، واتباع الهوى والشهوات يورث النَّدامة، وإطلاق اللِّسان بالكذب وفي أعراض المسلمين يُظلم القلب، وإشغال النَّفس بما لا يعنيها حرمان لها مما يرفع درجاتها، يقول إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ: «من علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه»، والتقصير في إنكار المنكر بالحكمة ضعف في النصح، ودواء السيئات كثرة الاستغفار، وترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة، واغتنم الأعمال الصالحة قبل أن يحول بينك وبينها حائل، يقول النَّبي ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحَّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**» (رواه الحاكم). والموفق هو المنيب إلى الله بالرجوع إليه من العصيان، المكثر من أنواع الطاعات والقربات.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عِمرَان: ٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

شهر الله المحرم من أعظم الشُّهور عند الله، نصر الله فيه موسى عليه السلام وقومه على فرعون وملائه. صيام أيامه فاضلة، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصَّلاة بعد الفريضة صلاة الليل**» (رواه مسلم)، ومِنْ شُكْر الله على نعمه: استفتاح العام بعمل من أفضل الأعمال الصالحة بصيام أفضل أيام غُرَّة العام يوم عاشوراء، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: قدم النَّبي ﷺ المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**» قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه، فقال النَّبي ﷺ: «**نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه**» (متفق عليه)، وصيامه كفارة لخطايا عام قبله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أحتسب على الله أن يكفّر السَّنة التي قبله**» (رواه مسلم)، فيستحب للمسلمين أن يصوموا اليوم العاشر وأن يصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده عملاً بهديه عليه الصَّلاة والسَّلام.

عباد الله:

إنَّ قتل النُّفوس البريئة التي عصم الله دماءها من أعظم الجرائم، وإن إزهاق تلك الأرواح جرم شنيع ومن السَّبع الموبقات، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وإن ما يحدث في هذه الأزمان من التفجير الذي يهلك فيه الحرث والنسل، ويعمّ به الخراب، وتزهق معه النفوس البريئة من أعظم الإفساد في الأرض، وإن مثل هذه الجرائم لتشتد عظمتها، وتعظم بشاعتها، إذا وقعت في شهر الله المحرم، قال قتادة ـ رحمه الله ـ: «الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظُّلم فيما سواه، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء»، فعظِّموا حرمات الله وأشهره الحرم تظفروا.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

التَّـوكُّـل

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فمن اتَّقى ربه علا، ومن أعرض عنه فله معيشة ضنكىٰ.

أيها المسلمون:

أسعد الخلق أعظمهم عبودية لله، وكلما كان العبد أذلّ لله وأعظم افتقاراً إليه، كان أقرب إليه وأعظم قدراً عنده وعند خلقه. والعبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضارِّه، محتاج إلى الاستعانة بخالقه، والله سبحانه هو الصمد الغني عما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، وذنوب العباد كثيرة ولا نجاة لهم منها إلا بمعونة الله وعفوه، وكثير من الكبائر القلبية من الرياء والكبر والحسد وترك التوكل قد يقع فيها المرء وهو لا يشعر بها، وقد يتورَّع عن بعض الصغائر الظاهرة وهو في غفلة عن هذه العظائم. والأسباب المجردة تخذل المرء عن تحقيق مناه، وقد يطرق باباً يظن أن فيه نفعه فإذا هو ضرر محض، ولا ينجي من ذلك إلا التَّوكُّل على العزيز الرحيم، لذا عظَّم ربنا من شأن التَّوكُّل، وجعله منزلة

من منازل الدِّين، وقرنه بالعبادة في قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]، وجعله سبباً لنيل محبته فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وجعله شرطاً لحصول الإيمان به فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. مقام جليل القدر، عظيم الأثر، فريضة من ربِّ العالمين، به رضا الرَّحمن، وفيه منعة من الشَّيطان، منزلته أوسع المنازل وأجمعها، أقوى السُّبل عند الله وأحبها، أمر الله به رسوله ﷺ في قوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٣].

والرُّسل هم أئمة المتوكِّلين وقدوتهم، قال تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ [يونس: ٧١]، وقال الخليل عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ [هود: ٥٦]، وقال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]، وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وقال رسل الله لأقوامهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ [إبراهيم: ١٢]، وقال مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]. وفي مطلع النبوة والتنزيل أَمْرٌ بالتَّوكُّل وأنه يفتح المغلق ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ٣].

جعله الله صفة لأهل الإيمان يتميزون به عن سواهم ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. والشَّيطان لا سلطان له على عباد الله المتوكلين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النّحل: ٩٩]، والتوكل مانع من عذاب الله كما قال عز وجل: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٢٨ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الملك: ٢٨، ٢٩]،

وموجب لدخول الجنات قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩]، بل المتوكلون حقاً يدخلون جنة ربهم بغير حساب كما وصفهم نبيهم ﷺ بذلك في قوله: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**» (متفق عليه).

وأوصى النَّبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما بالتَّوكُّل وهو غلام لتأصيل العقيدة في نفسه في بكور حياته فقال: «**يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**» (رواه الترمذي)، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام، وإن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس». في التَّوكُّل راحة البال، واستقرار في الحال، ودفع كيد الأشرار، وهو من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم، وبه قطع الطمع عمَّا في أيدي النَّاس، سُئل الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ عن التَّوكُّل فقال: «هو قطع الاستشراف باليأس من النَّاس».

والتَّوكُّل على غير الله ذل وامتهان للنفس، وسؤال المخلوق للمخلوق سؤال من الفقير للفقير، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**» (رواه الترمذي وقال حسن صحيح)، ومتى التفت القلب إلى غير الله وكله الله إلى من التفت إليه وصار مخذولاً، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ تعلَّق شيئاً وكل إليه**» (رواه الترمذي)، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «ما رجا أحد مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، وكل من أحب شيئاً لغير الله فلا بد أن يضره، وهذا معلوم بالاعتبار والاستقراء»، ولا يحملنك عدم رجاء المخلوق على جفوة النَّاس وترك الإحسان إليهم

واحتمال الأذى منهم، بل أحسن إليهم لله لا لرجائهم، وكما أنك لا تخافهم فلا ترجهم، وارج الله في النَّاس ولا ترج النَّاس في الله.

أيها المسلمون:

الأرزاق بيد الخلّاق، فما كان لك منها أتاك على ضعفك، وما كان لغيرك لم تنله بقوتك، ورزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص، ولا يرده عنك كراهية كاره، والرزق مقسوم لكل أحد من برٍّ وفاجر ومؤمن وكافر، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هُود: ٦]، والرزق يساق إلى الدواب مع ضعف كثير منها وعجزها عن السعي في طلب الرزق، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [العَنكبوت: ٦٠]، وقد يُيَسِّره الله لك بكسب وبغير كسب، والنَّاس يُؤتَون من قلة تحقيق التوكل، ومن وقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، ولو حققوا التوكل على الله بقلوبهم؛ لساق الله إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب كما يسوق للطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح ـ وهو نوع من الطَّلب والسَّعي لكنه سعي يسير ـ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً**» (رواه أحمد). فلا تضيع زمانك بهمك بما ضمن لك من الرزق، فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً، قال حاتم الأصم ـ رحمه الله ـ: «لمّا علمت أن رزقي لن يأكله غيري اطمأن قلبي».

أيها المسلمون:

وقَّتَ الله للأمور أقدارها، وهيأ إلى الغايات أسبابها، وأمور الدنيا وزينتها قد يدرك منها المتواني ما يفوت المثابر، ويصيب منها العاجز ما يخطيء الحازم، والالتفات إلى الأسباب نقص في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب التي أُمر بها قدح في الشرع، وعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله لا

على الأسباب، ونبينا محمَّد ﷺ أكمل المتوكلين، ولم يُخِل بالأسباب فقد ظاهر بين درعين يوم أُحد، واستأجر دليلاً يدله على طريق الهجرة، وحفر الخندق يوم غزوة الأحزاب.

وحقيقة التَّوكُّل: القيام بالأسباب والاعتماد بالقلب على المسبِّب واعتقاد أنها بيده، فإن شاء منع اقتضاءها وإن شاء جعلها مقتضية لضد أحكامها، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه، والموحد المتوكل لا يطمئن إلى الأسباب ولا يرجوها، كما أنه لا يهملها أو يبطلها، بل يكون قائماً بها ناظراً إلى مسببها سبحانه ومجريها.

وإذا قوي التوكل وعظم الرجاء أذن الله بالفرج، ترك الخليل زوجته هاجر وابنها إسماعيل صغيراً رضيعاً بوادٍ لا حسيس فيه ولا أنيس، ولا زرع حوله ولا ضرع، توكلاً على الله وامتثالاً لأمره، فأحاطهما الله بعنايته، فإذا الصغير يكون نبياً وصفه الله بالحلم والصَّبر وصدق الوعد والمحافظة على الصَّلاة والأمر بها، والماء المبارك زمزم ثمرة من ثمار توكل الخليل، ولمَّا عَظُم البلاء ببني إسرائيل، وتبعهم فرعون بجنوده وأحاطوا بهم، وكان البحر أمامهم، ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]. قال نبي الله موسى عليه السلام الواثقُ بنصر الله: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]. فأمره الله بضرب البحر فصار طريقاً يبساً كل فرق كالطود العظيم، ويونس عليه السلام التقمه حوت في لجج البحر وظلمائه فلجأ إلى مولاه وألقى حاجته إليه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فنُبِذ وهو سقيم في العراء، وما ضاع مجرداً في الخلاء، وأم موسى ألقت ولدها موسى في اليم ثقة بالله وامتثالاً لأمره، فإذا هو رسول من أولي العزم المقربين، ويعقوب عليه السلام قيل له: إن ابنك أكله الذئب ففوض أمره إلى الله وناجاه، فردّه عليه مع أخيه بعد طول حزن وفراق، ولما ضاق الحال، وانحصر المجال، وامتنع المقال من مريم عليها السلام عظم التَّوكُّل على ذي العظمة والجلال، ولم يبق إلا

الإخلاص والاتكال، فأشارت إليه أن خاطبوه ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مَريَم: ٢٩]، فعندها أنطقه الله ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مَريَم: ٣٠]، ونبينا محمَّد ﷺ يتوارى مع صاحبه عن قومه في جبل أجرد، في غار قفر مخوف، فبلغ الروع صاحبه وقال: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا. فقال الرسول ﷺ وهو واثق بربه: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» فأنزل الله تأييده ونصره وأمده بجنود لا تُرىٰ، فسكن الجأش وحصل الأمن وتمت الهجرة وانطلقت الرسالة.

وإذا تكالبت عليك الأيام وأحاطت بك دوائر الابتلاء، فلا ترجُ إلا الله، وارفع أكف الضراعة، وألق كنفك بين يدي الخلاق، وعلق رجاءك به، وفوّض الأمر للرحيم، واقطع العلائق عن الخلائق، وناد العظيم، وتحرَّ أوقات الإجابة كالسجود وآخر الليل، وإذا قوي التوكل والرجاء، وجمع القلب في الدعاء لم يرد النداء ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النَّمل: ٦٢]. فسلِّم الأمر لمالكه، والله عزيز لا يَذِلُّ من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجنابه، وتفريج الكربات عند تناهي الكرب، واليسر مقترن بالعسر، وتعرَّف على ربك في الرخاء يعرفك في الشدة، و«حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها الخليلان في الشدائد، ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله، ومن فوَّض أمره إليه كفاه ما أهمّه، ومن حقَّق التوكل عليه لم يكله إلى غيره بل تولاه بنفسه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطّلَاق: ٣]. وعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه، فاجعل ربك وحده موضع شكواك، قال الفضيل ـ رحمه الله ـ: «والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئاً لأعطاك مولاك كل ما تريد».

وهو سبحانه قدير لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٧ ـ ٢١٩]، قال إبراهيم

الخواص ـ رحمه الله ـ: «ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله»، ومن تعلق بغير الله أو سكن إلى علمه وعقله ودوائه وتمائمه، واعتمد على حوله وقوته وكله الله إلى ذلك وخذله، قال في تيسير العزيز الحميد: «وهذا معروف بالنصوص والتجارب».

وأرجح المكاسب الثِّقة بكفاية الله وحسن الظَّن به، ومن ظنَّ أنه يُنال ما عند الله بمعصيته ومخالفته كما يُنال بطاعته والتقرب إليه، أو ظن أنه إذا ترك شيئاً من أجله لم يعوضه الله خيراً منه، أو ظن أن من فعل شيئاً لأجله لم يعطه أفضل منه، أو ظن أنه إذا صدقه في التوكل عليه أنه يُخيِّبه ولا يعطيه ما سأله فقد ظن بالله ظن السَّوء، ولا يسلم من هذا إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته وعرف موجب حكمته وحمده، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «أكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق وظنَّ السَّوْء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه يستحق فوق ما شاءه الله له، ومن فتش في نفسه وتغلغل في معرفة طواياها رأى ذلك فيها كامناً، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره في كل وقت من ظنه بربه ظن السَّوء، وليظن السَّوْء بنفسه».

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٨ ـ ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبينا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

لا يستقيم توكل العبد حتى يصح توحيده، وعلى قدر تجريده التوحيد يكون صحة التوكل، والعبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك شعبة من شعب قلبه؛ فنقص من توكله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالخلق لم تسد فاقته، ومن سرَّه أن يكون أقوى النَّاس فليتوكل على الله، ومن سرَّه أن يكون أغنى النَّاس فليكن ما في يد الله أوثق منه مما في يده، والرضا والتوكل يكتنفان المقدور، فالتوكل قبل وقوعه والرضا بعد وقوعه، والرضا ثمرة التوكل، وروح التوكل التفويض وإلقاء أمورك كلها إلى الله، يقول داود بن سليمان ـ رحمه الله ـ: «يستدل على تقوى المؤمن بثلاث: حسن التَّوكُّل فيما لم ينل، وحسن الرِّضا فيما قد نال، وحسن الصَّبر فيما قد فات».

وكلما كان العبد بالله أعرف كان توكله عليه أقوى، وقوة التَّوكُّل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، ومن توكل على الله فلا يعجل بالفرج، فالله ذكر كفايته للمتوكل عليه وربما أوهم ذلك تعجل الكفاية وقت التوكل، فالله جعل لكل شيء قدراً ووقتاً؛ فلا يستعجل المتوكل

فيقول: قد توكلت ودعوت فلم أر شيئاً، فالله بالغ أمره قد جعل لكل شيء قدره. والله هو المتفرد بالاختيار والتدبير، وتدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه وهو أرحم به منه بنفسه.

ثم اعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه...

الدُّعــاء

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فمن اتَّقى ربه ارتقى درجات؛ وطاب مآله بعد الممات.

أيها المسلمون:

الخلق مفتقرون إلى ربهم في جلب منافعهم ودفع مضارّهم، في إصلاح دينهم ودنياهم، وكمال المخلوق في تحقيق عبودية الله عز وجل، وكلما زاد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته، والله جلَّ وعلا يبتلي عباده بعوارض تدفعهم إلى بابه يستغيثون به، وهذا من النعم في طي البلاء، والافتقار إلى الله هو عين الغنى ولبُّ العبادة ومقصودها الأعظم، والتذلل له سبحانه هو العز الذي لا يجارى، والدعاء هو سمة العبودية، والله يحب أن يسأله العباد جميع حاجاتهم، في الحديث القدسي: «**يا عبادي: كلُّكم ضالٌّ إلا من هديتُه فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلُّكم جائع إلا من أطعمتُه فاستطعموني أُطعمكم**» (رواه مسلم). والرَّبُّ لا يعبأ

بعباده لولا ضراعتهم إليه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامَا﴾ [الفرقان: ٧٧]، والدعاء من صفات أنبياء الله وأصفيائه ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وإمام الحنفاء يقول: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]. الدعاء روضة القلب وجنة الدنيا، عبادة ميسورة، مطلقة غير مقيدة بمكان ولا زمان ولا حال. دعاءٌ في الليل والنهار، وتضرعٌ في البر والبحر، وحين الإقامة والسفر. نفعه يلحق الأحياء في دنياهم والأموات في لحودهم «**أو ولد صالح يدعو له**».

الدعاء يكشف بفضل الله البلايا والمصائب، ويمنع وقوع العذاب والهلاك، وهو سلاح المؤمن، لا شيء من الأسباب أنفع ولا أبلغ في حصول المطلوب منه، هو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يُخفِّفه إذا نزل، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أنا لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدُّعاء، فإذا أُلهمتُ الدُّعاء فإن معه الإجابة». فلا شيء أكرم على الله منه، ما استجلبت النعم ولا استدفعت النقم بمثله. به تُفرج الهموم وتزول الغموم، كفاه شرفاً قرب الله من عبده حال الدعاء، وأعجز النَّاس من عجز عن الدعاء وأضعفهم رأياً وأدناهم همة من تخلف عن النداء، الدعاء هو عين المنفعة، ورجاء المصلحة، ودعاء المسلم بين يدي جواد كريم يعطي ما يُسأل إما معجلاً وإما مؤجلاً، يقول ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «كل داعٍ يستجاب له لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه».

بالدعاء تسمو النَّفس، وتعلو الهمم، ويُقطع الطمع مما في أيدي الخلق. الداعي موفور الكرامة، مهاب الجناب، وكلما اشتد الإخلاص وقوي الرجاء كلما كانت الإجابة أحرى، يقول يحيى بن معاذ ـ رحمه الله ـ: «من جمع الله عليه قلبه في الدُّعاء لم يرد»، فأطب مطعمك

ومشربك، وتعفَّف عن الشبهات، وقدِّم بين يدي دعائك عملاً صالحاً، ونادِ ربك بقلب حاضر وصوت خافت، زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ نادى ربَّه نداءً خفياً ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] فرزقه الله يحيىٰ نبياً، وتخيّر في دعائك والثناء على ربك أحسن الألفاظ وأنبلها وأجمعها، وتحرّ من الأوقات الفاضلة والأحوال الصالحة أرجاها، وإذا دعوت فاستكثر ربك الخير في دعائك، يقول النّبي ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**» (رواه مسلم). والساجد من ربه قريب حري أن يعطى سُؤله، وتجنب الدُّعاء على أهلك ونفسك ومالك، يقول النَّبي ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**» (رواه مسلم)، ولا تستبطيء الإجابة، وألحَّ على الله في المسألة، فالنَّبي ﷺ مكث يدعو على رعل وذكوان شهراً، وربك حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يده إليه أن يردها صفراً.

فادع وربّك الأكرم، وألق نفسك بين يديه، وسلِّم الأمر كله إليه، واعزم المسألة، وأعظم الرغبة، فما ردّ سائله ولا خاب طالبه، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالخلق لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالرب فنعم الرزاق هو، فأظهر ـ أيّها الداعي ـ الشَّكوى إلى الله والافتقار إليه، فهو جابر المنكسرين وإله المستضعفين، يقول يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: ٨٦]، فهو صاحب كل نجوى، وسامع كل شكوى، وكاشف كل بلوى، يده تعالى ملأى لا تغيظها نفقة سحّاء الليل والنهار، ما أُمِّل تعالى لنائبة فخيّبها، وما رُجي لعظيمة فقطعها، لا يؤمل لكشف الشدائد سواه، بيده مفاتيح الخزائن، بابه مفتوح لمن دعاه، فاستعمل في كل بلية تطرقك حسن الظن بالله في كشفها، ومن ظن بربه خيراً أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميل تفضلاته، وبالإخلاص

تدور دوائر الإجابة، ولازم الطلب فالمعطي كريم، والكاشف قدير، ولا تستعجل الإجابة إذا دعوت، ولا تستبطئها إذا تأخرت، ومن يُكثر قرع الأبواب يُوشك أن يُفتح له، وإذا تزخرف النَّاس بطيب الفراش فارفع أَكُفَّ الضراعة إلى المولى في دجى الأسحار إذ يناديك في ظلمائها «**من يدعوني فأستجيب له**»، والدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد، ودعوة الوالد لولده مستجابة، فأكثر ـ أيّها الأب ـ من الدعاء لأبنائك بالهداية، وملازمةِ السعادة والعصمة من الفتن، ودعوة المسلم لأخيه الغائب مسموعة والملَك يؤمّن على دعوته، والبار بوالديه دعوته لا ترد، وفي الجمعة ساعة مستجابة، ولا تؤذِ الصالحين أو تسخر منهم، فلهم عند الله شأن، كلماتهم صاعدة، ودعواتهم مستجابة، يقول الله ـ جلَّ وعلا ـ في الحديث القدسي عن أوليائه: «**ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**».

ومن حلت به نوائب الدَّهر وجأر إلى الله حماه، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النَّمل: ٦٢]. أُلقي يونس عليه السلام في بطن الحوت وبالدعاء نبذ بالعراء من غير أذى، يقول النَّبي ﷺ: «**دعوة ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له**»، وفي لفظ «**لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه**» (رواه الترمذي).

بدعوةٍ تتقلب الأحوال، فالعقيم يولد له، والسَّقيم يشفى، والفقير يرزق، والشقي يسعد، بدعوة واحدة أُغرق أهل الأرض جميعهم إلا من شاء الله ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وهلك فرعون بدعوة موسى عليه السلام ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، ووهب ما وهب لسليمان عليه السلام بغير حساب بسؤال ربه الوهاب، وشفى الله أيوب عليه السلام من مرضه بتضرعه ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]،

وأغيث نبينا محمَّد ﷺ يوم بدر بالملائكة بتبتله إلى مولاه مع قلة العدد وذات اليد ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وإذا انقطعت بك ـ أيها المظلوم ـ الأسباب، وأغلقت في وجهك الأبواب، فاقرع أبواب السَّماء، وبُثَّ إلى الجبار اللأواء، فهو مفزع المظلومين، وملجأ المستضعفين، وعد بنصرة الملهوف وإجابة المظلوم، ظلم رجل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال سعد: «اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياء وسمعة، اللهم فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن، فكان إذا سئل بعد يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد، قال الراوي: فأنا رأيته بَعْدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتبع الجواري في الطرق يغمزهن» (رواه البخاري).

يقول ابن عقيل ـ رحمه الله ـ: «يستجاب الدعاء بسرعة للمخلص والمظلوم». فيا ويل من وُجِّهت له سهام المظلومين، ورفعت عليه أيدي المستضعفين. فاصبر ـ أيها المصاب ـ على ما قُدِّر، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر، والبلاء المحض هو ما يشغلك عن ربك، وأما ما يقيمك بين يديه ففيه كمالك وعزك، وإذا أقبل اليسر وحل الفرج وزالت الغموم ـ وما أقرب الأمر ـ، فاحمد الله على ما كشف ففي الحمد شكر وزيادة النعم.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

قضاء الله لعبده المؤمن عطاء وإن كان في صورة المنع، وهو نعمة وإن كان في صورة محنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية، يقول عمر بن العزيز ـ رحمه الله ـ : «أصبحت وما لي سرور إلا في انتظار مواقع القدر، إن تكن السَّراء فعندي الشكر، وإن تكن الضَّراء فعندي الصَّبر»، ومن أُلهم الدعاء لم يُحرم الإجابة، يقول النَّبي ﷺ: «**ما على وجه الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم،** فقال رجل من القوم: فإذاً نكثر، قال ﷺ: **الله أكثر**» (رواه الترمذي).

والذين يدعون الله ويدعون معه غيره أغلقوا باب الإجابة، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]. دعاؤهم للأموات هباء لا يجلب مرغوباً ولا يمنع مكروهاً، وهو الشرك الأكبر والذنب الذي لا يغفر، يقول سبحانه ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [يُونس: ١٠٦]، ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا سألت**

فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» (رواه الترمذي). فاجتهد في الدعاء، وأخلص له العبادة، وأفرده بالدُّعاء، واغتنم ساعات عمرك، فلن يهلك مع الدعاء أحد، فالسعيد من وفق لذلك، والمحروم من حرم لذة العبادة، أو أيس من رحمة الله وكان من القانطين.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...

الشُّكر

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فتقوى الله نورٌ في القلب، وذُخْرٌ في المنقلب.

أيها المسلمون:

لقد أجزل الله على عباده من نعمه العظيمة، وأغدق عليهم من آلائه الجسيمة، يمينه تعالى ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، يقسم الأرزاق ويغدق العطايا، ويرزق من يشاء بغير حساب، يبتلي عباده بالنعم كما يبتليهم بالمصائب ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، والله منعم بهذا كله، وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء، وصاحبها يحتاج إلى صبر وشكر، والفقر والغنى مطيتا الابتلاء والافتتان، والصبر والشُّكر لا زمان للعبد في أمر الربِّ ونهيه، وقضائه وقدره، والتَّقوى مبنية عليهما، وقد قرن سبحانه الشُّكر بالإيمان به فقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النِّساء: ١٤٧].

وأخبر سبحانه أن الشكر هو الغاية من خلقه وأمره فقال: ﴿وَٱللَّهُ

﴿أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النّحل: ٧٨]، وجعل سبحانه رضاه في شكره ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزُّمر: ٧]، والله خلق الليل والنهار للتفكر والشكر ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، وانقسم عباده إلى شكور له وكفور به ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وأخبر سبحانه أنه إنما يعبده من شكره، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته، وقد أثنى الله على أول رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشكر فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وأمر عبده موسى عليه السلام أن يتلقى ما آتاه من النبوة والرسالة والتكليم بالشكر فقال عز وجل: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وأثنى على خليله إبراهيم عليه السلام بشكر نعمه ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١]، وأمر الله به آل داود عليه السلام فقال: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبإ: ١٣]، ودعا سليمان عليه السلام ربه أن يكون من الشاكرين ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [النَّمل: ١٩]، وأمر الله رسوله محمَّداً ﷺ بالشكر فقال: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزُّمر: ٦٦]، وأمر الله لقمان بالشكر فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢].

وأول وصية وصى بها ربنا الإنسان الشكر له وللوالدين فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، وبالشكر أمر الأنبياء أقوامهم، فقال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٧]، والآيات والعبر لا يتعظ بها إلا الشاكر قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، وأغدق علينا النعم لنثني عليه بها قال جل وعلا: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ

﴿تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفَال: ٢٦]، وهو وصية النَّبي ﷺ لأصحابه فقد قال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» (رواه أبو داود)، ودعاء العبد ربه أن يوافي نعم الله بالشكر من أفضل الأدعية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله: ـ «تأملت أفضل الدُّعاء فإذا هو: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»، وأهل الشكر هم المختصون بمنته من بين عباده وهم الذين لا يتزعزعون عند الفتن ﴿وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ولما عرف عدوُّ الله إبليس قدر مقام الشكر وأنه من أجل العبادات وأعلاها جعل غايته السعي في قطع النَّاس عنه فقال: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعرَاف: ١٧].

ونبينا ﷺ أشكر الخلق لربه ـ خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير، وربط على بطنه الحجر من الجوع، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ـ، يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، ويقول: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**» (متفق عليه)، وداود عليه السلام كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً، والله عزَّ وجلَّ يقول له: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سَبَإ: ١٣].

والشكر أَمَنةٌ من العذاب قال عز وجل: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ﴾ [النِّسَاء: ١٤٧]، ونجى الله لوطاً عليه السلام من العذاب بالشكر ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ * نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٤، ٣٥]. ولما تنكر قوم سبأ لنعم الله وجحدوها وقابلوها بالعصيان سلبها منهم وأذاقهم ألواناً من العذاب، قال الله في شأنهم: ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ

﴿نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٦، ١٧]، وأصحاب الجَنَّة ـ في سورة القلم ـ قابلوا نعمة الله بالنكران، وحرمان المساكين، فطاف على ثمرهم طائف فأصبحت زروعهم هباء كالليل البهيم. يقول الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: «عليكم بملازمة الشكر على النعم فقَلّ نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم».

والشاكرون لنعم الله قلة في الخلق، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: ١٣]، وكل نعمة لا تقرب من الله فهي نقمة، والشكر هو الحافظ للنعم الموجودة والجالب للنعم المفقودة، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، ولا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر»، والعبد إذا كانت له عند الله منزلة فحفظها وبقي عليها ثم شكر الله على ما أعطاه آتاه الله أشرف منها، وإذا ضيع الشكر استدرجه الله، يقول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «إن الله يمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذاباً»، وإذا رأيت ربك يوالي عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره، قال تعالى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، قال سفيان ـ رحمه الله ـ: «يسبغ عليهم النعم ويمنعهم الشكر»، ومن رزق الشكر رزق الزيادة ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧]، يقول أبو قلابة ـ رحمه الله ـ: «لا تضركم دنيا شكرتموها»، وقد ذم سبحانه الكنود من عباده ـ وهو الذي لا يشكر نعمه ـ فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ [العاديات: ٦].

أيها المسلمون:

بشكر الله وطاعته تتفتح للعبد أبواب الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعرَاف: ٩٦]، وشكر الله يكون بالقلب واللسان والجوارح، فيكون بالقلب بنسبة النعم إلى بارئها، قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ

﴿ٱللَّهِ﴾ [النّحل: ٥٣]، ويكون باللسان بالإكثار من الحمد لمسديها، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الحمد لله تملأ الميزان**» (رواه مسلم)، فالحمد رأس الشكر وأوله، وهو أول آية في كتاب الله المجيد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢]، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يحدّث بنعم الله، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضّحىٰ: ١١]، والشكر بالجوارح يكون بالاستعانة بها على مرضات الله، ومنع استخدامها في مساخطه وعصيانه، فشكر العين ألاّ يبصر بها ما حرم الله، ولا يطلق بصره على حرمات الله، وشكر اللسان ألاّ يتحدث به إلا حقاً، ولا ينطق به إلاّ صدقاً، وشكر الأذنين ألا يستمع بهما إلى غيبة وبهتان ومحرم.

وقد أمر الله بشكر الوالدين بقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمَان: ١٤]، ومن شكرهما برهما، والإحسان إليهما، والدعاء لهما، والتودد والتلطف لرضاهما، وخفض جناح الذل لهما، ومن العصيان عقوقهما، والتأفف والتنكر لأوامرهما، والتثاقل عن طاعتهما. وأسعد النَّاس من جعل النعم وسائل إلى الله والدار الآخرة، وأشقاهم من توصل بنعمه إلى هواه ونيل ملذاته.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غَافر: ٦١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانيـة

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبينا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد: أيها المسلمون:

ربنا متصف بالشُّكر، وأحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أنَّ أبغضَ خلقِه إليه من عطَّلها واتصف بضدها، فهو سبحانه شكور يحب الشَّاكرين. ومِنْ شُكْر الله شُكرُ من أسدى إليك معروفاً من خلقه، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يشكر الله من لا يشكر النَّاس**» (رواه أحمد). وإذا أسديت إلى أحد معروفاً فلا تترقب منه شكراً، وابتغ الثواب من الله. وكن قنوعاً بما رزقك الله تكن أشكر النَّاس، وأكثر من حمد الله والثَّناء عليه فتلك عبادة من أجل العبادات، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الطَّاعم الشَّاكر، مثل الصَّائم الصَّابر**» (رواه الترمذي). ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، وكان أبو المغيرة ـ رحمه الله ـ إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: «أصبحنا مغرقين بالنِّعم عاجزين عن الشُّكر» ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وما من النَّاس إلا مبتلى بعافية ليُنظر كيف شكره، أو ببلية ليُنظر كيف صبره.

فعليكم ـ عباد الله ـ بالجمع بين الصَّبر والشُّكر مع التَّقوى تكونوا من أعبد النَّاس.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على البشير النذير والسِّراج المنير، فقال في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الهــدايــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلٌ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فمن اتَّقى ربه نجا؛ ومن اتَّبع هواه غوى.

أيها المسلمون:

أسبغ الله على عباده مِنناً جليلة، وأعظم النعم وأعزها نعمة الهداية لهذا الدين، وبفضل منه اهتدى مهتدون، وبعدله ضلّ آخرون، قال سبحانه: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠].

والهداية منحة من الكريم لا تُسْدَى لكل أحد، ولا تتحقق بالآمال والأماني، وقد تتخلف مع وجود أسبابها ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧]، ولا نجاة من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلا بها، وهي أجل نعم الله الواجب شكرها، قال جل وعلا: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وطلب الثَّبات عليها من أخصِّ أدعية الصَّالحين ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ

لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عِمرَان: ٨]، ولا سبيل إلى الجنَّة إلا بسلوك طريق الهداية ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ورأس الأدعية وأفضلها الدعاء بالهداية فإنه يجمع صلاح العبد في الدين والدنيا والآخرة، وقد أُمر المسلم بأن يدعو ربه في كل صلاة بأن يمنحه الهداية، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «أنفع الدُّعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفَاتِحَة: ٦]؛ لأن العبد إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب».

وكان النَّبي ﷺ يأمر أصحابه بالدُّعاء بالهداية، يقول علي رضي الله عنه قال لي رسول الله ﷺ: «**قل: اللهم اهدني وسددني**» (رواه مسلم)، وقال لمعاوية رضي الله عنه: «**اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به**» (رواه الترمذي)، ومن دعاء النَّبي ﷺ: «**اللهم اهدني ويسِّر الهدى لي**» (رواه الترمذي وقال حسن صحيح)، ولعظم شأنها لم يخل قوم من هادٍ ونذيرٍ وداعٍ إليها، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرّعد: ٧]، وفتح القلوب بيد الله وحده فليس للخلق منها شيء سوى بذل الأسباب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القَصَص: ٥٦]، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البَقَرَة: ١٤٢].

والجليس الصَّالح خير عون للهداية يذكرك إذا نسيت، ويعينك إذا ذكرت، ويظهر ودك إذا حضرت، ويحفظك إذا تواريت، لا تسمع منه إلا قولاً طيباً، وفعلاً حسناً. الصحبة الصالحة عبادة ممزوجة بالمتعة والأنس، تزداد بالإيمان والنصح وحفظ السِّر، حقيقتها جسد واحد تتعدد فيه القلوب، يقول النَّبي ﷺ: «**المؤمنون كرجل واحد**» (رواه مسلم)، وللجليس تأثير على الدِّين والسُّلوك والآداب والأخلاق، والمرء يعرف بمجالسه، يقول النَّبي ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**» (رواه أبو داود).

وقرين السُّوء يدعوك إلى البعد عن الطَّاعات، ويزيِّن لك السَّيئات،

يتتبع عثراتك، قريب منك في السَّراء، بعيد عنك في الضَّراء، ضرره متجدد في صور شتى، حذَّر الإسلام من مصاحبته ومن مجالسته، لا للمعالي يعليك، ولا عن الدنايا يجافيك، لذا شبَّهه النَّبي ﷺ بنافخ الكير الذي ينالك أذاه على كل حال، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مثلُ الجليس الصَّالح والسوء: كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك** ـ أي: يعطيك ـ **وإما أن تبتاع منه** ـ أي: تشتري منه ـ **وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**» (متفق عليه). رفيق السُّوء صحبته حسرة في الدنيا وندامة في الآخرة، قال جلَّ وعلا: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

وحضور مجالس العلماء من مواطن الهداية، في علمهم وتعليمهم زيادة إيمان، وعلى وجوههم سَمْتُ الصَّالحين، وعلى جوارحهم أمارة نقاء السريرة، مجالسهم تذكير بِسِيَر الأفذاذ من الأسلاف، وشحذٌ دائمٌ للهمم إلى الآخرة، في مجالستهم خيرات متناثرة، وثمرات يانعة، فكن أقرب النَّاس إليهم في درسهم ترتشف من معين علومهم، يقول ميمون ابن مهران ـ رحمه الله ـ: «وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء».

وإنَّ تطهير القلب من أدران القوادح والحفاظ عليه من تلويثه بالشُّبهات أو تدنيسه بوحل الشَّهوات؛ من أسباب الهداية، والشبهة إذا وردت على القلب ثقل استئصالها، وثنت العبد عن القرب من الرب، والتطلع إلى المنكرات والشهوات في المرئيات والسمعيات يظلم القلب بكثرة العصيان، ومن تعرَّض للشبهات والشهوات ثم طلب إصلاح القلب رام ممتنعاً، ورُبّ عثرة أهلكت، ورُبّ فارط لا يستدرك، وفي زمن تنزل الوحي وملازمة الصحابة للنبي ﷺ كان عليه الصَّلاة والسَّلام يخشى عليهم من الفتن وينهاهم عن القرب منها. والنَّفس طامعة إذا أطمعتها، منتهية إذا

نهيتها، فألجمها بلجام الأوامر والنواهي، وابتعد عن أسباب الفتن ومواردها، فإن المقاربة منها محنة لا يكاد صاحبها ينجو منها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، والانتصار على الشهوات تاج على الهام، ودرء الشبهات وقار يعلو النَّفس، وصون الجوارح عن المعاصي ثبات بإذن الله على الهداية، والاستسلام للهوى والفراغ من مداخل الشَّيطان للغواية، والسعيد من استبق الخيرات، ونأى بنفسه عما يضره ولا ينفعه، وعمل بوصية النَّبي ﷺ في قوله: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**» (رواه مسلم)، وعمارة الوقت ببرِّ الوالدين وصلة الرَّحم وقضاء حوائج المسلمين عبادة، والمعصية تورد صاحبها المهالك، والذي يفوت بارتكاب الخطيئة من خيري الدنيا والآخرة أضعاف ما يحصل له من السُّرور واللَّذة بها.

والإكثار من الطَّاعات من وسائل الثَّبات على الدِّين، ومن أسباب حفظ العبد لربه يقول النَّبي ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**» (رواه الترمذي)، وكان أفاضل البشر هم القدوة في التعبد، قال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وكان سلف الأمة يكثرون من التعبد لله، قال ابن كثير عن ابن القيم ـ رحمهما الله ـ: «ولا أعرف من أهل العلم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصَّلاة يطيلها جداً ويمد ركوعها وسجودها ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك».

وكتاب ربِّ العالمين منار الهدى والصلاح ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، والمداومة على تلاوته حفظ بإذن الله من الشُّرور والفتن، وحصن من الشُّبهات والشَّهوات.

وزيارة المقابر للعظة والعبرة سُنَّة قائمة تذكِّر بالآخرة، وتعين على الاستقامة على أمر الله والبعد عن المعاصي وعن الاغترار بالأمل، يقول

عليه الصَّلاة والسَّلام: «**زوروا المقابر فإنها تذكركم الآخرة**» (رواه الترمذي). ومن جعل الموت بين ناظريه صلحت أحواله، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمٰن يقلّبها كيف يشاء.

ولا شيء من الأسباب أنفع ولا أبلغ من الدُّعاء في حصول المطلوب، فتضرع إلى ربك في يومك وليلتك بأن يجعلك من عباده الصَّالحين، وإذا رأيت أهل العصيان هم الأكثر عدداً في الأرض فلا يثنك ذلك عن التمسك بهذا الدِّين، فسنة الله قضت أن أهل الفسوق والمعاصي هم أكثر عدداً ممن يطيع الرحمٰن، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المَائدة: ٤٩]، وانظر إلى الحقّ ولا تنظر إلى العدد، فالله وصف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه أمة وهو وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النّحل: ١٢٠]، يقول الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: «لا تستوحش من الحقّ لقلّة السالكين ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين»، ومنة الله عليك بالصَّلاح مع ضلال كثير من الخلق مما يزيدك هداية في نفسك، ويحملك على دعوة غيرك إلى الطَّريق المستقيم.

أيها المسلمون:

سنة الله في هذه الحياة ابتلاء من تمسَّك بهذا الدين؛ لتمحيص الصَّادق في الاستقامة، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العَنكبوت: ٣]، ولقد سخر الكفار من رسل الله إليهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعَام: ١٠].

وكل رسول يبعث يبهت بالسِّحر ويرمى بالجنون ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذّاريَات: ٥٢]، وصحابة رسول الله ﷺ سخر منهم أهل النِّفاق ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطفّفين: ٣٠]، فمن استهزأ باستقامتك فتلك منقبة لك رميت بما رمي به خير البشر،

وبشرى صدق في الاستقامة، ولا تحزن فإن دافع السَّاخر الهوى أو الجهل ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النَّمل: ١٤]، والسَّاخر في عمق نفسه يتمنى الهداية ولكنه لا يملكها، قال سبحانه عن أهل الضلال: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحِجر: ٢].

ومن سخر منك فتحلَّ بما اتصف به الأنبياء من الصَّبر، ولا تحبط عملك بالجزع أو الهلع، والزم جانب العفو والحلم والأناة والإعراض عمَّن آذاك، قال جلَّ وعلا: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. والموفّق من استنار بنور الهداية، ودعا صاحب الخطيئة إلى التَّوبة، وخفض جناحه لمن ابتلي بمعصية بدعوته بحكمة ولين وروية.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يُونس: ١٠٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

أسعد الخلق هم أهل الهداية، وأول الخير الهدى، ومنتهاه الرحمة والرِّضوان، ومن عرف الحق واتبعه فقد هدي إلى صراط مستقيم، ومن اهتدى جلبت له السَّعادة والرِّزق والسُّرور، وأعانه الله على الطَّاعة وترك المعصية، فلم يصبه شرّ لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، ومن تمسك بنور الهداية زاده الله نوراً ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ﴾ [مَريَم: ٧٦]، ومنزلتك في الآخرة مبنية على هذه اللحظات التي تعيشها ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النّجم: ٣٩]، والسَّعيد من قدم لنفسه صالحاً، والشَّقي من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

اعـرف نبيَّـــك

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فمن اتَّقى ربه نجا، ومن أعرض عنه تردّى.

أيها المسلمون:

اختار الله من البقاع والبلاد خيرها، ومن النُّفوس أشرفها، اصطفى من البشر رسلاً جعل أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم موازينَ توزن بها الأقوال والأخلاق والأعمال، ومعرفة نبينا محمَّد ﷺ من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها، وكل عبد يسأل عنه في قبره، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «اضطرار العباد إلى معرفة الرَّسول وما جاء به وتصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر فوق كل ضرورة». سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة، محمَّد بن عبدالله بن عبد المطَّلب، اصطفاه الله من بني هاشم، واصطفى بني هاشم من قريش، وهم من سلالة نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. صفوة الخلق هو خير أهل الأرض نسباً على

الإطلاق، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فأنا خيرهم نسباً، وخيرهم بيتاً**» (رواه الترمذي). نشأ يتيم الأبوين فاقداً تربيتهما وحنانهما ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: ٦]، متقلباً بين أحضان متوالية برعاية من الله وكلاءة، بُغّضت إليه عبادة الأوثان والخنوعُ للأصنام، حفظه ربه في صغره، وصانه في شبابه، فما استلم صنماً ولا مسَّ وثناً، تزوج قبل البعثة بامرأة نبيلة شريفة لبيبة هي أعظم النِّساء شرفاً وأوفرهن عقلاً خديجة رضي الله عنها، بعثه الله والأرض مملوءة بعبادة الأوثان وأخبار الكهان وسفك الدماء وقطيعة الأرحام، فدعا إلى عبادة الله وحده صابراً على ما يلقاه من تكذيب وإعراض وجفاء.

رفع الله ذكره وأعلى شأنه، معجزاته باهرة، ودلائله ظاهرة، منصور بالرعب، مغفور الذنب، أول من ينشق عنه القبر، وأول النَّاس يشفع يوم القيامة، وأكثر الأنبياء تبعاً، وأول من يقرع باب الجَنَّة، وأول من يعبر الصراط، كان عبداً لله شكوراً، يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، قرة عينه في الصَّلاة، يقوم لله مخلصاً خاشعاً، يقول عبدالله بن الشخير رضي الله عنه: «أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء» (رواه أحمد). قال عن نفسه: «**والله إني لأتقاكم لله**» (متفق عليه).

معظم لربه رفيع الأدب مع خالقه، لا يدَّعي لنفسه شيئاً مما لا يملكه إلا الله، قال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وجاءه رجل فقال له: ما شاء الله وشئت، فقال له: «**أجعلتني لله نداً؟ قل: ما شاء الله وحده**» (رواه النسائي)، وقال الله له: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «أي: إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليَّ، وعبد من عباد الله ليس إليَّ من الأمر شيءٌ في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله عزَّ وجلَّ». أشد النَّاس تواضعاً وأحسنهم بِشْراً، يجالس الفقراء

ويؤاكل المساكين، يخصف نعله، ويخدم أهله ونفسه، وشرب من القِرْبة البالية، وحمل مع صحابته اللَّبِن في بناء المسجد، لا يعيب على الخدم ولا يوبِّخُهم، قال أنس ﵁: «خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين فما عاب عليَّ شيئاً قط» (رواه مسلم)، يوقِّر الكبار ويتواضع للصغار، إن مرَّ على صبيان سلّم عليهم، رأى أبا عمير ﵁ وكان صبياً فقال مداعباً له: «**أبا عمير ما فعل النغير؟**» (متفق عليه). يقول أنس ﵁: «ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ» (رواه مسلم). **عظيم التَّواضع**، بعيداً عن الفخر والخيلاء والكبر والاستعلاء، يقول: «**إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**» (رواه البخاري).

كريم النَّفس، سخي اليد، غزير الجود ينفق سخاءً وكرماً وتوكلاً، ما سئل شيئاً من متاع الدنيا مما يملك فَرَدَّ طالبه، يقول أنس ﵁: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه» (متفق عليه). لا تغضبه الدنيا وما كان لها، أعرض عن هذه الدار وعمل لدار القرار، كان يقول: «**ما لي وللدنيا؟ ما أنا والدنيا، إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**» (رواه الترمذي). كان يمر به هلال وهلال وما يوقد في بيوته نار، ويبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهلُه لا يجدون عَشاءً، يقول عمر بن الخطاب ﵁: «لقد رأيت النَّبي ﷺ يلتوي من الجوع ما يجد من الدَّقل ـ أي: رديء التمر ـ ما يملأ بطنه» (رواه مسلم)، وخرج من بيته من حرارة الجوع، وربط على بطنه الحجر من ألم الجوع، وكان الصحابة ﵃ يعرفون الجوع فيه من تغيُّر صوته، يقول أبو طلحة ﵁: «سمعت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع»، وتأتي أيام على بيت النُّبوة وما فيها إلا الماء، جاء رجل إلى النَّبي ﷺ فقال: إني مجهود فأرسلَ إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسلَ إلى أخرى فقالت مثلَ ذلك، حتى قلن كلُّهن مثل ذلك.

كامل الخوف من ربه مع ما لاقاه من الجوع، فقد كان يجد التمر

على فراشه فيقول: «**لولا أني أخشى أن تكون من الصَّدقة لأكلتها**» (رواه البخاري). لقي من الحياة مشاقها، ومن الشَّدائد أحلكها، نشأ يتيماً فاقداً حنان الأمومة، وتوفي والده ولم تأنس عينه برؤيته، وآذاه قومه بالقول والفعل. قال أنس رضي الله عنه: «ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غُشي عليه». اتهموه بالجنون ورموه بالسِّحر ووصفوه بالكذب ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]، وفي الغار كربٌ وَهَمٌّ، خوفٌ وحزنٌ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وفي أُحد كُسرت رَباعيته، وشُجَّ في وجهه، وسال دمه. لاقى من الجوع حرارته، ومن العدو بأسه، وضعوا السُّم في طعامه، وسحروه في أهله، توالت عليه المصائب وتكالبت عليه المحن، وربُّه يقول له: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، يبث أشجانه وأحزانه إلى زوجته يقول: «**يا عائشة، لقد لقيت من قومك ما لقيت**» (رواه البخاري). مات ستة من أولاده في حياته فلم تثنه تلك الكروب عن الدعوة إلى الله، صبر على كمد الحياة ولأوائها، يقول عن نفسه: «**لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، وأُخفت في الله وما يُخاف أحد**» (رواه أحمد).

رقيق القلب مليء بالرحمة إذا سمع بكاء الصبي في الصَّلاة تجوَّز في صلاته مما يعلم من شدة وجد أمه من بكائه، يزور البقيع فيتذكر الآخرة ويبكي، كان يزور ابنه إبراهيم عند مرضعته وهو رضيع فيأتيه إبراهيم وعليه أثر الغبار فيلتزمه النَّبي ﷺ ويقبله ويشمه من عطف الأبوة عليه (رواه البخاري)، ولما مات دمعت عيناه، وقال: «**إنَّ العين لتدمع، وإنَّ القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربَّنا، وإنَّا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**» (متفق عليه).

كامل العقل سامي الأخلاق لم يضرب أحداً بيده، تقول عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً» (رواه مسلم). أعف النَّاس وأشرفهم لم تمس قطُّ يدُه امرأةً لا تحل له، كامل الوفاء مع

أهل بيته وصحابته رضي الله عنهم، كان يذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها إلى صواحب خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها وفاءً لها، وصلّى على قتلى أُحد بعد ثمان سنين من الغزوة كالمودع لهم، يكرم صحابته ولا يؤثر لنفسه شيئاً دونهم، يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يواسينا بالقليل والكثير». وسع النَّاس بخلقه، حليم لا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، يجذبه الأعرابي يريد مالاً فيلتفت إليه مبتسماً ويعطيه سُؤله. عفا عمَّن سحره، ولم يثرب على من وضع له السُّم في طعامه، وصفح عمّن قاتله وقال لهم في فتح مكة: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»، تقول عائشة رضي الله عنها: «ما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه».

لين الجانب دائم البشر، يقول جرير بن عبدالله رضي الله عنه: «ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسَّم» (رواه البخاري). يتفقد أصحابه، ويؤثر أهل الفضل بأدبه، جميل المعاشرة، حسن الصحبة، يصل ذوي رحمه ولا يجفو على أحد، عف اللسان لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، بل كان أشد حياء من العذراء في خدرها، خلاله على سجيته، لا يحب تعظيم الألفاظ ولا تشدقها، جاء ناس إلى النَّبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال: «**يا أيها النَّاس: قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشَّيطان أنا محمَّد عبدالله ورسوله، ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزَّ وجلَّ**» (رواه النسائي).

وفي طعامه لضيفه لا يتكلف موجوداً ولا يطلب معدوماً، أحبه الصحابة حباً جمّاً، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، يقول أنس رضي الله عنه: «لم يكن شخص أحبّ إليهم من رسول الله ﷺ» جمع من الأخلاق أطيبها ومن الآداب أزكاها، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «لا تحفظ له كذبة واحدة، ولا ظلم لأحد، ولا غدر بأحد، بل كان أصدق النَّاس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال عليه من أمن

وخوف وتمكن وضعف»، يُبجِّل أهل بيته ويحسن معاملتهم، إذا قدمت إليه ابنته فاطمة رضي الله عنها قام إليها وقال لها: مرحباً وأجلسها بجانبه، وقال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» (رواه الترمذي). شهد له خالقه بعلو خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. أبهى النَّاس وأنضرهم منظراً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، يقول البراء رضي الله عنه: «لم أر شيئاً قط أحسن منه» (رواه البخاري). طيّب الجسد زكي الرائحة، يقول أنس رضي الله عنه: «ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ» (رواه مسلم)، فصيح بليغ باهر البيان، كلامه يأخذ بمجامع القلوب، أوقاته كلها معمورة في طاعة الله ومرضاته ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣]، من بعثته إلى مماته يدعو إلى عبادة ربه وينهى أمته عن الوقوع في الشرك، لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه، فالزموا طريقه واستمسكوا بهديه وسنته، واحذروا مخالفته تفوزوا بالدنيا والآخرة.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبَة: ١٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

نبينا محمَّد ﷺ بشر من البشر يمرض ويجوع ويحزن وينام ليس له من خصائص الرُّبوبية ولا الألوهية شيء وإنما هو رسول يبلغ رسالة ربه، يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، لا يرفع فوق قدره، ولا ينقص من منزلته، وواجب اتباعه وامتثال أمره، قال في فتح المجيد: «يحصل تعظيم الرسول ﷺ بتعظيم أمره ونهيه والاهتداء بهديه واتباع سنته»، وبطاعته تتنزل الرَّحمات وتتوالى الخيرات ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عِمـران: ١٣٢]، ومحبته ـ بطاعته ـ مقدمة على الولد والوالد، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والنَّاسِ أجمعين**» (رواه البخاري)، وباتباعه يرغد العيش ويهنأ الجميع، قال سبحانه: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النّحل: ٩٧]، وسعادة العبد في الدَّارين مُعلَّقة بالتمسك بهديه، والعزَّة على قدر متابعته والفلاح باقتفاء أثره.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

ســاعــة العســـرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيها المسلمون:

سيرةُ النَّبي زاخرة بالحكم والأحكام، زكية عطرة على مدار الأيام، عاش فيها محناً وشدائد، رسمت للأمة طريقها وما يهديها إلى مواطن عزها، وفي زمنٍ جدب ومَحْلٍ في الدِّيار، وحين أوان أطايب الثِّمار وإقبال القطاف، أُمر عليه الصَّلاة والسَّلام بالمسير إلى الرُّوم، في غزوة عظيمة شاقة هي آخر غزوة غزاها النَّبي ﷺ بنفسه سماها القرآن ساعة العسرة، ظهرت فيها مخبَّآت النُّفوس، وطوايا النفاق، وثمرات الإيمان، وكان النَّبي ﷺ إذا هم بغزاة وَرّى بغيرها إلا مسيره إلى تبوك، جلى للمسلمين أمرها، لعسر الشقة، وطول المشقة، وبأس العدو، وشدة الزمان، فجاءت المعاذير، فقال المنافقون: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ [التّوبَة: ٨١]، قال الله: ﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ﴾ [التوبة: ٨١]، واستأذن الجد بن

قيس في البقاء، وهو غني جَلْد قوي، وقال للنبي ﷺ: لا تفتني، فقال الله سبحانه: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]، وجاء معذرون فاعتذروا إلى النَّبي ﷺ فلم يعذرهم الله ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة: ٩٠]، وتخلف نفر من المسلمين من غير شكٍّ ولا ارتياب، وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم، منهم كعب بن مالك، ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ﴾ [التوبة: ١٠٦].

فاجتمعت جموعٌ، تلبية لأمر رسول الله ﷺ بالنفير في زمن مَحْلٍ، وقلة يد، فقال ﷺ: «**من جهز جيش العسرة فله الجَنَّة**» (رواه البخاري). فتسابق الصَّادقون إليها، فأنفق أبو بكر رضي الله عنه جميع ماله، وجهز ذو النُّورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وعدتها، حتى لم يفقدوا منها عقالاً ولاخطاماً، وأتى بدنانير في ثوبه فصبها في حجر النَّبي ﷺ، فجعل النَّبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: «**ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم**» (رواه أحمد والترمذي). وقدَّم الفقراء جهدهم من النفقة على استحياء، فسخر منهم المنافقون ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التّوبَة: ٧٩]، وأتى رجال من المسلمين فلم تحملهم النفقة، فبكوا بدموع صادقة على عدم صحبة النَّبي ﷺ في الغزو، قال سبحانه: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التّوبَة: ٩٢].

فسار الجيش ثلاثون ألف رجل، مودعين الماء العذب والظِّل الوافر، إلى مسيرٍ في صحراءَ أرضٍ لاهبة، ووهج شمسٍ لافحة، بزاد يسير، وظهر قليل، وخرج معهم رأس النِّفاق عبدالله بن أُبي بن سلول، وفي أول المسير أثقله النفاق كما أثقله في غزوة أُحد، فرجع ومن كان معه من أهل

الرَّيب في أثناء الطريق، وتخلفوا عن الغزو، قال سبحانه : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التّوبَة: ٤٦].

فمضى الصحابة مع النَّبي ﷺ بصدق ويقين شهراً كاملاً، في طريق طويل وحر شديد، نالهم الجهد في مسيرهم، والمشقة في سفرهم، فكان الرجلان والثلاثة يتعاقبون على البعير الواحد، وأصاب القوم عطش شديد، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «ظننا أنَّ رقابنا ستنقطع من العطش، حتى إن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرَّحل، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه ـ أي: كرشه ـ فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده». وأبو ذر رضي الله عنه انتظر بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره، وسار وحده على قدميه يتبع الرسول ﷺ في أشباح الليل ووهج النهار ووحشة الفلاة، فلما رآه النَّبي ﷺ قال : «**رحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده**» (رواه الحاكم).

ومرَّ النَّبي ﷺ في ذهابه على مساكن ثمودَ قوم صالح، وقال: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم**» (رواه البخاري). وفي لأواء المسير سخر المنافقون بصحابة رسول الله، فأنزل الله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التّوبَة: ٦٥، ٦٦]، ولما قدم تبوك قال النَّبي ﷺ لأصحابه : «**ستهبُّ عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم منكم أحد، فمن كان له بعير فليشدَّ عقاله، فهبَّت ريح شديدة، فقام رجل فحملته حتى ألقته بجبل طيء**» (متفق عليه).

وبعد مسير شهر عسير من المدينة أقام بتبوك عشرين ليلة، ولم يقدم عليه الرُّوم ولم يلق غزواً، فصالح من صالح منهم هناك، فقفل راجعاً في رمضان، ولما قارب المدينة كان المنافقون قد بنوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، فطلبوا من النَّبي ﷺ أن يصلي فيه ليُعمَّى مكرهم،

فنزل الوحي من السَّماء بفضح أمرهم قبل وصوله إليه، فأقبلوا إليه بالأيمان الكاذبة يخفون إفسادهم ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧]، فأمر النَّبي ﷺ بهدمه وإحراقه.

ولما دنا من طيبة قال: «**إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا شركوكم في الأجر، قالوا: يارسول الله وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر**» (رواه مسلم).

وبعد: أيها المسلمون:

فالدِّين لم يصل إلينا إلا بعد كفاح مرير، ومشاقٍّ متوالية، سار النَّبي ﷺ في تلك الغزوة بنفسه وقد جاوز الستين عاماً من عمره، لاقى فيها الشَّدائد إشفاقاً على العباد ورأفةً بهم، ليدخل النَّاس في دين الله، وحقيق بأتباعه تبليغ رسالة الله ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والصَّحابة رضي الله عنهم لهم قدم صدق وسبق وفضل في نشر الدِّين، طووا الأرض، ودميت أقدامهم من حرِّ حجارتها، وتفتت أكبادهم من عطش فلاتها، مع كرب المشقة وعسر الشقة، لاقوا جوعاً وخوفاً وجُهداً فصبروا على كل لأواء من أجل هذا الدِّين، وواجب على من بعدهم معرفة حقهم بالتوقير والتبجيل والمحبة والترضي عنهم، فهم خير جيل في القرون.

والمنافقون أداة كيد في الأمة يرجفون فيها ويفسدون، إن أُمروا بالطاعة أحجموا ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ﴾ [التوبة: ٩٠]، وإن رأوا مشقة في الخير اعتذروا ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ﴾ [التوبة: ٤٩]، وإن أصلح النَّاس أفسدوا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، وإن تسابق الصادقون إلى الخيرات منهم سخروا، ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٩]، وإن سار المخلصون أرجفوا فقد قالوا للصحابة:

﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ [التّوبة: ٨١]، لا يدعون سبيلاً للتخذيل إلا سلكوه، يتربصون بالأمة في الخفاء، ساروا مع النَّبي ﷺ في غزوة أحد وتبوك، وفي المسير خذلوا المسلمين ورجعوا، وهم في غمز ولمز دائم بالمؤمنين، ويجب على المسلم الحذر من النفاق وأسبابه وخصاله، وليكن صالحاً في باطنه وظاهره.

والله يعلم ما يخفى على البشر من فساد القلوب، فالجد بن قيس قال للنبي ﷺ: لا تفتني فأنزل الله آيات في فضحه، ففتش في نفسك قبل الممات، فلعلك قد أصبت لمماً أو نفاقاً فالقلوب خوافي، ولاتفرح بثناء النَّاس عليك مع فساد الباطن أو كثرة العصيان. وللمعصية شؤم على الأبدان والبقاع، فقوم ثمود عتوا وعصوا ربهم، فأخذتهم الرجفة فخمدوا في ديارهم، ونُهي عن دخول مساكنهم بعد رحيلهم، فلا تأمن مكر الله بالعقوبة من عصيان أو حلول مكروه بسبب خطيئة. وعلى العبد حفظ لسانه من السخرية بالدين أو أهله، فقد يخرج المرء من الدين وهو لا يشعر ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التّوبَة: ٦٥، ٦٦] ومن عظَّم الدين عَظُم، ومن سخر به ذل.

والعاصي تتنكَّر لـه الأرض والأبدان، تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه عن المسير مع النَّبي ﷺ، فقال: «تنكرت لي الأرض فما هي بالتي أعرف، وأطوف في الأسواق ولايكلمني أحد» قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «هذا التنكُّر يجده المذنب العاصي بحسب جرمه، حتى في خلق زوجته وولده وخادمه ودابته، ويجده في نفسه أيضاً فتتنكَّر لـه نفسه حتى ما كأنه هو، ولا كأن أهله وأصحابه ومن يشفق عليه بالذين يعرفهم، وهذا سرٌّ من الله لا يخفى إلا على من هو ميِّتُ القلب».

وبالصدق ينجو العبد من المهالك، فأنجى الله الثلاثة الذين خلفوا بصدقهم، وأهلك غيرهم من المخلفين بكذبهم، قال كعب بن مالك رضي الله عنه: «إنما نجَّاني الله بالصِّدق»، والصدق من أشقِّ العبادات على

النُّفوس، وهو دليل الإيمان وحليته، ومن أجلِّ نعم الله على عبده، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «وما أنعم الله على عبد بعد الإسلام بنعمة أفضل من الصِّدق، الذي هو غذاء الإسلام وحياته، ولا ابتلاه ببلية أعظم من الكذب، الذي هو مرض الإسلام وفساده».

وخير أيام العبد على الإطلاق وأفضلها يوم توبته إلى الله، وقبول الله توبته، يقول النَّبي ﷺ : «**أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمُّك**» (رواه مسلم). فبادر بالتَّوبة إلى الله، تكن أيَّامك أيام خيرٍ وسعادة.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: ١١٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: أيها المسلمون:

العمل وإن كان فاضلاً ينقلب منهياً عنه إن غيرته النية، كما قلبت نية أصحاب مسجد الضِّرار عملهم الحسن في ظاهره إلى الفساد، وأدت إلى تدمير بنائهم وإحراق مسجدهم، والعمل المبني على الإخلاص والمتابعة هو العمل المؤسس على التَّقوى، الموصل عامله إلى جنَّات النعيم، والعمل المبني على سوء القصد والمكر عمل مؤسس على شفا جرفٍ هارٍ ينهار بصاحبه في نار جهنَّم، وعلى المسلم أن تكون نيَّته في الخير قائمة، فمن نوى طاعة ثم عُذر حصل له ثواب نيته «**إنَّ بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا شركوكم في الأجر**» (رواه مسلم).

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

نصـرة النَّبــي ﷺ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالتَّقوى أربح المكاسب، وأجزل المواهب

أيها المسلمون:

خلق الله البشر وفضَّل بعضهم على بعض، ففضل المؤمن على الكافر، والبر على الفاجر، والنَّبيين على سائر المخلوقين، والرُّسل على النَّبيين، وفضل خاتمهم محمَّداً ﷺ على سائر الرسل، وهو صفوة ولد إبراهيم، اختصه من بين الرسل بالوسيلة والفضيلة، والمقام المحمود، وعموم رسالته للعرب والعجم، أعلى النَّاس نسباً وأشرفهم لقباً، رفع الله مكانته وشأنه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشقّ عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفّع**» (رواه مسلم). أكثر الأنبياء تبعاً، وأول من يقرع باب الجَنَّة، وأول من يعبر الصِّراط.

نشأ يتيماً فلم ير والده في دهره، ولم يأنس بحضانة أمِّه لفراقها، أشد

النَّاس تبتلاً إلى الله، في ليله مصلياً باكياً، يقول عبدالله بن الشخير رضي الله عنه: «أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلِّي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء» (رواه أحمد). وفي نهاره داعياً رحيماً.

يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، يوقر الكبار، ويتواضع للصغار، إن مرَّ على صبيان سلم عليهم ورحمهم، قال أنس رضي الله عنه: «ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ» (رواه مسلم). كريم النَّفس، جواد اليد ينفق سخاءً وكرماً وتوكُّلاً، ما سُئل شيئاً فقال: لا قط، معرض عن الدنيا وزينتها، كان يقول ﷺ: **«ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظلَّ تحت شجرة ثم راح وتركها»** (رواه الترمذي). تمضي أيام وليس في بيوته سوى تمرة واحدة، بل يمضي زمن وليس فيها سوى الماء، بات ليالي هو وأهله لا يجدون عشاءً، قال عمر رضي الله عنه: «لقد رأيت النَّبي ﷺ يلتوي من الجوع ما يجد من الدَّقل ـ أي: رديء التمر ـ ما يملأ بطنه» (رواه مسلم)، وخرج من بيته مراراً من شدَّة الجوع، وهو صابر محتسب لتبليغ رسالة ربه.

رقيق القلب مليء بالرحمة، إذا سمع بكاء الصَّبي في الصَّلاة تجوَّز فيها، لين الفؤاد، عظيم الوجل من ربه، كان يزور المقبرة تباعاً ويتذكر الآخرة ويبكي مراراً، عفّ اللسان لا يقع في عرض أحد، وكان أشد حياء من العذراء في خدرها، لم يضرب خادماً ولا امرأة ولا دابة، خلقه عظيم، قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «ما رآني رسول الله إلا تبسَّم» (رواه البخاري).

جمع من الصفات أعلاها، ومن الآداب أزكاها، أحبَّه الصحابة حباً جماً، إن قال سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، قال أنس رضي الله عنه: «لم يكن شخص أحبّ إليهم من رسول الله»، ولم يكن كبار الصحابة يضعون أعينهم في عينه حياءً منه وإجلالاً، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «ما كان أحد أحبّ إلي من رسول الله، ولا أجل في عيني منه، وما كنت

أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه» (رواه مسلم). وقد عظم الصحابة نبيهم أيما تعظيم بقلوبهم، وأبت نفوسهم أن يسكنوا في دارٍ هم في أعلاها وهو في أسفلها، وعلى هذا سار تابعون وأسلاف، فكان محمَّد بن المنكدر لا يتمالك نفسه من البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ، وقال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: «كنا ندخل على أيوب السختياني، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه».

وملوكُ النَّصارى وكبراؤُهم في زمن النَّبي ﷺ أحبوا رؤيته وتمنوا خدمته، قال هرقل عظيم الروم: «لو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه» (متفق عليه). ولما رآه أحبار اليهود علموا صدقه، قال عبد الله بن سلام ـ وكان من أحبارهم ـ: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل النَّاس إليه ـ أي: ذهبوا إليه ـ وقالوا: قدم رسول الله ﷺ، فجئت في النَّاس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ ـ أي: رأيته ـ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب» (رواه الترمذي).

رفع الله ذكره، وغفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، وصانه بالرعاية وحفظه بالكلاءة، في الغار كان معه بنصره وتأييده، وفي بدر وحنين قاتلت معه الملائكة، وفي أحد عصمه من قتل المشركين، وفي بني النضير كشف له كيد الغادرين، وفي الخندق بدد عنه جيش المتحزبين، وفي المدينة سلمه من خداع المنافقين، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فرض الله على جميع النَّاس الإيمان به وتوقيره، قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨، ٩].

وقد أجله الله ورفع مكانته، وكتب العزَّة له، قال سبحانه، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وجعل الغلبة والعاقبة له، قال

جل وعلا : ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: ٢١]، ولعظيم قدره عند ربه توعَّد الله من يرفع صوته فوق صوت نبيه بأن يحبط عمله، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، ومن آذاه لعنه الله في الدنيا والآخرة وأهانه، قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، ومن حاده أذله وكبته، قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]، وتوعَّد ببتر كلِّ من أبغضه وعاداه، قال عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، قال أهل العلم : «كل من شنأه وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره»، في يوم أحد كسر عتبة بن أبي وقاص رباعية النَّبي ﷺ، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «قال بعض العلماء بالأخبار : إنه استقرى نسله فلم يبلغ أحد منهم الحُلُم إلا أبخر ـ أي: كريه رائحة الفم ـ، أو أهتم ـ أي: مكسور ثنايا الأسنان ـ يُعْرف ذلك فيهم، وهو من شؤم الآباء على الأبناء».

ومن سخر بالأنبياء أدار الله عليه دوائر السَّوء، قال سبحانه : ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]، وقد يمهل الله السَّاخرين برسله لحكمةٍ ثم ينزل عليهم بأسه، قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرّعد: ٣٢]. وقضت سنة الله أن من وقع في نبيه قصمه الله، قال سبحانه : ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

في عهد النَّبي ﷺ سَخِر به رجل فلما مات دفنوه فكان كلما دفنوه في قبره وجدوه خارج القبر منبوذاً عنه، قال أنس : «كان رجل من بني النجار نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانياً

فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب، وصار يسخر من رسول الله ﷺ، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، فتركوه منبوذاً» (متفق عليه). وسخر أبو جهل بالنَّبي ﷺ، فقتله غلمان من الصحابة نكاية به، قال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه : «إني لواقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار، حديثةٍ أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أَضْلُعٍ منهما، فغمزني أحدهما، فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم، فما حاجتك إليه يا ابن أخي ؟ قال : أخبرت أنه يسبّ رسول الله ﷺ، ولما أشار إليه انطلقا إليه وقتلاه» (متفق عليه).

وزالت ممالك فلم تبق لها قائمة لما سخروا بالنَّبي ﷺ، كتب عليه الصَّلاة والسَّلام إلى كسرى وقيصر وكلاهما لم يسلم، لكن قيصر أكرم كتاب رسول الله، وأكرم رسوله فثبت ملكه، وكسرى مزَّق كتاب رسول الله، واستهزأ برسول الله، فقتله الله بعد قليل من تمزيق كتابه، ومزَّقه الله كل ممزَّق، والحصون تتساقط إذا تعرض أصحابها للنبي ﷺ بالذَّم والملامة، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «حدثنا أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن، قالوا : كنا نحاصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهله لسبِّ رسول الله والوقيعة في عرضه تعجلنا فتحه وتيسر، ولم يكن يتأخر إلا يوماً أو يومين». وإذا أوذي الرُّسل حلَّ العذاب، جاء في الصارم المسلول : «وإذا استقريت قصص الأنبياء المذكورة في القرآن تجد أممهم إنما أهلكوا حين آذوا الأنبياء، وقابلوهم بقبيح القول أو العمل».

وبعد: أيها المسلمون:

فمحبة النَّبي ﷺ فرض على هذه الأمة بالذب عنه، وحماية جنابه عليه الصَّلاة والسَّلام، وليحذر المسلم من التطلع إلى الرسومات المسمومة الساخرة بأجل البشر، فقد كان السلف يحذرون من ذلك، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «التَّكلم في تمثيل سبِّ الرَّسول وذكر صفته ذلك مما يثقل على القلب واللسان، ونحن نتعاظم أن نتفوه بذلك». ومِنْ محبته: طاعته، واقتفاء أثره، واتباع سنته، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٣١] ومِنْ محبته: عدم الغلوّ فيه برفعه فوق منزلة الرسالة والعبودية في المدائح والإطراء، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله**» (رواه البخاري). وعزة المسلمين على قدر طاعتهم له، وفلاح العبد في الدارين معلّق بالتَّمسك بهديه، والشَّقاء في عدم الإيمان، أو السُّخرية به، أو بدينه، أو الاستخفاف بكتاب الله العظيم.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غَافر: ٥١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: أيها المسلمون:

ومن نصر الله لأنبيائه إغراق فرعون في هذا الشهر لكفره وسخريته بموسى عليه السلام، وقد شرع الله صوم العاشر منه شكراً لله على نصرة أوليائه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «قدم النَّبي ﷺ المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم: **ما هذا اليوم الذي تصومونه؟** قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه، فقال: «**نحن أحقُّ بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه**» (متفق عليه). ولمسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: «**أحتسب على الله أن يكفِّر السَّنة التي قبله**»، وقد عزم على أن يصوم يوماً قبله مخالفة لأهل الكتاب، فقال ﷺ: «**لئن بقيت إلى قابل لأصومنَّ التاسع**»، فيستحبُّ للمسلمين أن يصوموا يوم العاشر اقتداء بأنبياء الله، وطلباً لثواب الله، وأن يصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده مخالفة لليهود، وعملاً بما استقرت عليه السنة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه. . .

صـل رحمـك

الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً، فجعله نسباً وصهراً، أوجب صلة القربى وأعظم في ذلك أجراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فاطر السمٰوات العلا، ومنشيءُ الأرضين والثَّرى، أحمده جلَّ وعلا على ما أولى، وأشكره تعالى على ما أسدى، وأشهد أنَّ نبينا محمَّداً عبده ورسوله أعظم النَّاس قدراً، وأرفعهم ذكراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والنهى، وعلى التابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فبتقوى الله تُسْتَجلَب النعم؛ وبالبُعد عنها تَحِلُّ النِّقم.

أيها المسلمون:

يهدف الإسلام إلى بناء مجتمع إسلامي متراحم متعاطف، تسوده المحبة والإخاء، ويهيمن عليه حبّ الخير والعطاء، والأسرة أساس المجتمع، وقاعدة الحياة البشرية، بتقوى الله ورعاية الرحم.

اهتم الإسلام بتوثيق عراها، وتثبيت بنيانها فجاء الأمر برعاية حقها بعد توحيد الله وبر الوالدين، قال سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النِّساء: ٣٦]، وقرنت مع إفراد الله

بالعبادة والصَّلاة والزَّكاة، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النَّبي ﷺ فقال: أخبرني بعمل يدخلني الجَنَّة فقال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصَّلاة، وتؤتي الزَّكاة، وتصل الرحم**» (متفق عليه). أُمرت الأمم قبلنا بصلة أرحامها، قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: ٨٣]، ودعا إلى صلتها نبيُّنا محمَّد ﷺ في مطلع نبوته، قال عمرو بن عبسة رضي الله عنه: «قدمت مكة أول بعثة النَّبي ﷺ فدخلت عليه فقلت: ما أنت؟ قال: **نبي**، قلت: وما نبي؟ قال: **أرسلني الله**، قلت: بم أرسلك؟ قال: **بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله**» (رواه مسلم)، وسأل هرقل أبا سفيان عن النَّبي ﷺ ما يقول لكم؟ قال: «يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، ويأمرنا بالصَّلاة والصِّدق والعفاف والصِّلة» (متفق عليه).

وأمر بها عليه الصَّلاة والسَّلام أول مَقْدمه إلى المدينة، قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: لما قدم النَّبي ﷺ المدينة انجفل النَّاس إليه ـ أي: ذهبوا إليه ـ فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: «**أيها النَّاس: أفشوا السَّلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والنَّاس نيام تدخلوا الجَنَّة بسلام**» (رواه الترمذي وابن ماجه)، وهي وصية النَّبي ﷺ، قال أبو ذر رضي الله عنه: «**أوصاني خليلي بصلة الرَّحم وإن أدبرت**» (رواه الطبراني). صلة ذوي القربى أمارة على الإيمَان «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**» (متفق عليه)، وقد ذمَّ الله كفار قريش على قطيعة رحمهم فقال: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠].

القيام بها برٌّ بالوالدين وإن كانوا أمواتاً، جاء رجل إلى النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل بقي من برِّ أبويَّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال ﷺ: «**نعم الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة رحمك التي لا رحم لك إلا من قبلهما**» (رواه أبو داود).

خلق الله الرَّحم وشقّ لها اسماً من اسمه، ووعد ربنا جلَّ وعلا

بوصل من وصلها، ومن وصله الرحيم وصله كلُّ خير ولم يقطعه أحد، ومن بتره الجبار لم يُعْلِه بشر، وعاش في كمد ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]. والله يبقي أثر واصل الرَّحم طويلاً فلا يضمحل سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرَّحم، قال النَّبي ﷺ: «**قال الله للرَّحم: أما ترضين أن أصل من وصلك، وأن أقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك**» (متفق عليه). «**الرَّحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصلته، ومن قطعني قطعته**» (متفق عليه).

صلة الرَّحم تدفع بإذن الله نوائب الدَّهر، وترفع بأمر الله عن المرء البلايا، لما نزل على النَّبي ﷺ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، رجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فقال: «**زمِّلوني**» فأخبرها الخبر وقال: «**قد خشيت على نفسي فقالت له: كلاَّ والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرَّحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتُقري الضَّيف**» (رواه البخاري).

أمر الله بالرأفة بهم كما نرأف بالمسكين، قال جلَّ وعلا: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦]، حقهم في البذل والعطاء مقدم على اليتامى والفقراء، قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، السَّخاء عليهم ثواب مضاعف، قال ﷺ: «**الصَّدقة على المسكين صدقة، وعلى القريب صدقة وصلة**» (رواه الترمذي)، وأول من يعطى الصدقة هم الأقربون من ذوي المسكنة، تصدق أبو طلحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ببستانه فقال له النَّبي ﷺ: «**أرى أن تجعلها في الأقربين**» فقسمها أبو طلحة على أقاربه وبني عمه (متفق عليه).

يقول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لأن أصل أخاً من إخواني بدرهم أحب إليّ من أن أتصدق بعشرين درهم»، الباذل لها سخي النَّفس كريم الشيم، يقول الشعبي ـ رحمه الله ـ: «ما مات ذو قرابة لي وعليه دين إلا وقضيت عنه دينه»، الجار من ذوي الأرحام أخصّ بالرعاية و العناية من

غيره، قال سبحانه: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النِّساء: ٣٦]، دعوتهم وتوجيههم وإرشادهم ونصحهم ألزم من غيرهم، قال جلَّ وعلا: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وإكرام ذوي القرابات مأمور به على أن لا يكون في التقديم بخس لأحد أو هضم لآخرين، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

في صلة الرَّحم ثمرات، هي أسس في بناء الحياة: محبة الأهل، بسط الرزق، بركة العمر، يقول النَّبي ﷺ: «**صلة الرَّحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر**» (رواه أحمد)، وعند البخاري ومسلم: «**من أحبّ أن يُبسَط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره؛ فليصل رحمه**» قال ابن التين ـ رحمه الله ـ: «صلة الرَّحم تكون سبباً للتوفيق في الطاعة، والصيانة عن المعصية، فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت»، صلتها عبادة جميلة من أخصِّ العبادات، يقول عمرو بن دينار ـ رحمه الله ـ: «ما من خَطوة بعد الفريضة أعظم أجراً من خطوة إلى ذي رحم»، ثوابها مُعجّل في الدنيا، ونعيمٌ مدّخر في الآخرة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ليس شيء أُطيع الله فيه أعجلَ ثواباً من صلة الرحم**» (رواه البيهقي)، والقائم بحقوق ذوي القربى موعود بالجَنَّة، يقول النَّبي ﷺ: «**أهل الجَنَّة ثلاثة: ذو سلطان مقسط، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل غني عفيف متصدق**» (رواه مسلم).

بصلتهم تقوى المودة، وتزيد المحبة، وتتوثق عُرى القرابة، وتزول العدواة والشَّحناء، فيها التعارف والتواصل والشعور بالسعادة، صلة الرحم، والإحسان بالآخرين طرقها ميسرة، وأبوابها متعددة، فمن بشاشة عند اللقاء، ولين في المعاملة، إلى طيب في القول، وطلاقة في الوجه، زيارات وصلات، مشاركة في الأفراح ومواساة في الأتراح، وإحسان إلى المحتاج، وبذل للمعروف، نصحهم والنصح لهم، مساندة مكروبهم،

وعيادة مريضهم، والصفح عن عثراتهم،وترك مضارّتهم، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك، والمعنى الجامع لذلك كلِّه: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشرِّ.

صلة الرَّحم أمارة على كرم النَّفس، وسعة الأفق، وطيب المنبت، وحسن الوفاء، ولهذا قيل: من لم يصلح لأهله لم يصلح لك، ومن لم يذبَّ عنهم لم يذبَّ عنك، يقدم عليها أولوا التذكرة وأصحاب النُّهى ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

أيها المسلمون:

إنَّ ذوي الأرحام غير معصومين، يتعرضون للزَّلل، وينطقون بالخطأ، وتصدر منهم الهفوة، ويقعون في الكبيرة، فإن بدر منهم شيء من ذلك فالزم جانب العفو معهم، فإن العفو من شيم المحسنين، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وقابل إساءتهم بالإحسان، واقبل عذرهم إذا أخطؤوا، لقد فعل إخوة يوسف ما فعلوا، وعندما اعتذروا قبل عذرهم وصفح عنهم الصفح الجميل، ولم يوبخهم، بل دعا لهم وسأل الله المغفرة لهم ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٢]. غُضَّ عن الهفوات، واعفُ عن الزلات، وأقِل العثرات، تجني الود والإخاء؛ واللين والصفاء، وتتحقق فيهم الشهامة والوفاء، داوم على صلة الرَّحم ولو قطعوا، وبادر بالمغفرة وإن أخطؤوا، وأحسن إليهم وإن أساؤوا، ودع عنك محاسبة الأقربين، ولا تجعل عتابك لهم في قطع رحمك منهم، وكن جواد النَّفس كريم العطاء، وجانب الشُّح، فإنه من أسباب القطيعة، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**واتقوا الشُّح، فإن الشُّح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**» (رواه ومسلم).

إن مقابلة الإحسان بالإحسان مكافأة ومجازاة، ولكن الواصل من يتفضل على صاحبه ولا يتفضل عليه، يقول النَّبي ﷺ: «**ليس الواصل بالمكافيء، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها**» (رواه البخاري)، قيل لعبد الله بن مُحيريز ـ رحمه الله ـ: ما حقُّ الرَّحم؟ قال: «تستقبل إذا أقبلت، وتتبع إذا أدبرت»، وجاء رجل إلى النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأُحسنُ إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لئن كان كما تقول، فكـأنما تُسفُّهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك**» (رواه مسلم).

وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها، وتشهد عليه بقطيعة إن كان قطعها.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفَال: ٧٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

الروابط تزداد وثوقاً بالرَّحم، وقريبك لا يَمَلُّك على القُرْب، ولا ينساك في البُعْد، عِزُّه عِزُّك، وذِلُّه ذِلٌّ لك، ومعاداة الأقارب شرٌّ وبلاء، الرابح فيها خاسر والمنتصر مهزوم، وقطيعة الرَّحم من كبائر الذنوب متوعد صاحبها باللَّعنة والثُّبور، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣]. التدابر بين ذوي القربى مؤذن بزوال النعمة، وسوء العاقبة، وتعجيل العقوبة، يقول النَّبي ﷺ: «**لا يدخل الجَنَّة قاطع**» (متفق عليه)، قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «القاطع للرَّحم منقطع من رحمة الله»، عقوبتها معجَّلة في الدنيا قبل الآخرة، يقول النَّبي ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجّل الله لصاحبه العقوبة في الدُّنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرَّحم**» (رواه الترمذي).

وهي سبب للذلة والصغار، والضعف و التفرد، جالبةٌ للهمّ والغمّ، قاطع الرَّحم لا يثبت على مؤاخاة، ولا يُرجى منه وفاء، ولا صدق في الإخاء، يشعر بقطيعة الله له، مُلاحَقٌ بنظرات الاحتقار، مهما تلقى من

مظاهر التبجيل، لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستوحشون من الجلوس مع قاطع الرَّحم، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «أحرِّج على كل قاطع رحم لما قام من عندنا»، وكان ابن مسعود رضي الله عنه جالساً في حلقة بعد الصبح فقال: «أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربنا؛ وإن السَّماء مُرْتَجَةٌ ـ أي: مغلقة ـ دون قاطع رحم»، ومن كان بينه وبين رحم له عداوة فليبادر بالصلة وليعفُ وليصفح، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، وإن لِحُسن الخلق تأثيراً بالصلة، والزم جانب الأدب مع ذوي القربى، فإن من حفظ لسانه أراح نفسه، وللهدية أثر في اجتلاب المحبة واجتلاب المودة، وإذهاب الضغائن، وتأليف القلوب، والرأي الذي يجمع القلوب على المودة، كفٌّ مبذول، وبر جميل، وإذا أحسنت القول فأحسن الفعل، ليجتمع معك فصاحة اللسان، وثمرة الإحسان.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

معاناة مريض

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فتقوى الله نعم العمل، والإعراض عنها بئس الأمل.

أيها المسلمون:

الدنيا دار عمل وابتلاء، ولا يسلم العبد فيها من سُقم يُكدِّر صفوَ حياته، ومرضٍ يوهن قوَّته وحاله، والبلاء نعمة، والمرض والشدة بشارة، وربُّنا سبحانه يرحم بالبلاء، ويبتلي بالنَّعماء، ومرارة الدُّنيا للمؤمن هي بعينها حلاوة الآخرة، وكم من نعمة لو أعطيها العبد كانت داءه، وكم من محروم من نعمة حرمانه شفاؤه، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢١٦]، والبلاء عنوان المحبة، وطريق الجنَّة، يقول النَّبي ﷺ: «**إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإنَّ الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم، فمَنْ رضي**

فله الرِّضا، ومن سخط فله السَّخط» (رواه الترمذي)، والعافية من أجلِّ نعم الله على عباده، وأجزل عطاياه عليهم «**نعمتان مغبون فيهما كثير من النَّاس، الصِّحة والفراغ**» (رواه البخاري)، وهي من أوَّل ما يحاسب عليه العبد في الآخرة، يقول النَّبي ﷺ: «**أوَّل ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النَّعيم أن يقال له: ألم نُصِحّ لك جسمك ونرويك من الماء البارد؟**» (رواه الترمذي).

وإنَّ من أشدِّ التَّمحيص سلب العافية أو اعتلالها، وصفوة البشر عليهم الصَّلاة والسَّلام ابْتُلوا بالأمراض، دخل ابن مسعود رضي الله عنه على النَّبي ﷺ وهو يوعك فقال: يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً قال: «**أجل إني أوعك كما يوعك الرَّجلان منكم**» (متفق عليه)، وأحاط المرض بأيوب عليه السلام سنين عدداً.

في المرض رفعٌ للدَّرجات وحطٌّ للأوزار، «**ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطَّ الله به من سيئاته كما تحط الشَّجرة ورقها**» (متفق عليه)، والمريض يكتب له ما كان يعمل من النَّوافل في حال صحته، وفي المرض يكثر الدُّعاء وتشتد الضراعة، في مرض المؤمن زيادة لإيمانه وتوكله على ربه وحسن ظنه بمولاه، وهو علاج لأمراض النَّفس من الكبر والعجب والغفلة والغرور، والرَّشيد من يعتبر بنوائب عصره، ويستفيد الحنكة ببلاء دهره، وكل مصيبة في غير الدِّين عافية.

أيها المسلمون:

لا شافي إلا الله ولا رافع للبلوى سواه، والراقي والرقية والطبيب والدواء أسباب ييسر الله بها الشفاء، فافعل الأسباب، وتداو بالمباح، ولا تُقبِل على الطبيب بالكلية، فالمداوي بشر لا يملك نفعاً ولا ضراً، وتوكل على ربِّك وفوِّض أمرك إليه فهو النَّافع الضَّار ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٠]، والتجيء إليه فليس كل دواء ينفع، يقول النَّبي ﷺ: «**واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه**

الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء، لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك» (رواه الترمذي)، وأنفع الأدوية حُسْنُ التَّوكُّل على الله، والالتجاء إليه، وحسن الظَّنِّ به. والرُّقية بالقرآن وما جاء في السُّنة أنفع الأسباب لزوال العلل، وكذا الدُّعاء بقلب خاشع وذُلٍّ صادق ويقين خالص، والإكثار من الصَّدقة من خير الأدوية، وما ابتلى الله عباده بشيء إلا أعطاهم ما يستعينون به على ذلك البلاء.

وفي ديننا أدوية طبٍّ يقينية قطعية، أدوية طبّ إلهية من الوحي ومشكاة النَّبوة، تمر عجوة المدينة وقاية من السُّم والسِّحر، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من تصبَّح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر**» (رواه مسلم)، والماء دواء للحُمَّى؛ يقول النَّبي ﷺ: «**الحمى من فيح جهنَّم فأبردوها بالماء**» (متفق عليه)، والعسل لم يخلق لنا شيء في معناه أفضل منه، ولا مثله ولا قريباً منه، والحجامة خير الأدوية يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**خير ما تداويتم به الحجامة**» (متفق عليه)، وفي عجوة عالية المدينة شفاء يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ألا إنَّ في عجوة العالية شفاء أو ترياق أول البكرة**» (رواه مسلم)، والحبَّة السَّوداء شفاء من الأسقام كلها يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**عليكم بهذه الحبة السوداء؛ فإن فيها شفاء من كل داء إلا السَّام** ـ أي: الموت ـ» (متفق عليه)، ومن الأمراض ما شفاؤها بالقرآن والأدعية النبوية، كإبطال السِّحر وإخراج الجانّ وإبطال أثر العين، وعند المسلمين ماء مبارك هو سيد المياه وأشرفها وأجلها قدراً، ينبع من أرض مباركة في بيت الله الحرام، ماء زمزم طعام طُعْم وشفاء سُقْم، وتلك الأدوية النَّبوية الشَّافية إنما ينتفع بها من تلقاها بالقبول واعتقد الشِّفاء بها.

وبكثرة الاستغفار تزول الأمراض ويقل أثرها، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

أيها المسلمون:

إخلاص العمل لله هو مدار القبول، وبالإخلاص يبارك في القليل من العمل ويحسن الفعل، والطَّبيب المسلم يتطلَّع إلى الجديد من علوم المعرفة لخدمة المسلمين مع عدم الإخلال بما جاءت به الشَّريعة فيؤمن بالسِّحر وتأثيراته على البدن، ولا ينكر الجانّ وتلبسه بالإنس، وما قد يحدثه من تصرفات على العقل، ويصدق بالعين وأنها حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، ويؤمن بالغيبيات ويصدق بالمحسوسات.

الطَّبيب مؤتمن على الأسرار والعورات، حقه أن يستر على المرضى ولا يبدي أمراضهم، ولا يبث شكواهم، يعاملهم بالرأفة والرحمة، المرضى أفشوا لك أسرارهم، وبثُّوا إليك بعد الله شكواهم، أسلموا لك أجسادهم وعقولهم بل وأرواحهم، فراقب الله في قولك وفعلك، فلفظك عند المرضى محكم، ورأيك في قطع أجسادهم مُسلَّم، والمريض ابتلي بداء المرض لا لنقص فيه بل لحكمةٍ أرادها الله له، رفعة وتطهيراً، فلا تزدره لمرضه، ولا تحتقره لبلواه، والطبيب إن تكبر بعلمه وضعه الله به، ومن كمال العقل أن يقول عمّا جهله لا أعلمه، فما ينغلق على أحد قد يفتح لآخر، وهناك أدواء طُوِيَ علمها عن البشر، فلا تخجل من إظهار عدم العلم والمعرفة بعلة المريض.

والحلم والصَّبر من أهمِّ صفات المحتسبين، فلا تتضجر من شكوى المريض وبثّ أحزانه أو سوء خلقه، فإن لصاحب الحق مقالاً، والتلطف بالمريض والرفق به حسنٌ في الرَّأي وكمالٌ في الدِّراية، والله تعالى يحب الفأل فبشِّر المريضَ بقرب انفلاج الكرب، فالنَّفس إن استشعرت أن لدائها دواء، تعلَّق قلبُها بروح الرَّجاء.

وآية الله في إبداع خلق الإنسان عند الأطبَّاء قائمة ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، في عظمة خلق الله في الإنسان ما بهر العقلاء ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: ٤]، ذلك الخلق يدعو غير المسلم إلى

الإسلام ويزيد في إيمان المسلم، فليتخذ الطَّبيب من عمله عبادة بالتفكر في آلاء الله للقرب من الله، وليكن داعية لهذا الدِّين بما بدا له من عظيم الصنع والإتقان، والمعصية تغلق أبواب المعرفة، وقد حرم الإسلام الخلوة بالمرأة لكشف الداء أو غيره، والواجب على المسلم أن يعمل بالشرع في كل مكان، واختلاط العاملين في دور طلب الشِّفاء يضعف الكسب العلمي، وينزع بركة التداوي، وهو من أسباب بُعْد المرء عن الله، وحلول الأسقام، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضرّ على الرِّجال من النِّساء**» (متفق عليه)، وفي الطاعة فتح للمعارف وسمو بالأرواح، وإتقان للأعمال، والمرضى والمداوون واجبهم أن يكونوا من أقرب النَّاس إلى الله، لحلول الكرب بهم، والمحنة إذا اشتدَّت لا فارج لها إلا الله، والبعد عن الله في الرَّخاء وعصيانه في الشِّدة من موجبات الشَّقاء.

أيها المسلمون:

من الثَّبات والكمال الصَّبر والرِّضا بالمقدور، فارْضَ ـ أيُّها المريض ـ بما قسم الله لك تكن أعبد النَّاس، واصبر صبر الكريم طوعاً لا صبر المتجزع دفعاً، فعاقبة الصبر إلى خير، وعلى قدر الإيمان يكون الصبر، والتحمل والصبر خير لأهله ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، ومن صبر ورضي فالله مدخر له ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة، وتذكر أنه ما ابتلاك إلا ليطهرك ويرفع درجتك، وأن ما وهبك الله من النِّعم أضعاف ما أخذ منك، أُصيب عروة بن الزبير بفَقْد ولده فقال: «لئن ابتليت فقد عافيت، ولئن أخذت فقد أبقيت»، والجزع لا يردُّ المرض بل يضاعفه، وإذا أصبت بداء، فاحمد الله أنك لم تصب بأكثر من داء، وأحسن المناجاة في الخلوة، ولا تنس ذكر الله شكراً على العطاء وصبراً على البلاء، فما أقبح أن يكون المرء أوَّاهاً في البلاء ثم يكون عاصياً في الرَّخاء.

وحين تلوح لك بوادر الشِّفاء، وتسعد ببدء زوال البلاء، فاقدر لنعمة العافية قدرها، واعرف فضل وكرم منعمها، وأدم التعلّق بحبل الله، وتعرَّف عليه في الرَّخاء؛ يعرفك في الشِّدة، وإياك والاغترار بالعافية، فالأيام دُوَل، وأقبل على الله بالتَّوبة الصَّادقة، وخذ العبرة من الأيام والأحداث، واحذر مزالق الشَّيطان بإساءة الظَّنّ بالله، أو التَّسخط والتجزع على أقدار الله، فهو سبحانه الرَّحيم بخلقه، الرَّؤوف بعباده، الدَّافع للبلوى، السَّامع لكل شكوى.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

خير ما يداوي به المريض أدواءه، تفقُّد قلبه وصلاحه، وتقوية روحه وقواه، بالاعتماد على الله والتوكل عليه والالتجاء إليه والانطراح والانكسار بين يديه، والتَّذلل له والصَّدقة والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، والإحسان إلى الخلق وإغاثة الملهوف، والتفريج عن المكروب، يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا لها من التأثير في الشِّفاء ما لا يصل إليه علم الأطباء، وقد جرَّبنا نحن وغيرنا من هذا أموراً كثيرة ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية».

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...

قضـاء حاجـة المسلـم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالتَّقوى في مخالفة الهوى، والشَّقاء في مجانبة الهدى.

أيها المسلمون:

فاضل الله بين عباده في الشَّرف والجاه والعلم والعبادة، وسخَّر بعضهم لبعض ليتحقق الاستخلاف وتُعمَر الأرض ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزّخرُف: ٣٢]، وفي شكوى الفقير ابتلاءٌ للغني، وفي انكسار الضعيف امتحانٌ للقوي، وفي توجُّع المريض فتنة للصَّحيح، ومن أجل هذه السنة الكونية جاءت السنة الشرعية بالحثِّ على التَّعاون بين النَّاس، وقضاء حوائجهم، والسَّعي في تفريج كروبهم، وبذل الشَّفاعة الحسنة لهم؛ تحقيقاً لدوام المودَّة وبقاء الألفة وإظهاراً للأخوَّة. والدِّينُ إنما هو ذُلَّ العبادة وحسن المعاملة، قال ابن

القيم ـ رحمه الله ـ: «وقد دلَّ العقل والنَّقل والفطرة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها، على أنَّ التقرب إلى ربِّ العالمين والبرِّ والإحسان إلى خلقه، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكلِّ شرّ، فما استُجلبت نِعَم الله واستُدفِعت نقمُه بمثل طاعته والإحسان إلى خلقه».

ونفع النَّاس والسَّعي في كشف كروبهم من صفات الأنبياء والرُّسل، فالكريم يوسف عليه السلام مع ما فعله إخوته به جهزهم بجهازهم ولم يبخسهم شيئاً منه، وموسى عليه السلام لمّا ورد ماء مدين وجد عليه أمة من النَّاس يسقون ووجد من دونهم امرأتين مستضعفتين، رفع الحجر عن البئر وسقى لهما حتى رويت أغنامهما، وخديجة رضي الله عنها تقول في وصف نبينا محمَّد ﷺ: «إنك لتصل الرَّحم وتحمل الكلَّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق»، وأشرف الخلق محمَّد ﷺ إذا سئل حاجة لم يرد السائل عن حاجته، يقول جابر رضي الله عنه: «**ما سُئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا**» (متفق عليه)، والدنيا أقل من أن يرد طالبها، وعلى هذا النهج القويم سار الصحابة والصالحون، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعاهد الأرامل يسقي لهن الماء ليلاً، وكان أبو وائل يطوف على نساء الحي وعجائزهن كل يوم، فيشتري لهن حوائجهن وما يصلحهن.

إن خدمة النَّاس ومسايرة المستضعفين دليل على طيب المنبت ونقاء الأصل وصفاء القلب وحسن السَّريرة، وربُّنا يرحم من عباده الرُّحماء، ولله أقوام يختصهم بالنعم لمنافع العباد، وجزاء التفريج تفريج كربات وكشف غموم في الآخرة، يقول النَّبي ﷺ: «**من نفَّس عن مؤمن كُرْبةً من كُرب الدُّنيا، نفَّس الله عنه كُربةً من كُرَبِ يوم القيامة**» (رواه مسلم)، وفي لفظ له «**من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفّس عن معسر أو يضع عنه**»، السَّاعي لقضاء الحوائج موعود بالإعانة مؤيد بالتوفيق، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

في خدمة النَّاس بركة في الوقت والعمل، وتيسير ما تعسر من الأمور، يقول النَّبي ﷺ: «**من يسَّر على مُعسرٍ يسَّر الله عليه في الدُّنيا والآخرة**» (رواه مسلم).

نبلاء الإسلام وأعلام الأمة شأنهم قضاء الحوائج، يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «كان شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ يسعى سعياً شديداً لقضاء حوائج المسلمين» بهذا جاء الدِّين، علمٌ وعملٌ، عبادةٌ ومعاملةٌ، ببذل المعروف والإحسان تَحْسُن الخاتمة وتُصرف ميتة السُّوء، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**صنائع المعروف تقي مصارع السُّوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدُّنيا هم أهل المعروف في الآخرة**» (رواه ابن حبان في صحيحه)، في بذل الجاه للضعفاء ومساندة ذوي العاهة والمسكنة نفعٌ في العاجل والآجل، يقول النَّبي ﷺ: «**رُبَّ أشعثَ أغبرَ مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه**»، ومَنْ للضعفاء والأرامل واليتامى بعدَ المولى؟ بدعوة صالحة منهم مستجابة تسعد أحوالك.

والدُّنيا محن، والحياة ابتلاء، فالقوي فيها قد يضعف، والغني ربَّما يُفلِس، والحي فيها يموت، والسَّعيد من اغتنم جاهه في نفع المسلمين، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «من مشى بحق أخٍ له ليقضيه، فله بكل خطوة صدقة»، والمعروف ذخيرة الأبد، والسَّعي في شؤون النَّاس زكاة أهل المروءات، ومن المصائب عند ذوي الهمم عدم قصد النَّاس لهم في قضاء حوائجهم، يقول حكيم بن حزام رضي الله عنه: «ما أصبحت وليس على بابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب»، وأعظم من ذلك أنهم يرون أن صاحب الحاجة منعم ومتفضل على صاحب الجاه حينما أنزل حاجته به، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «ثلاثة لا أكافؤهم: رجل بدأني بالسَّلام، ورجل وسَّع لي في المجلس، ورجل اغبرّت قدماه في المشي إليّ إرادة التسليم عليّ، فأما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله، قيل: ومن هو؟ قال: رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر بمن ينزله ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي».

وعلى طالب الحاجة والشَّفاعة أن لا يطلب الحوائج إلا من أهلها، ولا يطلبها في غير حينها، ولا يطلب ما لا يستحق منها، فإنَّ من طلب ما لا يستحق استوجب الحرمان.

وليتخير من الكلام أطيبه، ومن القول أعذبه، ولا لوم على من رُدَّت شفاعته، ولو عظم قدر الشَّافع فقد رَدَّت امرأة شفاعة خير الخلق ﷺ حينما قال لها: «**لو راجعته،** قالت: يا رسول الله تأمرني؟ **قال: إنما أنا أشفع،** قالت: لا حاجة لي فيه» (رواه مسلم).

وإذا قُضيت حاجة المرء فينبغي شكر الشَّافع والمشفوع عنده، يقول النَّبي ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر النَّاس**» (رواه أحمد)، ويقول: «**من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تُروا أنكم قد كافأتموه**» (رواه النسائي).

وإذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشُّكر، فخير مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر.

فاتَّقوا الله وأعينوا إخوانكم وتواصوا بالحقِّ والعدل، وتعاونوا على البرِّ والتَّقوى، فلن يبقى للإنسان إلا عمله وذكره بالخيرات في النَّاس، والمرء حي بسجاياه، وإن كان موسَّداً مع أهل القبور في لحده.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد: أيها المسلمون:

من أعظم ما يفسد المعروف المنّ به وذكره عند النَّاس، فالمنة تهدم الصنيعة، ولا خير في المعروف إذا أُحصي، والمعروف لا يتم إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره، فإنه إذا عجَّله هنّأه، وإذا صغَّره عظَّمه، وإذا ستره تمَّمه، ومن محاذير الشَّفاعة: أن تشفع في أمر محرم، أو اقتطاع حقّ امريء مسلم، أو إلحاق الضرر به، أو تقديم مؤخرٍ، أو تأخير مُقدَّم، والإسلام دين عدل يأمر بالمصلحة وينهى عن المفسدة، والشفاعة في الحدود من أعظم المنكرات.

وصلُّوا وسلِّموا على خير خلق الله محمَّد بن عبد الله فقد أمركم الله بالصَّلاة والسَّلام عليه. . .

أكـثر أهـل الجَـنَّـة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فعند الله للأتقياء مزيد، ولهم النَّجاة يوم الوعيد.

أيها المسلمون:

فاضل الله بين عباده بالرِّزق والعطاء، ابتلاء لهم وامتحاناً قال سبحانه: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ**﴾ [المائدة: ١٦٥]. أغنى من شاء منهم بفضله، وأفقر آخرين بحكمته، قال جلَّ وعلا: ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ**﴾ [الفرقان: ٢٠]، وفي المجتمع فئة هم أكثر أهل الجَنَّة، أعلى الله منزلتهم وإن احتقرهم بعض الخلق، أدناهم الله منه وإن جفاهم النَّاس، يقول النَّبي ﷺ: «**اطَّلعت في الجَنَّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطَّلعت في النَّار فرأيت أكثر أهلها النِّساء**» (متفق عليه)، هم أقرب النَّاس إلى الأنبياء وأكثر أتباع الرسل، قال جلَّ شأنه حكاية عن قوم نوح عليه السلام: ﴿**قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ**

لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، وقال هرقل لأبي سفيان: «سألتك عن أتباع محمَّد فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، قال: وهم أتباع الرُّسل» (رواه البخاري)، أمر الله نبيه ﷺ أن يكون إقباله عليهم، وأنزل الله العتاب على نبيه ﷺ في الإعراض عنهم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [عبس: ١ ـ ٤]. من لم يدن منهم أو يأمر بالإحسان إليهم كان موبَّخاً في كتاب الله ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨].

صرف الله عنهم فتنة هذه الأمة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لكلِّ أمة فتنة وفتنة أمَّتي المال**» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح). يغضب الله على من بخسهم حقاً من حقوقهم، أصحاب الجَنَّة الذين ذكرهم الله في سورة القلم، منعوا الفقير تكثراً لأموالهم فأحرق الله زروعهم ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩، ٢٠]، دعواتهم حَرِيَّة بالإجابة لخلو قلوبهم من التعلق بزخرف الحياة، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «والله عند المنكسرة قلوبهم». خير الأطعمة ما شهدوها، يقول النَّبي ﷺ: «**شرُّ الطَّعام طعام الوليمة، يُدعى لها الأغنياء ويُترك الفقراء**» (متفق عليه)، «وكان ابن عمر رضي الله عنه لا يأكل حتى يؤتى بمسكين يأكل معه» (متفق عليه). إطعامهم موجب للجنان، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أفشوا السَّلام وأطعموا الطَّعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والنَّاس نيام، تدخلوا الجَنَّة بسلام**» (رواه الترمذي).

السَّاعي عليهم كالمجاهد والعابد، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**السَّاعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل**» (متفق عليه). وكان نبينا محمَّد ﷺ أقرب النَّاس إليهم، يتلمس أحوالهم ويقضي حاجاتهم، يقول سهل بن حنيف رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم» (رواه أبو يعلى). وكان جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يكنى بأبي

المساكين يحبهم ويسكن بجانبهم، ويكثر من الصَّدقة عليهم، في مجالستهم نماء المال، وصفاء النَّفس، وزهدٌ في الدنيا، وتذكيرٌ بالنِّعم، وشحذٌ للهمم إلى الآخرة، في القرب منهم تنفتح أبواب الرزق، يقول النَّبي ﷺ: «**قال الله عزَّ وجل: «أنفِق أُنفِق عليك**» (رواه البخاري).

هم سبب دفع الآفات والشرور، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟**» (رواه البخاري)، قال المناوي ـ رحمه الله ـ: «بسبب كونهم بين أظهركم أو بسبب رعايتكم ذمامهم أو ببركة دعائهم»، وكان الخلفاء يطلبون النصر بإكرامهم والبذل لهم، يقول الخليفة نور الدين ـ رحمه الله ـ وهو يقرب الفقراء إليه ويحنوا عليهم: «هم قوم يقاتلون عني وأنا نائم على فراشي بسهام لا تخطيء» ـ أي: بالدعاء ـ، فأكرم نفسك بإكرامهم وقضاء حوائجهم.

ولا تحتقر فقيراً لقلة ذات يده، ففي الفقراء عظماء وجهابذة وحُفّاظ ونبلاء، فالإمام البخاري جمع كتابه الصحيح الذي هو غرة في جبين الزمان، ولم يكن عنده ما يشتري به طعاماً بل كان يأكل من نبات الأرض، والإمام أحمد الذي قال عنه الذهبي: «هو الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً» يرهن نعليه عند خباز على طعام أخذه منه، وأشرف قرن في الزمان ـ قرن صحابة رسول الله ﷺ ـ مسَّ الجوع بطونهم، يقول المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «كنا في بلاء شديد، نمصُّ الجلد والنوى من الجوع» (رواه البخاري)، وراوية الإسلام حاوي العلم أبو هريرة رضي الله عنه كان أحدَ أعلام الفقراء يقول: «لقد رأيتني وإني لأخِرُّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشياً عليّ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويظن أني مجنون، وما بي جنون، ما بي إلا الجوع» (رواه البخاري)، ونبينا محمَّد ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله لا يجدون عشاء (متفق عليه)، وخرج من داره مراراً من شدة الجوع، وربط على بطنه حجراً وحجرين تخفيفاً لألم الجوع، يقول أبو طلحة رضي الله عنه: «سمعت

صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً من الجوع»، ومات عليه الصَّلاة والسَّلام ولم يُخلِّف درهماً ولا ديناراً ولا شاة ولا بعيراً، وخرج أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من دارهما من ألم الجوع، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: **ما أخرجكما من بيوتكما هذه السَّاعة،** قالا: الجوع يا رسول الله، قال: **وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما**» (رواه مسلم)، فلا تتعالى على فقير، ففيهم مجاب الدَّعوة المقرّبُ من الله، يقول النَّبي ﷺ: «**رُبَّ أشعث مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه**» (رواه مسلم).

والفقراء يحملون زاد الأغنياء للآخرة، ولولا المساكين ما انتفع الغني بغناه، وللفقير فضل عليك في قبول صدقتك، فإن قبلها الله منك رفعك الله بها درجات، وطريق الغنى والسعة في الأغلب طريق عطب، والزمان ذو تقلب تصبح غنياً وقد تمسي فقيراً، فاحفظ مالك بالإنفاق، ولا تردَّ فقيراً بلا عطاء، فما اشتكى فقير إلا من تقصير غني، يقول ابن العربي ـ رحمه الله ـ: «يستحب في الجملة أن لا يرجع الفقير خائباً لئلا يتعين له حق، فيتوجه على المسئول عتاب أو عقاب».

فشاطر الفقراء أفراحهم وآلامهم بالبشاشة والابتسام، واجعل الفقير أحد أفراد أسرتك، وأحبّه وادنُ منه مع حسن الملاطفة واللين، وتأسَّ بذوي الكرم والتواضع والسخاء، يقول عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: «حُبِّب إليَّ من الدنيا ثلاثة: إشباع جائع، وكسوة العاري، وتلاوة القرآن»، واخفض له جناح الذُّل بالعطاء، فالإنفاق عليه من أسباب الثبات على الدين، سُئل النَّبي ﷺ: أيّ الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السَّلام على من عرفت ومن لم تعرف**» (رواه البخاري)، واليسير من البذل يستر من النَّار، يقول النَّبي ﷺ: «**يا عائشة استتري من النَّار ولو بشق تمرة، فإنها تسدُّ من الجائع مسدَّها من الشَّبعان**» (رواه أحمد).

والصَّدقة تدفع البلاء، وتقي مصارع السّوء، وتطفيء الخطيئة، وتهوّن

شدائد الدنيا والآخرة، ويستظل صاحبها بها في المحشر حتى يُقضى بين الخلائق، وتحفظ المال وتنميه، وتجلب الرزق وتحبب العبد إلى الله، وتدعوه إلى سائر أعمال البر، فلا تستعصي عليه، والمنفق تتيسر له أمور الحياة، قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]، وفي صبيحة كل يوم يدعو ملك للمنفق ماله، يقول النَّبي ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللّهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللّهم أعط ممسكاً تلفاً**» (متفق عليه)، والغني الجشع لا لنفسه انتفع ولا ببذله للفقراء ارتفع، والمال يعرض له الشّر بعارض البخل أو الإسراف في إنفاقه ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨].

والمال كالحجر في اليد لا يُنتفع به إلا إن فارق الكفّ، والممسك يندم إذا دنا أجله، قال جلَّ وعلا: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

والمال صاحب لا يؤمن أن ينقلب عدوّاً، فيُحرمَ صاحبَه الثّواب، وإنما يحمد المال، إذا قرب من الخير والفقير، يقول النَّبي ﷺ: «**نعم صاحب المسلم هو لمن أعطي منه، المسكين واليتيم وابن السَّبيل**» (متفق عليه)، والمرء يُبتلى على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد فيه، ولا ينجو العبد من الابتلاء إلا بالصَّبر والتعلق بالله.

وعلى الفقير ملازمة التَّقوى، فبها تتيسر للمعسر أبواب الرِّزق قال جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، وبمداومة الاستغفار يغدق المال قال سبحانه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢]، والتجيء إلى الله

بالدُّعاء، وسَلْهُ فتح أبواب رحمته وخيره، فهو الكريم الوهاب يعطي من يشاء بغير حساب، وأحسن الظن بربك، وانتظر فتح أبواب الرِّزق لك، ولا تعجل في تفريج الكرب، ولازم الصَّبر فقد يكون الرَّبُّ مدَّخراً لك خيراً في أخراك، يقول النَّبي ﷺ: «**يدخل الفقراء الجَنَّة قبل الأغنياء بخمسمائة عام**» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)، ولا تركن إلى الأسباب وحدها في طلب الرِّزق بل اجعل معها سؤال ربِّك، فالمكتوب من الرِّزق قد يصل إلى الضعيف العاجز، ويضيق على الجلد القوي، وكلُّ شيء عنده بمقدار.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

الإخلاص واقتفاء أثر النَّبي ﷺ في التَّعبد شرطان في قبول العمل، وكان النَّبي ﷺ يكثر الصِّيام في شهر شعبان، تقول عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان» (رواه البخاري)، ولـم يكـن النَّبي ﷺ يـخصُّ النِّصف من شعبان بالصيام ولا ليلتها بالإحياء، ولم يثبت عنه عليه الصَّلاة والسَّلام في ذلك شيء، ومن كان عليه صيام من أيام رمضان المنصرم فليبادر إلى صيامه قبل إدراك شهر رمضان.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

فتـنـة المــال

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالتَّقوى أربح المكاسب، وأجزل المواهب.

أيها المسلمون:

جعل الله الفقر والغنى مطيتين للابتلاء، يُمتَحن بهما شكر الأغنياء وصبر الفقراء، وجعل الدنيا متاعاً زائلاً، وحفها بالشَّهوات، وأصل شهواتها المال، وهو فتنة هذه الأمة، يقول النَّبي ﷺ، «**إنَّ لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال**» (رواه الترمذي)، وهو من موازين الابتلاء ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التّغَابُن: ١٥]، يعلق بالمخلوق ويكبر معه وأضل الكافرين ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نُوح: ٢١]، وأشغل المنافقين ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفَتْح: ١١]، وألهى أفراداً من المسلمين ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢]، وقد يُخْرِج العبد من ديانة ويدخله في أخرى، فشرع الإسلام إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزَّكاة طمعاً في إسلامهم، وقد يفتن المسلم في دينه، يقول

النَّبي ﷺ : «**يصبح الرَّجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدُّنيا**» (رواه مسلم).

والشَّيطان مسلط بالعثو في الأموال ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ﴾ [الإسراء: ٦٤]، وهو من أسباب طغيان العبد وعصيانه ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]، وهو زينة الدنيا وخداعها ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، والحرص عليه مما يفسد الدين، وإفساده للدين بالحرص عليه أشد من إفساد الذئبين الجائعين إذا أرسلا على غنم، يقول النَّبي ﷺ : «**ما ذئبان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**» (رواه الترمذي)، ومطامع النَّفس فيه لا تنقضي ما لم تلجم بلجام القناعة والشُّكر، قال النَّبي ﷺ : «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التُّراب**» (متفق عليه). وهو مما يخشاه المصطفى على أمته، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام : «**ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم**» (متفق عليه).

والفقراء المستحقون للجنة يسبقون الأغنياء المستحقين لها، قال النَّبي ﷺ : «**يدخل فقراء المسلمين الجَنَّة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام**» (رواه الترمذي)، وكل عبد يسأل يوم يلقى ربه عن صفة كسبه أَمِن حلال هو أم من حرام؟ وكيف أنفق؟ قال عليه الصَّلاة والسَّلام : «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**» (رواه الترمذي).

وفي التكاثر منه شغل عن الآخرة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢]، وهو لا يقرب من الله شيئاً، إنما يقرب الإنفاق منه والعمل الصالح ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ٣٧]، وهو دمع الألم والمشقة والجامع له خادم

لغيره ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [الهُمَزة: ٣]، فالمال لغيرك وجمعه وجهده عليك، يقول النَّبي ﷺ: «**يتبع الميِّت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**» (متفق عليه).

ولا قلب يصفو ولا عمل يزكو ولا أمل يُرجى لمن كدح في الدنيا بالكسب الحرام، والبؤس والشَّقاء يحيطان به، والبركة تنزع من ماله، ويتلاشى النَّفع منه، قال سبحانه: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٦]، وملذاته وزينته تنزع منه، قال سبحانه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النِّساء: ١٦٠، ١٦١]، وقد يظهر شؤم المال المحرم على الجوارح، وقد يكون من أسباب عقوق الأبناء لوالديهم، قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: «إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وجاريتي»، وإذا لامس المال الحرام الجسد لم يسمع الدُّعاء، ذكر النَّبي ﷺ، «**الرَّجل يطيل السَّفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السَّماء يا ربّ يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك**» (رواه مسلم). قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «هذا مثال لاستبعاد قبول الأعمال مع التغذية المحرمة».

والقلوب من صاحب المال الحرام نافرة، يقول أبوالدرداء رضي الله عنه: «إن العبد ليخلو بمعصية الله فيُلْقِي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر». وقد يتحسر آكل الحرام عند الممات، قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «كم قد سمعنا عن صاحب مال أطلق نفسه في شهواتها، ولم ينظر في حلال وحرام، فنزل به من الندم وقت الموت أضعافَ ما التذّ، ولقى من مرير الحسرات»، والشُّبهة في المال أُخية الحرام، قال النَّبي ﷺ: «**ومن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام**» (متفق عليه). وفي الحلال غنية عن الحرام والشُّبهات ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ

ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النّحل: ١١٤]، ومن تجاوز الحلال ووقع في الشُّبهات، فما أخلقه بأن يخالط الحرام المحض ويقع فيه، يقول النَّبي ﷺ: «**من اجترأ على ما يَشُكُّ فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان**» (رواه البخاري). وفي رواية: «**من يخالط الريبة يوشك أن يجسر**» (رواه النسائي). أي: يتجرأ على شبهة أخرى أغلظ منها حتى يقع في الإثم.

وإيَّاك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى مع مقاربة الفتنة فإنَّ الهوى مكايد، وأعظم الخلق اغتراراً من أتى ما يكرهه الله، وفساد المال في التأوُّلِ فيه، قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «لا يشبع الرجل من الشبهة»، وشهوات الدنيا مصائد هلاك، والدنيا مفازة فينبغي أن يَصْحب فيها التَّقوى لا الطَّمع والهوى، وبمجانبة الشُّبهات والبعد عنها جاء الإسلام، يقول النَّبي ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**» (رواه الترمذي). ومرَّ النَّبي ﷺ بتمرة في الطريق فقال: «**لولا أني أخاف أن تكون من الصَّدقة لأكلتها**» (متفق عليه). وبالورع أخذ السلف وعمل به الصحابة، «أطعم رجل أبا بكر الصِّديق رضي الله عنه طعاماً من مال تكهّن به في الجاهلية، فلما علم أبو بكر رضي الله عنه بذلك أدخل يده في فمه وتقيأ كلّ شيء في بطنه».

وقد يُمدّ العبد بالمال استدراجاً له، قال سبحانه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ [المدثر ١١، ١٢]، وكم من مُعجب بماله هلك؟ ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤]، فأُهلك حرثه، وقارون أغنى أهل زمانه بغى فخُسِفَ به، قال سبحانه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القَصَص: ٨١]، ومن اغتر بالمال قد يسلب إياه، كما قص الله في كتابه قصة أصحاب البستان في سورة القلم، وفي الصحابة والأعلام أغنياء شاكرون، فلعثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وعبدالله بن المبارك رحمه الله من الأموال ما لا يجهل فلم ينقطعوا عن الله بدنياهم، ولم يفخروا ولم يستكبروا بها، بل ساروا بها إلى الله فكانت طريقاً لهم إلى الجَنَّة.

والمال الطيِّب يتضاعف، والمحرم وإن كان كثيراً يتلاشى، قال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المَائدة: ١٠٠]، ومن أخذ المال من غير حله نزعت بركته، وكان كمن يشرب من ماء البحر، قال النَّبي ﷺ: «**إنه من يأخذُه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيداً عليه يوم القيامة**» (متفق عليه). والأعمال تطيب بطيب المطعم «**إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلا طيِّباً**» (رواه مسلم).

والرُّسل طعامهم وشرابهم طيِّب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وأمر المؤمنون بذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٧٢]، والمال بالبركة فيه لا بكثرته، وعماد البركة بالصِّدق فيه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام «**فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما**» (متفق عليه)، ومن كان كسبه حلالاً كانت دعوته أحرى بالإجابة، قيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله؟ فقال: ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين مجيئها؟ ومن أين خرجت؟».

والعمل يزكو بأكل الحلال، وفي ترك الذنوب صيانة المال من الزوال أو القلة أو نزع البركة، والمال يحمد بالعطاء ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]، والمال إن لم ينفع صاحبه ضره، وأربح النَّاس من جعله وسائل إلى الله والدار الآخرة «**نعم المال للمرء الصالح**» (رواه أحمد)، وأخسرهم من توسل به إلى هواه ونيل شهواته ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المَسَد: ٢].

والمنفق ابتغاء وجه الله هو الذي عرف حقيقة المال، يقول النَّبي ﷺ: «**إنَّ الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا، يعني ببذله**» (متفق عليه)، وإذا رزقك الله مالاً فخذه بسخاوة نفس ليبارك لك فيه، ولا تأخذه بإشراف أو حرص، قال النَّبي ﷺ: «**من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه**» (متفق عليه)،

والمقتدر السعيد من تدارك عمره بتخصيص وقف لـه بعد مماته، مع سخاء بالبذل في حياته، مع وصية مشمولة بالبرِّ والخير تنفذ بعد رحيله، وفي النَّاس أغنياء وإن لم يملكوا أموالاً بغنى قلوبهم مما يملكون وتعففهم عما لا يملكون، قال النَّبي ﷺ : «**ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النَّفس**» (متفق عليه)، وأفقر الأغنياء من حرم نفسه من الإنفاق، وأغنى الفقراء غني النَّفس المتعففُّ عن السُّؤال، والسَّعيد منهما من أكثر من الطاعات، واجتنب المعاصي، ومن كان غناه في قلبه لم يزل غنياً، ومن كان غناه في كسبه لم يزل فقيراً، ومن قصد المخلوقين لحوائجه لم يزل محروماً، والزُّهد أن تترك الدنيا من قلبك وهي في يدك، لا أن تتركها من يدك وهي في قلبك.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنَافِقون: ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد أيها المسلمون:

الفقر إلى الله والتذلُّل له هو عين الغنى، وأذل الخلق بين يديه هو أعزهم، وإعطاء المال للعبد لا يدل على رضاه ومنعه منه لا يدل على سخطه، إنما يعطي لتكرمه ويمنع لحكمته ابتلاءً لخلقه ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ولو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً منها شربة ماء، ومن نظر في دنياه إلى من هو فوقه أسف على ما فاته، ومن نظر إلى من دونه في المال شكر نعم الله السابقة عليه، ومِنْ قواعد الشَّريعة: النظر إلى من هو أعلى منك في الدِّين، ومن هو أدنى منك في الدُّنيا، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم** ـ أي: من الدنيا ـ **ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمه**» (رواه مسلم)، ومن أنعم الله عليه بالاستقامة في الدِّين مع الرِّزق الكفاف والقناعة به فقد نال السَّعادة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه**» (رواه مسلم).

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

مـواطـن البـركــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فتقوى الله نور البصائر، وبها تحيا القلوب والضمائر.

أيها المسلمون:

يسعى الخلائق في هذه الحياة بألوان من الأعمال شتى، يضمحلّ منها ما كان في معصية الله وسخطه، ويزهو ما كان في مرضاة الله وطاعته، قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، وكل شيء لا يكون لله فبركته منزوعة، والربُّ هو الذي يبارك وحده، والبركة كلها منه، وهو سبحانه تبارك في ذاته، ويبارك فيمن شاء من خلقه، قال جلَّ وعلا: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥]، وكل ما نسب إليه فهو مبارك، واسمه تعالى مبارك تنال معه البركة، قال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٨]، والله جلَّ وعلا برحمته يأتي

بالخيرات، وبفضله يضاعف البركات، وليست سعة الرِّزق والعمل بكثرته، ولا زيادة العمر بتعاقب الشهور والأعوام، ولكن سعة الرِّزق والعمر بالبركة فيه، بالعمل المبارك يكتسب الذِّكر الجميل في الحياة، وجزيل الثَّواب في الآخرة؛ به طهارة القلب، وزكاة النَّفس، وعلو الخلق، والبركة ما كانت في قليل إلا كثَّرته، ولا في كثير إلا نفعته، ولا غنى لأحد عن بركة الله، حتى الأنبياء والرُّسل يطلبونها من خالقهم، يقول النَّبي ﷺ: «**بينما أيوب يغتسل عرياناً، فخرَّ عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحتثي في ثوبه فناداه ربه: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى وعزَّتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك**» (رواه البخاري).

والرُّسل والدُّعاة مُباركون بأعمالهم الصَّالحة، ودعوتهم إلى الخير والهدى، قال عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، ونوح عليه السلام أُهبط ببركات من الله ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [هود: ٤٨]، ودعا نوح عليه السلام ربَّه بالمنزل المبارك ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩]، وألقى الله البركة على إبراهيم عليه السلام وآله قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢، ١١٣]، وبارك فيه وفي أهل بيته ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «هذا البيت المبارك المطهر، أشرف بيوت العالم على الإطلاق، فلم يأت بعد إبراهيم عليه السلام نبيٌّ إلا من أهل بيته، وكلُّ من دخل الجَنَّة من أولياء الله بعدهم فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم». ودعا النَّبي ﷺ ربَّه بالبركة في العطاء في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وبارك لي فيما أعطيت**» (رواه الترمذي)، وتحية المسلمين بينهم عند اللقاء طلب السَّلام والرحمة والبركة.

أيها المسلمون:

القرآن العظيم كثير الخيرات، واسع المبرات، كتاب مبارك، محكم فصل مهيمن، أنزله الله رحمة وشفاءً، وبياناً وهدى، قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وسورة البقرة سورة مباركة مأمور بتعلمها قال النَّبي ﷺ: «**تعلموا سورة البقرة فإنَّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البَطَلة** ـ أي: السحرة ـ» (رواه أحمد)، وسعة الرزق وبركة العمر في صلة الرَّحم، يقول النَّبي ﷺ: «**من أحبَّ أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره؛ فليصل رحمه**» (رواه البخاري)، والصَّادق في البيع والشراء والمعاملات، مبارك له في الكسب، مترادف عليه الخير، يقول النَّبي ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**» (متفق عليه).

ولحرص الإسلام على الأسرة، وحلول البركة فيها وعليها من أول نشأتها، شُرع الدُّعاء للزَّوجين بالبركة عند النِّكاح، يقول أبو هريرة رضي الله عنه كان النَّبي ﷺ إذا رفأ الإنسان إذا تزوج قال له: «**بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير**» (رواه الترمذي وقال حسن صحيح)، وأوفر الزوجات بركة ما قلَّت المؤنة في نكاحها، والزَّواج السَّعيد ما صَاحَبَهُ اليسر والتسهيل، يقول النَّبي ﷺ: «**أعظم النِّساء بركة، أيسرهن مؤنة**» (رواه أحمد)، والزوجة المباركة هي المطيعة لله القائمة بحقوق زوجها في غير معصية الله، والولد المبارك هو النَّاشيء على طاعة ربه، المستمسك بسنة نبيه ﷺ، الصَّائن لنفسه عن الذُّنوب والعصيان، وإذا دخل ربُّ الأسرة داره، شُرع له إفشاء السَّلام على أهله، رجاء البركة، يقول أنس رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا بني إذا دخلت على أهلك فسلِّم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك**» (رواه الترمذي وقال حسن صحيح).

والرَّجل المبارك هو الذي ينتفع به حيثما حلَّ، وإذا قرب العبد من ربِّه بورك له في وقته، وعمل أعمالاً كثيرة في زمن يسير، أبو بكر

الصديق رضي الله عنه قبل صلاة الفجر عاد مريضاً، وتبع جنازة، وأطعم مسكيناً وأصبح صائماً، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعت في امريءٍ إلا دخل الجَنَّة**» (رواه مسلم)، وخير الصُّحبة صحبة الصَّالحين، وأزكى المجالس مجالس الذِّكر تحضرها الملائكة، ويُغفر لجليسها، فتقول الملائكة فيهم: فلان ليس منهم وإنما جاء لحاجة قال: «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**» (متفق عليه)، فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم.

والمال المبارك ما كثر خيره وتعددت منافعه، وبُذل في طرق البرِّ والإحسان ابتغاء مرضاته، ومن قنع بربح حلال قليل، وتحرى الصِّدق في معاملاته، ظهرت البركة في ماله وفي أولاده، قال النَّبي ﷺ: «**من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة**» (رواه البخاري). وسرور الدُّنيا وبهجة زينتها لا تتم إلا بكسبٍ حلال، والمال يكثر عدده بالبذل والعطاء في الخيرات، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما نقصت صدقة من مال**» (رواه مسلم)، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**قال الله عزَّ وجلَّ: أَنْفِق أُنْفِق عليك**» (رواه البخاري). ومن أخذ ما أعطي بتعفف وغنى نفس، من غير مسألة ولا استشراف له بالقلب، بورك له فيه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من أخذه بطيب نفس منه بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس له لم يبارك له فيه**» (رواه البخاري).

والبركة يتحراها العبد في مأكله، فالطعام المبارك ما أكلته ممّا يليك، وتجنبت الأكل من وسط الصَّحْفَة، وذكرت اسم الله عليه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه**» (رواه الترمذي وقال حسن صحيح)، وأمر رسول الله ﷺ بلعق

الأصابع والصحفة بعد الفراغ من الطعام رجاء البركة، وقال: «**إنكم لا تدرون في أيها البركة**» (رواه مسلم)، وفي الاجتماع على الطعام بركة، وفي التَّفرُّق نزع لها، يقول وحشي بن حرب رضي الله عنه قالوا: يا رسول الله إنَّا نأكل ولا نشبع قال: «**فلعلكم تفترقون؟** قالوا: نعم، **قال: فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه**» (رواه أبو داود)، وسيِّدُ المياه وأنفعها وأبركها ماء زمزم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنها مباركة إنها طعام طعم**» (رواه مسلم).

أيها المسلمون:

اصطفى الله من الدهر أزمنة، ومن البقاع أمكنة خصها بالتشريف والبركة، فليلة القدر ليلة مباركة، رفيعة القدر عظيمة المكانة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وأول النَّهار بعد صلاة الفجر زمن غنيمة مبارك، ووقت نزول الأرزاق وحلول البركات، أقسم الله به في كتابه بقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧ ـ ١٨]، والنَّبي ﷺ دعا بالبركة في بدو الصباح قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**» (رواه أبوداود)، والنوم بين صلاة الصبح وشروق الشمس تفويت لزهرة اليوم.

وبيت الله الحرام مبارك، ليس في بيوت العالم أبرك منه، ولا أكثر خيراً، ولا أدوم ولا أنفع للخلائق، قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٦]، ومدينة المصطفى ﷺ مدينة مباركة، الصَّلاة في مسجد النَّبي ﷺ عن ألف صلاة فيما سواه، وصاعها ومدُّها مبارك فيه، وتمر عاليتها شفاء يقول النَّبي ﷺ: «**اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا ومُدِّنا**» (رواه مسلم)، وفي لفظ له: «**اللهم اجعل مع البركة بركتين**»، وقال: «**اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة**» (متفق عليه). قال النووي ـ رحمه الله ـ: «الظاهر أن البركة حصلت في نفس المكيل بحيث يكفي المد فيها من لا يكفيه في

غيرها، وهذا أمر محسوس عند من سكنها»، وبارك الله في مواطن من أرضه، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١].

والفضيلة الدائمة في كل زمان ومكان في الإيمان والعمل الصالح، وأي مكان وعمل كان أعون للشخص كان أفضل في حقه، يقول سلمان رضي الله عنه: «إن الأرض لا تقدس أحداً وإنما يُقدِّس الرَّجلَ عملُه».

أيها المسلمون:

إذا أظهر العباد ذنوباً تتابعت عليهم العقوبات، وكلما قلت المعاصي في الأرض ظهرت فيها آثار البركة من الله، وانتشار المعاصي وفشوها سبب لنزع الخيرات والبركات، قال سبحانه: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا * لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦، ١٧]، وللمعصية أعظم تأثير في محق بركة المال والعمر والعلم والعمل، يقول النَّبي ﷺ: «**وإن العبد ليحرم الرزق بالذَّنب يصيبه**» (رواه ابن ماجه)، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وبالجملة فالمعصية تمحق بركة الدِّين والدُّنيا، فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله»، ولا يُنال ما عند الله إلا بطاعته، والسَّعادة في القرب من الله، وبالإكثار من الطاعات تَحلُّ البركات، وبالرجوع إليه تتفتح لك أبواب الأرزاق.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

محق البركة يجلب قلة التوفيق وفساد القلب، وأنفع الأشياء أبركها، ومن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك، ولا ترتجى البركة فيما لم يأذن به الشَّرع الحكيم، وبالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر تزكو النَّفس، وتصلح الأحوال، وتحلّ البركات على المجتمعات. ومن التزم الصِّدق في البيان ألقيت الحكمة على لسانه، والسَّداد في أفعاله. ومن أخذ المال بغير حقه بارَ نفعُه، قال النَّبي ﷺ: «**ومن أخذه بغير حقِّه كان كالذي يأكل ولا يشبع**» (رواه البخاري)، والرِّبا عديم النَّفع، ماحقٌ للمال، جالبٌ للهمّ، يجري آكله خلف سراب، قال سبحانه: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٦]، والحلف منفقة للسِّلعة مُمْحِق للكسب، ومنع الصدقة خشية النفاد تلف للمال، قال ﷺ: «**اللهم أعط ممسكاً تلفاً**» (رواه البخاري)، فالزم جانب العبودية والاقتداء، وابتعد عن المحرمات والشُّبهات في المال يبارك لك في الأخذ والعطاء.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

استقبـال رمضــان

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالتَّقوى زاد لدار القرار، وعون على شكر نعم الباري الغزار.

أيها المسلمون:

اختار الله من الأزمان مواسم للطَّاعات، واصطفى فيها أياماً وليالي وساعات، فضلاً منه وإحساناً، وكلَّما لاح هلال رمضان أعاد إلى المسلمين أيام دهرهم المباركات وما يكون فيها من النفحات، شهر ينطلق فيه الصائمون إلى آفاق النقاء، ويمسحون فيه عن جبينهم وعثاء الحياة، يستقبله المسلمون وله في نفوس الصالحين منهم بهجة، وفي قلوب المتعبدين فرحة، فرُبَّ ساعة قبول فيه أدركت عبداً فبلغ بها درجات الرِّضا والرِّضوان، الصِّيام سرٌّ بين الخالق والمخلوق، يفعل خالصاً ويتلذذ العبد جائعاً ويتضور خالياً، يقول النَّبي ﷺ: «**قال الله عزَّ وجلَّ: كل عمل ابن آدم له إلا الصِّيام فإنه لي وأنا أجزي به**» (متفق عليه)، يحقق العبد فيه درس الإخلاص لينطلق به إلى سائر العبادات بعيداً عن الرِّياء، الصِّيام يصلح

النفوس ويدفع إلى اكتساب المحامد والبعد عن المفاسد، به تغفر الذُّنوب وتكفَّر السيئات وتزداد الحسنات، يقول النَّبي ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**» (متفق عليه). شهر الطَّاعة والقربة والبرِّ والإحسان، والمغفرة والرحمة والرضوان، يقول النَّبي ﷺ: «**إذا دخل رمضان فُتِّحت أبواب السَّماء، وغُلِّقت أبواب جهنم، وسُلْسِلت الشياطين**» (متفق عليه)، لياليه مباركة، وفيه ليلة مضاعفة هي أم الليالي، ليلة القدر والشَّرف خير من ألف شهر، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، فيه صبرٌ على حمأة الظمأ ومرارة الجوع، ومجاهدة النَّفس في زجر الهوى، جزاؤهم باب من أبواب الجَنَّة لا يدخله غيرهم، فيه تذكير بحال الأكباد الجائعة من المساكين والمُقْترين، يستوي فيه المُعدم والمُوسِر، كلّهم صائم لربِّه مستغفر لذنبه، يمسكون عن الطَّعام في زمن واحد، ويفطرون في وقت واحد، يتساوون طيلة نهارهم بالجوع والظَّمأ، ليتحقَّق قول الله في الجميع: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

أيها المسلمون:

ذِكْر النَّاس داء وذكر الله شفاء، والقرآن العظيم أساس الدِّين، وآية الرسالة، وروح الحياة، نزل في سيد الشهور ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القَدر: ١]، ونزوله فيه إيماء لهذه الأمة بالإكثار من تلاوته وتدبره، وكان جبريل عليه السلام ينزل من السَّماء ويُدارِس فيه نبيّنا محمَّداً ﷺ كامل القرآن، وفي العام الذي تُوفِّي فيه عَرَضه عليه مرتين، وكان بعض السَّلف يختم في رمضان في كلِّ ثلاث ليالي، وبعضهم في سبع، وبعضهم في عشر، وكان الإمام مالك إذا دخل رمضان أقبل على تلاوة القرآن، وتَرَك الحديث وأهله، وإذا أحسنت القول فأحسن الفعل، ليجتمع معك مزيّة اللسان وثمرة الإحسان، ودائرة الجود تتسع لما تهفو إليه القلوب المؤمنة من التطوع في الخير، والتوسع في إسداء المعروف، والمال لا يذهب

بالجود والصدقة، بل هو قرضٌ حسنٌ مضمونٌ عند الكريم ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سَبَإ: ٣٩]، يضاعفه في الدنيا بركة وسعادة، ويجازيه في الآخرة نعيماً مقيماً، يقول النَّبي ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**» (متفق عليه)، فتحسَّس دور الفقراء والمساكين، ومساكن الأرامل والأيتام ففي ذلك تفريج كربة لك، ودفع بلاء عنك، وإشباع جائع، وفرحة لصغير، وإعفافٍ لأسرة، وإغناء عن السؤال. ولقد كان رسول الله ﷺ أكرم النَّاس وأجودهم إن أنفق أجزل، وإن منح أغدق، وإن أعطى أعطى عطاء من لا يخشى الفاقة، وكان يستقبل رمضان بفيض من الجود، ويكون أجود بالخير من الرِّيح المرسلة، فأكثر من البذل والإنفاق في لياليه المعدودة، والمال لا يبقيه حرص وشحٌّ ولا يذهبه بذل وإنفاق.

وليالي رمضان تاج ليالي العام، ودجاها ثمينة بظلمائها، فيها تصفو الأوقات وتحلو المناجاة، يقول النَّبي ﷺ: «**أفضل الصَّلاة بعد الفريضة صلاة الليل**» (رواه مسلم)، «**ومن قام مع الإمام حتى ينصرف كُتِب له قيام ليلة**» (رواه الترمذي)، ومن لم يُصبِّرْ نفسه على طاعة ربِّه ويوطِّنْها على محبته، ابتُلي بتصبُّرِها على المعاصي وذلها، وإن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل، وفي كل ليلة يُفتَح باب الإجابة من السَّماء، وخزائن الوهاب ملأى، فسل من جود الكريم، واطلب رحمة الرَّحيم، فهذا شهر العطايا والنَّفحات، والمنن والهبات، وأعجز النَّاس من عجز عن الدُّعاء.

أيها المسلمون:

الأيام صحائف الأعمار، والسَّعيد من يخلدها بأحسن الأعمال، ومن نقله الله من ذلِّ المعاصي إلى عزِّ الطاعة، أغناه بلا مال وآنسه بلا أُنْس، وراحة النَّفس في قلة الآثام، ومن عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه، وفي هذا الشهر المبارك ـ المُنزَّل فيه القرآن العظيم المتعددة فيه طلب

أنواع المغفرة من التوسع في المعروف، والبذل والدُّعاء، وتفريج الكربات والإكثار من العبادات ـ إلا أنه لكل موسم خاسر، وبعض النَّاس أرخص لياليه الغُرّ وأرهق فيها بصره مع الفضائيات يعيش معها في أوهام، ويُسرِّح فكره حولها في خيال، ويتطلع لها لعل له فيها سعادة السراب، فإذا انقضى شهر الصيام لا لما فيه جمع ولا للآخرة ارتفع، رَبِح النَّاس وهو الخاسر.

والنِّساء حبائل الشَّيطان، وهُنَّ أكثر حطب جهنَّم، ولنجاة نفسها من الحميم واجب عليها مضاعفة الأعمال الصَّالحة مما ينجيها من النِّيران، فليتَّقين الله في حُرمة هذا الشهر المبارك، ولا تخرج من بيتها إلا لضرورة، وصلاة التَّراويح في بيتها أفضل من أدائها في الحرمين، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهنَّ خيرٌ لهنّ**» (رواه أبو داود)، وإذا خرجت لحاجة، فحرام عليها الخروج متبرجة أو متنقبة، وعليها بالستر والحياء ومراقبة ربها في غيبة وليها وشهوده، والصَّالحة منهنَّ موعودة برضا ربِّ العالمين عنها، وتمسكُها بدينها واعتزازُها بحجابها وسترُها يُعلي شأنها ويُعزِّز مكانها، وهي فخر المجتمع، وتاج العفاف، وجوهرة الحياة، وقدوة النِّساء.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبيّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد: أيها المسلمون:

دواء القلوب في خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبُّر، وخلو البطن، وقيام الليل، والتَّضرُّع عند السَّحر، ومجالسة الصَّالحين. فَلْيَكُنْ لك ـ أيُّها المسلم ـ في شهر رمضان عمل وتهجُّد وقرآن، واغْتَنِمْ عمرةً في رمضان فإنها تعدل حجة، ولقد كان من هديه عليه الصَّلاة والسَّلام الاعتكاف في رمضان، وهو: لزومُ مسجدٍ طاعةً لله، وهو يعني عكوف القلب على الله، والانقطاع عن الخلق، والاشتغال بالعبادةِ والذِّكرِ وقراءة القرآن.

وابتعد عن خوارق الصَّوم ومفسداته، وإيَّاك أن تقع في أعراض المسلمين، واحفظ لسانك وسمعك وبصرك عمّا حرَّم الله، يقول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «ينبغي للصَّائم أن يتعاهد صومه من لسانه ولا يماري، كانوا إذا صاموا قعدوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحداً»، ومن بُلي بجاهل فلا يقابله بمثل سوئه، يقول المصطفى ﷺ: «**الصِّيام جُنَّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابَّه أحد أو شاتمه فليقل: إنِّي صائم**» (رواه البخاري).

واجعل شهر صومِك جهاداً متواصلاً ضدَّ شهوات النَّفس، وانقطاعاً

إلى الله بالعبادة والطاعة، ومدارسةً لآيات التنزيل، وقياماً مخلصاً بالليل، فهو موسم التَّوبة والإنابة، فبابُ التَّوبة مفتوح، وعطاء ربِّك ممنوح، فمتى يتوب من أسرف في الخطايا، وأكثر من المعاصي، إن لم يتُب في شهر رمضان؟! ومتى يعود إن لم يعد في شهر الرحمة والغفران؟! فبادر بالعودة إلى الله واطرق بابه وأكثر من استغفاره.

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ واغتنموا زمن الأرباح، فأيام المواسم معدودة، وأوقات الفضائل مشهودة، وفي رمضان كنوزٌ غالية، فلا تضيِّعوها باللهو واللعب وما لا فائدة فيه فإنكم لا تدرون متى ترجعون إلى الله، وهل تدركون رمضان آخر أو لا تدركونه، وإنَّ اللبيب العاقل من نظر في حاله، وفكّر في عيوبه، وأصلح نفسه قبل أن يفاجأه الموت؛ فينقطع عملُه وينتقل إلى دار البرزخ ثم إلى دار الحساب.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على البشير النَّذير والسِّراج المنير...

إشراقــة رمضــان

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالتَّقوى زاد الأبرار، ومتاع الأخيار.

أيها المسلمون:

لقد حلَّ بالمسلمين موسم عظيم، مخصوص بالتَّشريف والتَّكريم، أنزل الله فيه كتابه، وفرض صيامه، شهرُ القيام وتلاوة القرآن، زمن العتق والغفران، موسمُ الصدقات والإحسان، تتوالى فيه الخيرات، وتعمّ البركات، يقول النَّبي ﷺ: «**أتاكم رمضان شهر مبارك، فَرَضَ الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السَّماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلُّ فيه مردة الشَّياطين، لله فيه ليلةٌ خير من ألف شهر من حُرم خيرَها فقد حُرِم**» (رواه النسائي)، أشرف الشهور وأزكاها عند الله، جعله تعالى ميداناً لعباده يتسابقون فيه بأنواع الطاعات والقربات، شهر رمضان منحة لتزكية النفوس وتنقيتها من الضَّغائن والأحقاد التي خلخلت العُرى وأنهكت القوى، ومن استقبل رمضان بالآثام وهو عاقٌّ لوالديه وقاطع لأرحامه وهاجر لإخوانه،

وأقواله فيها غيبة ونميمة، فهيهات أن يستفيد من رمضان، يقول النَّبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزُّور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**» (رواه البخاري). وأهون الصِّيام ترك الطَّعام والشَّراب، وكان السلف إذا صاموا جلسوا في المساجد وقالوا: نحفظ صيامنا ولا نغتاب أحداً. في هذا الشهر يشمِّر الجادُّون في طاعة ربِّهم، أداءٌ للصَّلوات جماعة في بيوت الله، قيام بالليل مع الإمام، وقراءة للقرآن قراءة مرتلة خاشعة بتدبر، صدقةٌ بالمال ولو بالقليل على أهل الحاجة من الأقارب والجيران، تفطيرٌ للصائمين، يقول النَّبي ﷺ: «**من فطَّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصَّائم شيء**» (رواه الترمذي)، اعتكاف في بيت من بيوت الله ويتأكد في العشر الأواخر، أداء لمناسك العمرة، يقول النَّبي ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**» (متفق عليه)، وفي لفظ «**حجة معي**». إكثار من الذكر والدعاء والاستغفار ويتأكد ذلك عند الإفطار فللصائم عند فطره دعوة لا تُرد.

وفي الثلث الأخير ينزل ربُّنا ويقول: من يدعوني فأستجيب له، زيادة في برِّ الوالدين والقُرْب منهم والتودُّد إليهم، إحسانٌ إلى الزَّوجة والأولاد والأهل بالتَّوجيه الرَّشيد والكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة، صلة الأرحام والصدقة على المحتاج منهم، تَفقُّد الجيران وزيارتهم والتعرف على أحوالهم، مَدُّ يد العون إلى الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، هذا دأب الصَّالحين في شهر الخيرات.

وإنَّ من أفضل الأعمال ـ بعد إصلاح الإنسان نفسه ـ أن يقوم بالدَّعوة إلى الله، والاجتهاد في هداية النَّاس، وإصلاح ما فسد من أخلاقهم وسلوكهم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصّلَت: ٣٣].

وميادين الدَّعوة رحبة، نصيحة مخلصة، وكلمة صادقة، وقدوة حسنة، علماً وعملاً، تقوى وأخلاقاً «**ومن دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شيئاً**» (رواه مسلم). فاعزم

بصدق على الارتقاء نحو درجات الاستقامة والهداية، واستقبل رمضان بتطهير المال من الحرام، فالمال الحرام سبب البلاء في الدنيا ويوم الجزاء، فلا يستجاب معه الدُّعاء، ولا تُفْتح له أبواب السَّماء، فبادر ـ رعاك الله ـ وانظر في نفسك وأصلح بيتك، وتطهر من كل مال حرام حتى تقف بين يدي الله بقلب خاشع فيسمع لك الدُّعاء.

وفي رياح الأسحار ولحظات أنين المنيبين يهفو بعض المحرومين إلى المحرمات، ليتخذ رمضان موسماً للعصيان، إطلاق للبصر في المحظورات، وإرخاء للأذنين للأغنيات، ومشاهدة للمحموم من الفضائيات، تتبُّعٌ لعورات المسلمات في الأسواق والطرقات، وفيهم أصحاب الجلسات الفارغة، وأصدقاء الزيارات القاتلة، لهو ولعب، هزل ومرح، لم يعرفوا للزمان قدراً، ولا لرمضان شرفاً، جلبوا لأنفسهم الشقاء، وأذاقوا أرواحهم العناء، أما علموا أن لا لذة في غير الطاعة، وأنّ كل متعة بمحرم تؤدي إلى حسرة وندامة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

أيها المسلمون:

اليأس والقنوط سلاح لإبليس يمضيه في العاصي حتى يستمر على عصيانه، مهما عمل العبد من المعاصي والفجور، فالإسلام لا يأس فيه من رحمة الله، فالتوبة تهدم ما قبلها، والإنابة تجبُّ ما سلفها، فمن كان مبتلىً بمعصية فرمضان موسم التوبة والإنابة، الشياطين مصفدة والنَّفس منكسرة، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، وفي الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، إنَّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السَّماء ثمَّ استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة**» (رواه الترمذي)، إنَّ من أعظم أسباب

المغفرة؛ أنَّ العبد إذا أذنب ذنباً لم يرج مغفرة من غير ربه، يقول لقمان لابنه: «يا بني عوِّد لسانك اللَّهم اغفر لي، فإنَّ لله ساعات لا يُرَدُّ فيها سائلاً». وعلامة التَّوبة النَّدم على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السُّوء، وملازمة الأخيار.

في هذا الشهر قوافل من التَّائبين يقصدون عفو الله فكن أحدهم. فما أجمل أن يكون رمضان بداية للتَّوبة والإنابة! فكم فيه من التائبين إلى الله؟! وكم من المستغفرين من ذنوبهم النَّادمين على تفريطهم؟!

أيتها المرأة المسلمة:

كوني في هذا الشهر المبارك مركز إشعاع، ومِشْعل هداية، حارسة للفضيلة، نابذة للرَّذيلة، معتزة بدينك، شامخة بشرفك، صائنة عفافك، لا تستمعي إلى سقيم الأفكار وقبيح الأقوال الدَّاعية إلى نبذ السِّتر والحياء، أو تقليد الكافرات والفاجرات، اللَّاتي نبذن صفات الأنوثة والخجل. واحذري أن تكوني من حبائل الشَّيطان في هذه الأيام الفاضلة، أو تتصفي بالتَّبرج والسُّفور، وابتعدي عن قرينات السُّوء فسكن المرأة في قرارها، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق، والله تعالى يغار على حرماته، وبطشه شديد، وإذا رفع ستره عن أَمَتِه فضحها، فتزيني بزينة الدِّين، وتجملي بجمال السِّتر، فالعمر قليل، والحشر أمره عسير.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

ستنقضي الدنيا بأفراحها وأحزانها، وتنتهي الأعمار بطولها أو قصرها، ويعود النَّاس ـ وأنت منهم ـ إلى ربِّهم، فكم من إنسان انتظر رمضان بأقوى الأمل فباغته الأجل؟! فأكثر في رمضان من عمل الصَّالحات، فقد أتى إليكَ رمضان بعد طول غياب، ووفد إليكَ بعد فراق، فافتح فيه صفحة مشرقة مع مولاك، واسدل السِّتار على ماضٍ نسيته وأحصاه الله عليك، وتب إلى التَّواب الرَّحيم من كل ذنبٍ وتقصيرٍ وخطيئةٍ.

وفي اغتنام مواسم الخير بالجدِّ في العمل الصَّالح والتَّوبة مما سلف من القبائح ما يعوض الله به العاملين عما مضى من نقص العمل، ويصرف به عقوبة ما اقترف المرء من الزَّلل.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

أيــام ثمينــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشـهـد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأشـهـد أن مـحـمَّـداً عـبـده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيها المسلمون:

شرفت هذه الأمة بشهور تتطهر فيه النفوس من العصيان والآثام، ومن نقائص الخصال، يشغل المسلمون فيه أوقاتهم بالطاعة وتلاوة القرآن، يُنزِّه الصِّيامُ نفوسَهم، ويهذب القيامُ أخلاقَهم، ويلين القرآنُ قلوبهم، يتسابقون في لياليه بالفضائل، ويتنافسون في أيامه بالجود. وفي عشره الأواخر تزكو الأعمال، وتنال الآمال، ولياليه تحيا بالتعبد والتهجد، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كان النَّبي ﷺ إذا دخلت العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وشدَّ المئزر**» (متفق عليه). وكان ﷺ يضاعف أعماله الصالحة في شهر رمضان، ويخصّ العشر منها بالمضاعفة، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيرها**» (رواه مسلم). إنها سوق يتنافس فيها المشمِّرون، وامتحان تُبتلى فيها الهمم، وفي العشر الأواخر ليلة مباركة هي تاج ليالي الدَّهر،

كثيرة البركات، عزيزة الساعات، القليل من العمل فيها كثير، والكثير منها مضاعف ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، ينزل من السَّماء خلق عظيم لشهود تلك الليلة ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ [القدر: ٤]، القائم في ليلتها بالتعبد مغفور له ذنبه، يقول النَّبي ﷺ عنها: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**» (متفق عليه)، فيها تُفتح الأبواب، ويُسمع الخطاب، يصل فيها الرَّبّ ويقطع، يعطي ويمنع، يخفض ويرفع، تقول عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أيّ ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللَّهم إنَّك عفو تحبُّ العفو فاعف عنِّي**» (رواه الترمذي وقال حسن صحيح).

أيها المسلمون:

أفضل الصَّلاة بعد الفريضة صلاة الليل، ولم يكن النَّبي ﷺ يدع قيام الليل في سفرٍ أو حضرٍ، وكان يصليه قائماً وقاعداً حتى تتفطَّر قدماه، وسار ركب الصحابة المبارك على ذلك الهدي قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]. والقيام لله في الظُّلَم من أعمال أهل الإيمان ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، وصلاة الليل أعظم ما يرجى، وأزكى ما يقدم، وهو من أسباب دخول الجنان، يقول المصطفى ﷺ: «**يا أيها النَّاس: أفشوا السَّلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والنَّاس نيام، تدخلوا الجَنَّة بسلام**» (رواه الترمذي وقال حسن صحيح)، وليالي رمضان مُبشَّرٌ من قامها بغفران الذُّنوب، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدَّم من ذنبه**» (متفق عليه).

أيها المسلمون:

الدُّعاء حبل ممدودّ بين السَّماء والأرض، وهو المغنم بلا عناء، ومن

أنفع الأدوية للدَّاء ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وفي كلِّ ليلة ساعةُ إجابةٍ، الأبواب فيها تُفْتح، والكريم فيها يَمنَح، فسل فيها ما شئت، فخزائن الله ملأى، والمعطي كريم، وأيقن بالإجابة فالرّبّ قدير، وبُثَّ إليه شكواك فإنه الرحيم، يقول النَّبي ﷺ: «**إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كلُّ ليلة**» (رواه مسلم)، ونسمات آخر الليل مَظِنَّة إجابة الدَّعوات، قيل للنبي ﷺ: أيُّ الدعاء أسمع؟ قال: «**جوف اللَّيل الآخر، ودُبُر الصَّلوات المكتوبة**» (رواه الترمذي)، والعبد مفتقر إلى محو أدران خطاياه، والانكسار بين يدي الله، والافتقار إليه، ومِنْ أرجى أحوال التذلل: الاعتكاف في بيتٍ من بيوت الله طلباً لعفو الله، وكان نبينا ﷺ يعتكف العشر الأخيرة من رمضان، وإذا قرب العبد من ربه لطف الله به، وساق إليه الإحسان من حيث لا يشعر، وعصمه من الشَّر من حيث لا يحتسب.

أيها المسلمون:

الزَّكاة ركن من أركان الإسلام، ومبنى من مبانيه العظام، فيها تقوى أواصر المودَّة بين المسلمين، وفيها تطهير النفوس وتزكيتها من الشُّحِّ، يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وهي حق واجب، وفرض لازم، وشريعة عادلة، فيها استجلاب البركة والزِّيادة والخلف من الله ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

في الزَّكاة سمو بالأرواح والأخلاقُ بالجود والسخاء، بها يكتمل العدل ويعمُّ الرخاء، ويسعد الفقراء، وهي حلية الأغنياء، وزينة الأتقياء، ووصية الأنبياء ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥]، ولقد جاء الوعيد في حقِّ من بخل بها، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:

٣٤]، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثّل لـه ماله شجاعاً أقرع** ـ وهو حية ذَكَرٌ سقط فروة رأسه من كثرة سُمِّه ـ **لـه زبيبتان، يُطَوَّقُه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه** ـ يعني: شدقيه ـ، **ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك**، ثم تلا النَّبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ﴾» (متفق عليه)، فتواضع بقلبك للمسكين، وابذل له كفّ الندى، وادن منه ولا تحتقر فقيراً، فإن أكثر أهل الجَنَّة الفقراء، وأنفق بكرم يد، وسخاوة نفس، يبارك لك في المال والولد، والصدقة دواء الأمراض والأعراض، فابتغوا الضعفاء والمحاويج، وابذلوا ترزقوا، وارحموهم ترحموا، فما اشتكى فقير إلا من تقصير غني.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فللشَّهر العظيم حرمته، وعلى المسلم أن يتجنب خوارق صيامه، وأن يحفظ بصره عن النَّظر إلى المُحرَّمات، وسمعه عن السَّيئات، وأن يصون وقته عن الملهيات، فللوقت الباقي في هذا الشهر قيمته، وللزمن اليسير فيه قدره، فيه تسكب العبرات بكاءً على السَّيئات، فكم لربِّ العزَّة من عتيق من النَّار؟! وكم من أسير للذُّنوب وصله الله بعد القطع وكتب لـه السَّعادة من بعد طول شقاء؟.

وعلى المرأة أن تتجنب عثرات الطريق، وأن لا تخرج إلى الأسواق إلا لحاجة، مع التزامها بالعفاف والسِّتر والحياء.

وعلى المسلم أن يقدم في أيام رمضان المبارك توبة صادقة بعمل من الباقيات الصَّالحات، فما الحياة إلا أنفاس معدودة، وآجال محدودة، والأيام مطاياكم إلى هذه الآجال، فاعملوا وأمِّلوا وأبشروا، فالمغبون من انصرف أو تشاغل بغير طاعة الله، والمحروم من حُرِم ليلة القدر، أو أدرك شهر رمضان فلم يغفر لـه، قال ﷺ «**رغم أنف امريءٍ دخل شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له**» (رواه الترمذي).

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

تدارك العشر الأخيرة من رمضان

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فتقوى الله سبيل الهدى، والإعراض عنها طريق الهوى.

أيها المسلمون:

يتفضل ربنا على عباده بنفحات الخيرات، ومواسم الطاعات، فيغتنم الصَّالحون نفائسها، ويتدارك الأوَّابون أواخرها. ليالٍ مباركةٌ أوشكت على الرَّحيل، ليالي شهر كريم أبواب الجنان فيه مفتحة، وأبواب النَّار فيه مغلقة، والشَّياطين فيه مُصفَّدة، العشر الأخيرة منه تاج الليالي، كان نبينا ﷺ إذا دخلت، أحيا ليله وأيقظ أهله وشدَّ المئزر، تقول عائشة رضي الله عنها: «**كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره**» (رواه مسلم).

في العشر ليلة هي أمُّ الليالي، كثيرة البركات، عزيزة السَّاعات، القليل من العمل فيها كثير، والكثير منه مضاعف ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ

شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٣]، خَلْقٌ عظيمٌ ينزل من السَّماء لشهود تلك الليلة ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ [القَدر: ٤]، ليلة سلام وبركات على هذه الأمة، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «يكثر نزول الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة كما ينزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له».

وفي شهر الصِّيام نزل كتاب ربّنا العظيم، الثَّوابُ في تلاوته جزيل، من قرأه فله بكلِّ حرفٍ منه حسنة، وهو شافع لصاحبه، يقال لقارئه يوم القيامة: اقرأ وارق فإنَّ منزلتك في الجَنَّة عند آخر آيةٍ كنت ترتلها، فاجعل لتلاوة كتاب الله على لسانك في العشر الباقية طراوة، ولصوتك منه نداوة، لتظفر بشفيعين في الآخرة ـ القرآن والصيام ـ، فلقد كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدارس نبينا محمَّداً ﷺ القرآن في شهر الجود والنفحات. والصَّلاة قرة عيون الصالحين، وراحة أفئدة الخاشعين.

وأفضل الصَّلاة بعد الفريضة صلاة الليل، حث النَّبي ﷺ أصحابه على قيام الليل، يقول النَّبي ﷺ لابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**» (متفق عليه)، فما ترك القيام بعد ذلك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والعبد مذموم على ترك قيام الليل، يقول النَّبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل**» (متفق عليه). إن قيام الليل من أفضل الأعمال، ومن أسباب دخول الجنان «**يا أيها النَّاس: أفشوا السَّلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلّوا بالليل والنَّاس نيام، تدخلوا الجَنَّة بسلام**» (رواه الترمذي).

وليالي رمضان مبشر من قامها بغفران الذنوب، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه**» (متفق عليه)، وفي كل ليلة ساعة إجابة، الأبواب فيها تفتح، والكريم فيها يمنح، فَسَلْ فيها ما شئت، فالمعطي عظيم، وأيقن بالإجابة، فالرَّبُّ كريم، وبُثَّ

إليه شكواك، فإنه الرَّحمن الرَّحيم، وارفع إليه لَأْوَاك، فهو السَّميع البصير، يقول النَّبي ﷺ: «**إنَّ في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إيَّاه وذلك كل ليلة**» (رواه مسلم)، ونسمات آخر الليل مظنة إجابة الدَّعوات، قيل للنبي ﷺ: أيُّ الدُّعاء أسمع؟ قال: «**جوف الليل الآخر، ودبر الصَّلوات المكتوبات**» (رواه الترمذي).

والعبد مفتقر إلى محو أدران خطاياه، والانكسار بين يدي الله والافتقار إليه في هذه العشر المباركات بالاعتكاف في بيتٍ من بيوت الله أحرى بمغفرة دنس الخطايا، وأرجى لقبول العبد عند الله ورضاه عنه، وقد كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، فارغب إلى ربِّك بالاعتكاف، وداوم على ذكر الله فيه، وأكثر من الدُّعاء في ساعات الإجابة، فتلك لحظات تغتنم، يقول القرطبي ـ رحمه الله ـ: «فضيلة الزَّمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل». وإذا قرب العبد من ربِّه لطف الله به، وساق إليه الإحسان من حيث لا يشعر، وعصمه من الشَّر من حيث لا يحتسب، ورفعه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تكون من العبد على بال.

أيها المسلم:

المال وديعة في يدك ليس لك منه إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، فتواضع بقلبك للمسكين، وابذل كفّ الندى له، وادن منه، واحنُ عليه، ولا تحتقر فقيراً، فإنَّ «**أكثر أهل الجَنَّة هم الفقراء**» (متفق عليه).

وباليسير من النفقة مع الإخلاص تنجو من النَّار، يقول النَّبي ﷺ: «**اتَّقوا النَّار ولو بشقِّ تمرة**» (متفق عليه)، وَقِ نفسك شُحَّها، وأيقن بالغنى من الكريم، فالْمُنْفَقُ مُخْلَفٌ، يقول النَّبي ﷺ: «**قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم ينفق عليك**» (متفق عليه).

ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما نقصت صدقة من مال**» (رواه مسلم)، والشَّيطان يوسوس لك ويأمرك بالإمساك ويزينه لك خديعة ومكراً، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٨].

ولا تقهر يتيماً، ولا تنهر سائلاً، وأنفق بسخاوة نفس يبارك لك في المال والولد.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحجّ: ٧٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

الشَّهر أوشك على الرَّحيل بما أودع فيه العباد من أفعال، واللَّبيب من ختم شهره بتوبة صادقة بالبعد عن المعاصي والآثام، والمفلس من أغرق نفسه في السَّيئات ولقي ربَّه وهو على العصيان، والتَّوبة ليست نقصاً، بل هي من أفضل الكمالات ومن أحب الحسنات إلى الله، وهي الأصل الذي تصلح عليه الأمور، فأكثر من الاستغفار في ختام شهرك يكن تاجاً على حسناتك، وماحياً لقبيح زلاتك، وتذكَّر أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها، وإياك والتسويف بالتوبة فإن الموت يأتي بغتة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...

وداع رمضــان

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فخير الزَّاد ما صحبه التَّقوى، وخير العمل ما قارنه الإخلاص للمولى.

أيها المسلمون:

لقد يسَّر الله طرق الخيرات، وتابع لعباده مواسم الحسنات، وربُّنا وحده هو مصرّف الأيام والشُّهور ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾[الحجّ: ٦١]، جعل لكلِّ أجلٍ كتاباً، ولكل عمل حساباً، وجعل الدنيا سوقاً يغدو إليها النَّاس ويروحون منها، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، والأيام أجزاء من العمر، ومراحل في الطريق تفنى يوماً بعد يوم، مضيّها استنفاد للأعمار، واستكمال للآثار، وقرب من الآجال، وغلق لخزائن الأعمال.

مضت أيام مباركات قطعتم بها مرحلة من مراحل العمر، مَنْ أحسن فيها فليحمد الله وليواصل الإحسان، ومن أساء فليتب إلى الله وليصلح

العمل، ومن خاف أدلج، قيل للإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : «متى الراحة؟ قال: عند وضع أول قدم في الجَنَّة»، في دوام الطَّاعة وامتداد زمانها نعيم للصالحين، وقرة عين للمؤمنين، وتحقيق آمال المحسنين، يقول النَّبي ﷺ: «**خير النَّاس من طال عمره وحسن عمله**» (رواه الترمذي).

أيها المسلمون:

مضت ليالٍ غُرٌّ بفضائلها ونفحات ربها، وأوشك باقيها على الرَّحيل، وكأنها ضَرْب خيال، لقد قطعت بنا مرحلة من حياتنا لن تعود، هذا هو شهركم، وهذه هي نهايته، كم من مستقبلٍ له لم يستكمله؟! وكم من مؤمّلٍ أن يعود إليه لم يدركه؟! فاغتنم ما بقي من الشَّهر بمضاعفة الطاعات، فأيام رمضان تاريخ مؤذنة بالانصراف والرَّحيل، وما الحياة إلا أنفاس معدودة وآجال محدودة، وإنَّ عمراً يقاس بالأنفاس لسريع الانصرام، ومرور الأيام يذكّر بقرب الرَّحيل، واحذر الاغترار بالسَّلامة والإمهال ومتابعة كواذيب المنى والآمال، فالأيام تطوى والأعمار تفنى، فاستلب الزمن وغالب الهوى، واجعل لك في بقية الليالي مُدَّخراً، فإنها أنفس الذخر، وابكِ على خطيئتك، واندم على تفريطك.

واغتنم آخر ساعاته بالدُّعاء، ففي رمضان كنوز غالية، وسل الكريم فخزائنه ملأى ويداه سحَّاء الليل والنهار، واستنزل الرِّزق بالصِّدق، وحصِّن مالك بالزَّكاة، وكن للقرآن تالياً، وودِّع شهرك بكثرة الإنابة والاستغفار، وقيام لله مخلص في دجى الأسحار، وإن استطعت أن لا يسبقك إلى الله في بقية شهرك فافعل، فلحظات رمضان الأخيرة نفيسة، ولعلك لا تدرك غيره، وافتح صفحة مشرقة مع مولاك، وأسدل الستار على ماضٍ نسيته وأحصاه الله عليك، وعاهد نفسك في هذا الشَّهر بدوام المحافظة على الصَّلوات الخمس في بيوت الله، وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، وتطهير مالك عن المحرمات والشُّبهات، وحفظ لسانك عن الكذب والغيبة، وتطهير القلب من الحسد والبغضاء، وغض البصر عن

المحرمات، والقيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، واستدرك هفوات الفوات، فالترحل من الدنيا قد دنا، والتحول منها قد أزف، والرَّشيد مَنْ وقف مع نفسه وقفة محاسبة وعتاب، يصحح مسيرتها، ويتدارك زلتها، يقول ابن حبان ـ رحمه الله ـ: «أفضل ذوي العقول منزلة أدومهم لنفسه محاسبة»، والسَّعيد من استودع صالحاً من عمله، والشَّقي من شهدت عليه جوارحه بقبيح زلله، وهكذا أيام العمر مراحل نقطعها يوماً بعد يوم في طريقنا إلى الدَّار الآخرة، والطَّاعة ليس لها زمن محدود، ولا للعبادة أجل معدود، ويجب أن تسير النفوس على نهج الهدى والرشاد بعد رمضان، فعبادة ربِّ العالمين ليست مقصورة على رمضان، وليس للعبد منتهى من العبادة دون الموت، وبئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان.

أيها المسلمون:

إنَّ للقبول والرِّبح في هذا الشَّهر علامات، وللخسارة والرَّد أمارات، وإنَّ من علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، ومن علامة السَّيئة السَّيئة بعدها، فأتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامة على قبولها، وأتبعوا السَّيئات بالحسنات تكن كفارة لها ووقاية من خطرها ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، ويقول النَّبي ﷺ: «**اتَّق الله حيثما كنت، وأتبع السَّيئة الحسنة تمحها، وخالق النَّاس بخلقٍ حسن**» (رواه الترمذي)، ومن عزم على العود إلى التفريط والتقصير بعد رمضان فالله يرضى عمَّن أطاعه في أيِّ شهر كان، ويغضب على من عصاه في كل وقت وآن، ومدار السعادة في طول العمر وحسن العمل، ومداومة المسلم على الطاعة من غير قصر على زمن معين أو شهر مخصوص أو مكان فاضل من أعظم البراهين على القبول وحسن الاستقامة.

أيها المسلمون:

إن انقضى موسم رمضان فإن الصِّيام لا يزال مشروعاً في غيره من الشُّهور، فقد سنَّ رسول الله ﷺ صيام يوم الاثنين والخميس، وقال: «**إنَّ الأعمال تعرض فيها على الله فأحبّ أن يعرض عملي وأنا صائم**» (رواه أحمد)، وأوصى نبينا محمَّد ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وقال: «**صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدَّهر كله**» (متفق عليه). وأتبعوا صيام رمضان بصيام ست من شوال، يقول المصطفى ﷺ: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدَّهر**» (رواه مسلم). ولئن انقضى قيام رمضان فإن قيام الليل مشروع في كلِّ ليلة من ليالي السَّنة، وقد ثبت عن النَّبي ﷺ: «**أنَّ الله ينزل إلى السَّماء الدنيا كلّ ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**» (متفق عليه)، وأحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ، والمغبون من انصرف عن طاعة الله، والمحروم من حرم رحمة الله، والخطايا مطوقة في أعناق الرجال، والهلاك في الإصرار عليها، وما أعرض معرض عن طاعته إلا عثر في ثوب غفلته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الخلق.

فإيَّاك والمعاصي بعد شهر الغفران فالعاصي في شقاء، والخطيئة تُذِل الإنسان، وتُخرِس اللسان، يقول أبو سليمان التيمي ـ رحمه الله ـ: «إن الرجل يصيب الذَّنب في السِّر فيصبح وعليه مذلته»، وأَقْبِحْ بالذَّنب بعد الطَّاعة، والبعد عن المولى بعد القرب منه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: ٩٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد: أيها المسلمون:

الأعمال بالخواتيم، وفي ختام شهركم اجتهدوا في الإكثار من الاستغفار يغفر لكم ما اقترفتم من خللٍ وتقصير، ومن أحسن وأصلح فيما بقي غفر له ما سلف، ومن داوم على التقصير أخذ بما سلف وبما بقي، وإن من مسالك الإحسان في ختام شهركم إخراج زكاة الفطر ففيها ألفة القلوب وعطف الغني على أخيه الفقير، فَرَضها رسول الله ﷺ طهرة للصائم وطعمة للمساكين، ومقدارها صاع من طعام من غالب قوت البلد، ووقت إخراجها الفاضل يوم العيد قبل الصَّلاة، ويجوز تقديمها قبل ذلك بيوم أو يومين، فأخرجوها طيبة بها نفوسكم.

وأكثروا من التَّكبير ليلة العيد إلى صلاة العيد تعظيماً لله وشكراً له على التمام، قال عزَّ وجلَّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]، واشكروا ربَّكم على تمام فرضكم، وليكن عيدكم مقروناً بتفريج كربة وملاطفة ليتيم، وابتهجوا بعيدكم بالبقاء على العهد وإتباع الحسنة بالحسنة، وإياكم والمجاهرة في الأعياد بقبيح الفعال والآثام،

يقول أحد السلف: «كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد، وكل يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكره فهو عيد».

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

ما بعد رمضــان

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالتَّقوى هي وصيَّة الله لجميع خلقه، ووصيَّة رسول الله ﷺ لأمته.

أيها المسلمون:

لقد يسَّر الله طرق الخيرات، وتابع لعباده مواسم الحسنات، وربُّنا وحده هو مصرِّف الأيَّام والشُّهور ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [الحَجّ: ٦١]، جعل لكلِّ شيءٍ سبباً، ولكلِّ أجلٍ كتاباً، ولكلِّ عملٍ حساباً، وجعل الدُّنيا سوقاً يغدو إليها النَّاس ويروحون منها، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، والأيام أجزاء من العمر ومراحل في الطريق تفنى يوماً بعد يوم، مضيها استنفاد للأعمار، واستكمال للآثار، وقرب من الآجال، وغلق لخزائن الأعمال.

مضت أيام مباركات قطعتم بها مرحلة من مراحل العمر، مَنْ أحسن فيها فليحمد الله وليواصل الإحسان، ومن أساء فليتب إلى الله وليصلح العمل، ومن خاف أدلج، قيل للإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «متى الراحة؟

قال: عند وضع أولّ قدم في الجَنَّة». في استدامة الطاعة وامتداد زمانها نعيم للصالحين، وقرة عين للمؤمنين، وتحقيق آمال المحسنين، يقول النَّبي ﷺ: «**خير النَّاس من طال عمره وحسن عمله**» (رواه الترمذي)، ولقبول العمل علامات، وللكذب في التوبة والإنابة أمارات، فمن علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، ومن علامة السيئة السيئة تتبعها، فأتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامة على قبولها، وتكميلاً لها، وتوطيناً للنفس عليها، حتى تصبح من سجاياها وكريم خصالها، وأتبعوا السَّيئات بالحسنات تكن كفارة لها، ووقاية من خطرها وضررها ﴿**إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ**﴾ [هُود: ١١٤]، ويقول النَّبي ﷺ: «**اتَّقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق النَّاس بخلقٍ حسن**» (رواه أحمد)، وفي لفظ «**وإذا أسأت فأحسن**».

إنَّ الاستقامة على الطَّاعة والاستمرار على التقيد بامتثال الأوامر واجتناب النَّواهي والزَّواجر هي صفة عباد الله المؤمنين ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فُصّلَت: ٣٠]، ولقد أمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بالاستقامة، وحثّهم على ملازمتها، فقال سبحانه: ﴿**فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ**﴾ [هُود: ١١٢]، والاستقامة مفتاح للخيرات، وسبب لحصول البركات واستقامة الأحوال، قال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا**﴾ [الجنّ: ١٦]، روى مسلم في صحيحه عن سفيان بن عبد الله الثَّقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال ﷺ: «**قل: آمنت بالله ثمَّ استقم**» (رواه أحمد)، فاستقيموا على طاعة مولاكم في كلِّ وقتٍ وحين، فإن عمل المؤمن ليس له أجل دون الموت، كما قال سبحانه: ﴿**وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ**﴾ [الحِجر: ٩٩]، ولا تكونوا من الذين يقبلون على الطَّاعات في زمن ويعرضون عن ربِّهم في سائر الأوقات.

أيها المسلمون:

دأب الصَّالحين خوفهم من عدم قبول الأعمال الصَّالحات، يقول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «أدركت أقواماً لو أنفق أحدهم ملءَ الأرض ما أمِن لعظم الذَّنب في نفسه». فلا تثقوا بكثرة العمل فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا؟ ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري أكفرت عنك أم لا؟ والمعجب بعمله مخذول، وكم من عابد قد أفسده العجب؟! ومن المهلكات: شحٌّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، بالعجب اغترارُ النَّفس، وأَمْنٌ مِنْ مكر الله، وتقصير في العمل ونسيان الذنوب وإهمالها، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «الهلاك في اثنتين: القنوط والعجب»، وما أهون إحباط الأعمال، بالمن والأذى تبطل الصدقة، وبترك صلاة العصر يبطل العمل، لذا كان من دعاء الصالحين «اللَّهم إنا نسألك العمل الصالح وحفظه»، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النّحل: ٩٢]، ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان عمله إلى البوار، والأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة عن الشوائب لم تكن عند الله نافعة.

فاستعن بالله على نفي الإعجاب باحتقار الأعمال، وتذكر آلاء الله عليك، وبالوجل من زوال النعم عند تضييع الشكر، يقول سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ: «دخل رجلٌ الجَنَّة بمعصية، ودخل رجلٌ النَّار بطاعة، قيل: وكيف ذلك يا سعيد؟ قال: عَمِل رجلٌ معصيةً فما زال خائفاً من الله مِنْ فعلها فأدخله الله الجَنَّة بخوفه من الله، وعمل رجلٌ طاعة فما زال معجباً بها حتى أحبط الله عمله فدخل النَّار»، فاحفظ ما عملته من صالحات في الشَّهر المبارك بالإخلاص والإقرار بالتقصير وطلب المغفرة والرِّضوان.

أيها المسلمون:

الخطايا مطوَّقة في أعناق الرجال، والهلاك في الإصرار عليها، وما أعرض معرض عن طاعته إلا عثر في ثوب غفلته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الخلق، روي عن أبي جعفر السائح أنه قال: «كان حبيب أبو محمَّد تاجراً يكري الدراهم فمرّ ذات يوم فإذا هو بصبيان يلعبون فقال بعضهم لبعض: قد جاء آكل الرِّبا فنكَّس رأسه وقال: يا ربِّ أفشيت سرِّي إلى الصِّبيان فرجع فجمع ماله كلَّه وقال: يا ربِّ إنِّي أسير وإنِّي قد اشتريت نفسي منك بهذا المال فأعتقني، فلما أصبح تصدق بالمال كله وأخذ في العبادة».

فإيَّاك والمعاصي بعد شهر الغفران، فالعاصي في شقاء، والخطيئة تُذلُّ الإنسان، وتُخرس اللسان، يقول أبو سليمان التيمي ـ رحمه الله ـ: «إنَّ الرجل ليصيب الذَّنب في السر فيصبح وعليه مذلته»، وأقبِح بالذَّنب بعد الطَّاعة، والبعد عن المولى بعد القرب منه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد: أيها المسلمون:

مضت تلك الليالي الغرّ بفضائلها ونفحات ربها، فهنيئاً للذين أطاعوا ربّهم، وعظَّموا شهرهم، وأخلصوا العمل لخالقهم، ومن فاتته التوبة في شهر الغفران فليتداركها قبل فوات الأوان، وربُّنا تعالى يتودد إلى خلقه بالنِّعم، ويناديهم في الظّلم، فكن متعلقاً بخالقك في كل لحظة من حياتك، وفي كل حركة وسكون من شأنك، والذي فضَّل رمضان هو الإله المعبود في كلِّ زمان، واجعلوا الاستقامة شعاركم، وصالح الأعمال غايتكم، وتمسكوا بأخلاق القرآن، واتصفوا بصفات خير الأنام، يحصل لكم الفلاح، وتتم لكم السَّعادة في الدَّارين، قال جلَّ وعلا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: ٩٧].

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

الرِّحلـة إلى الحــجّ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيها المسلمون:

مواسم الخيرات على العباد تترى، فما أن تنقضيَ شعيرة إلا وتتراءى لهم أخرى، ها هي أفواج الحجيج قد أمَّت بيت الله العتيق مُلبية دعوة الخليل عليه السلام ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحَجّ: ٢٧]. بيت جعله الله مثابة للناس وأمناً، حوله ترتجى من الكريم الرحمات والعطايا، حرمٌ مبارك فيه هدىً وخيرات وآيات ظاهرات **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ﴾** [آل عمران: ٩٦، ٩٧]، حجه من عماد الإسلام، قال جل وعلا: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾** [آل عِمـرَان: ٩٧]، جاء الشرع بالأمر ببلوغ رحابه لأداء فريضة الدين، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**يا أيُّها النَّاس: قد فرض الله عليكم الحجَّ فحجُّوا**» (رواه مسلم)،

حجه من أجلِّ الأعمال عند الله، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «سئل النَّبي ﷺ: أيُّ العمل أفضل؟ قال: **إيمان بالله ورسوله**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **الجهاد في سبيل الله**، قيل: ثم ماذا؟ قال: **حجٌّ مبرور**» (متفق عليه)، في أداء ركن الإسلام الخامس غفران الذُّنوب، وغسل أدران الخطايا والعصيان، يقول النَّبي ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه**» (رواه البخاري)، ومن لازم التَّقوى في حجه أعد الله له الجَنَّة نزلاً، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجَنَّة**» (متفق عليه)، قال النووي ـ رحمه الله ـ: «لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه بل لا بد أن يدخل الجَنَّة»، والأعمال توزن بالإخلاص وإذا شابها شرك أو رياءٌ أفسدها، قال جل وعـــلا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

ولا يتم برُّ الحجِّ، إلا بكسب طيب تنزّه عن شوائب المحرمات ودنس الشبهات، والصحبة الصالحة في الحج عون على الطاعة وحسن العبادة، والمروءة في السَّفر بذل الزَّاد وقلة الخلاف على الأصحاب، والإحسان إلى الرفقة عبادة متعدية النفع، قال مجاهد ـ رحمه الله ـ: «صحبت ابن عمر رضي الله عنهما في السفر لأخدمه فكان يخدمني»، قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «وكان كثير من السلف يشترط على أصحابه في السفر أن يخدمهم اغتناماً لأجر ذلك»، وما قدَّم أحد حق الله على هوى نفسه وراحتها إلا ورأى سعادة الدُّنيا والآخرة.

وخير زاد يحمله الحاجُّ مع رفقته زاد الخشية والتَّقوى قال سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البَقـرَة: ١٩٧]، ومن وصايا النَّبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**اتِّق الله حيثما كنت، وأتبع السَّيئة الحسنة تمحها، وخالق النَّاس بخلقٍ حسن**» (رواه الترمذي)، ومن برِّ الحجِّ إطعام الطعام فيه، وإفشاء السَّلام، وطيب الكلام، ومعاملة الخلق بالإحسان إليهم، فلا

تحقرن في حجك من المعروف شيئاً، فخير النَّاس أنفعهم للناس، وأعزهم أصبرهم على أذاهم، وخادم الحجيج المخلصُ لله في رعايتهم شريك لهم في الأجر والثواب، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إن الله ليدخل بالسَّهم الواحد ثلاثةً الجَنَّةَ: صانعَه يحتسب في صنعته الخير، والرَّاميَ به، والمُمِدَّ به**» (رواه الترمذي)، ومن أَمَّ البيت حقيق بلزوم ثلاث خصال: ورعٍ يحجزه عن معاصي الله، وحلمٍ يكفّ به غضبه، وحسنِ الصُّحبة لمن يصحبه.

أيها المسلمون:

خير ما يتقرب به العباد إلى ربِّهم إظهار التَّوحيد في نُسُكِهم، وإخلاص الأعمال لله في قرباتهم، وما كان منها لغير الله يضمحل، قال سبحانه: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البَقَرَة: ١٩٦]، وإظهار النُّسك بالقول فيه وحدانية للخالق «لَبَّيْكَ اللَّهم لَبَّيك، لَبَّيْكَ لا شريك لك لَبَّيْكَ»، وخير ما نطق به النَّاطقون يوم عرفة كلمة التَّوحيد، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنَّبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير**» (رواه الترمذي)، والتَّوكُّل على الله من أجلِّ العبادات قال جلَّ وعلا: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ﴾ [هُود: ١٢٣].

واليأس ليس من دين الله في شيء قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: ٨٧]، هاجر تلتمس الماء لها ولرضيعها في وادٍ غير ذي زرع بين جبلين، أنهكها العطش، وأضناها الإشفاق على صبيها، وبعد توكل على الله وبذل الأسباب وجدت نبعاً متدفقاً لها وللأجيال بعدها، يقول النَّبي ﷺ: «**رحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم لكانت زمزم عيناً معيناً**» (رواه البخاري). والله جلَّ وعلا بيده النَّفع والضّر، فارج الكروب وكاشف الخطوب، متعالي على عباده، بيده مقاليد السَّموات والأرض، متَّصف بالكبرياء والعظمة، يعلن ذلك الحاجُّ بالتكبير

في أنساكه في الطَّواف والسَّعي ورمي الجمار وفي يوم النَّحر وأيام التشريق ليبق القلب مجرداً لله متعلقاً به منسلخاً عن التعلق بما في أيدي المخلوقين، وفي رمي الجمار تذكير لبني آدم بعدوٍّ مُتربِّص بهم يدعوهم إلى النَّار، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فَاطِر: ٦]، فكنْ على حذرٍ من تقصير في واجبٍ أو وقوعٍ في معصية توردك المهالك.

واعلم أن لحظات الحجِّ عزيزةٌ وساعاتِه ثمينة، قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٣]، فسابق فيه إلى كل خير وقربة من الذِّكر والاستغفار والتَّكبير وتلاوة القرآن، قال سبحانه: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٩٨]، وبعد انقضاء النُّسك احْمَدْه على الهداية، واشْكُرْه على العبادة ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٠]، وفي ثنايا النُّسك استغفار ورجوع إلى الله، قال جلَّ وعلا: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ١٩٩]، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «الاستغفار من أكبر الحسنات، وبابه واسع، فمن أحسَّ بتقصير في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه أو تقلب قلبٍ فعليه بالتَّوحيد والاستغفار، ففيهما الشِّفاء إذا كانا بصدقٍ وإخلاص».

والعباد في الحجِّ على قدر هممهم، منهم من يطلب الدُّنيا العاجلة، ومنهم من يطلب الآخرة ومرضاةَ ربِّه، قال سبحانه: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢]، والموفَّق من أدَّى حجَّه بنيَّة صالحة، خالصة ونفقة طيِّبة، وعطر لسانه بذكر الله، وصاحب عبادته إحسان ونفع للمخلوقين، فكونوا في حجِّكم

كذلك، وأخلصوا دينكم لله، واجتهدوا في الأعمال الصالحة، وسارعوا إلى جنَّات ربِّكم.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

أظلَّتكم أيَّام عشرٍ مباركة، الأعمال فيها فاضلة، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**ما من أيَّام العمل الصَّالح فيها أحبّ إلى الله من هذه الأيَّام** ـ يعني: أيَّام العشر ـ **قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**» (رواه البخاري). فأكثروا فيها من التَّكبير والتَّحميد وقراءة القرآن وصلة الأرحام والصَّدقة وبرِّ الوالدين، وتفريج الكربات، وقضاء الحاجات، وسائر أنواع الطاعات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «أيَّام عشر ذي الحجة أفضلُ من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضلُ من ليالي عشر ذي الحجة»، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحيون في العشر سنة التكبير بين النَّاس، كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم يخرجان إلى السُّوق في أيام العشر فيكبِّران ويكبِّر النَّاس بتكبيرهما (رواه البخاري).

والخير يتتابع في العشر بذبح الأضاحي يوم العيد وأيام التشريق، وقد ضَحَّى النَّبيُّ ﷺ بكبشين أملحين أقرنين سمّى وكبَّر وذبحهما بيده (متفق عليه)، وأفضل الأضاحي أغلاها ثمناً وأنفسُها عند أهلها، وتُجزيء شاة

واحدة عن الرَّجُل وعن أهل بيته، ويحرم على من يضحِّي أن يأخذ في العشر شيئاً من شعره أو أظفاره أو بشرته إلى أن يضحِّي، فطيبوا بها نفساً وكلوا وأطعموا وتصدقوا وتحرَّوا بصدقاتكم فقراءكم، وبهداياكم منها أرحامكم وجيرانكم، وصونوا أعيادكم عما يغضب خالقكم، وشاركوا الحجيج في الدُّعاء والتَّهليل والتَّكبير، ومن أقام في بلده وسبقه الحجَّاجُ إلى المشاعر شرع له صيام يوم عرفة، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يُكفِّر السَّنة التي قبله والتي بعده**» (رواه مسلم). فاغتنموا مواسم العبادة قبل فواتها فالحياة مغنم والأيام معدودة والأعمار قصيرة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...

عـرفـات يـوم مشهـود

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فتقوى الله نعم الزَّاد، وهي النَّجاة يوم المعاد.

أيها المسلمون:

تتوالى مواسم الخيرات محفوفةً بفضل الزمان وشرف المكان. أفئدة المسلمين تهفو لبيتٍ معمورٍ يتجهون إليه كلّ يوم في صلاتهم ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤]، وأنظارهم تتطلع لبقاع مباركة تتجدد فيها العبر والعظات قال سبحانه: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧]، الأمن والأمان في ربوعه بأمان من الله ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٧]، نفعه متعدٍّ للحاضر والباد ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحَجّ: ٢٨]، الأرزاق عليه دارة والنعم حوله متوالية ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القَصَص: ٥٧]، ركاب الحجيج مُيَمِّمة بيت الله العتيق، منكسرة في رحابه،

راجية موعود الله وجزيل نواله، مستقبلة طاعة من أجلِّ العبادات وركيزة من دعائم هذا الدِّين، حجُّ بيت الله الحرام باب رحب لحطِّ الأوزار والآثام، يقول النَّبي ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه عند إسلامه: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحجَّ يهدم ما كان قبله؟**» (رواه مسلم)، فيه غسل أدران الخطايا والرَّزايا، يقول النَّبي ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» (متفق عليه)، ثوابه جنات النعيم يقول النَّبي ﷺ: «**الحجُّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنَّة**» (رواه مسلم).

في الحجِّ منافع وعبر وفوائد، التجرد من المخيط تذكير بلباس الأكفان بعد الرحيل، فيه إرشاد إلى التَّواضع ونبذ الكبرياء، الجمع كله إزار ورداء، الرأس خانع للدَّيان، هيئته الخضوع والاستكانة للرَّحمن، إخلاص العمل لله وإفراده بالعبادة شعار الحجِّ وبه افتتاح النُّسك «لَبَّيْكَ اللَّهم لَبَّيْك»، فيها إعلان التَّوحيد ونبذ الشِّرك، «لَبَّيْكَ لا شريك لك لَبَّيْك»، فيها تذكير بإسداء النِّعم والثَّناء على المنعم، «إنَّ الحمد والنِّعمة لك»، ومن لبّى في بلد الله الحرام كان إلى التزام نداء الله بعد حجِّه واستجابته لأوامره بعد أداء نسكه أقرب.

وفي رؤية البيت المعمور مشهد لإخلاص الأعمال لله، الخليل وابنه يرفعان أشرف معمور ومع هذا يسألان الله قبول العمل ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، يقول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «المؤمن جمع إحساناً وشفقة، والمنافق جمع إساءة وأمناً»، وواجب على الحاجِّ إخلاص أعمال الحجِّ وغيرها لله، فلا يريد بعمله رياء ولا سمعة، ولا مباهاة ولا مفاخرة، بل طلب رضا الله وتكفير السَّيئات، وللطواف وقع على القلوب ومهابة في النُّفوس في بساط بيت الله الآمن، فلا موطن على الأرض يتقرب فيه إلى الله بالطَّواف سوى ما حول الكعبة المشرفة، وفي تقبيل

الحجر الأسود حسن الانقياد لشرع الله وإن لم تظهر الحكمة، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتك» (متفق عليه)، وفي مناسك الحجِّ درس في التَّقيد بالسُّنة وحسن الاتِّباع، يقول النَّبي ﷺ: «**لتأخذوا مناسككم**» (رواه مسلم)، فعلى المسلم اتباع المصطفى ﷺ في كلِّ قربة، واقتفاء أثره في كلِّ طاعة ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ**﴾ [الحَشر: ٧].

أيها المسلمون:

يوم عرفة يوم أغرّ، هو ملتقى المسلمين المشهود، يوم رجاء وخشوع، وذلّ وخضوع، يوم كريم على المسلمين، يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «الحجيج عشية عرفة ينزل على قلوبهم من الإيمان والرحمة والنور والبركة ما لا يمكن التعبير به»، وأفضل الدُّعاء دعاء ذلك اليوم، يقول ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: «دعاء يوم عرفة مجاب كله في الأغلب»، والإكثار فيه من كلمة التَّقوى مع فهم مدلولها ومعانيها خير الكلام، يقول النَّبي ﷺ: «**خير الدُّعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنَّبيُّون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» (رواه الترمذي)، يومٌ يكثر فيه عتقاء الرَّحمن، ويباهي بهم ملائكته المقربين، يقول النَّبي ﷺ: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النَّار من يوم عرفة، وإنَّه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء**» (رواه مسلم)، قال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: «وهذا يدل على أنهم مغفور لهم، لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب إلا من بعد التوبة والغفران». فكن مخبتاً لله في ذلك اليوم، متواضعاً خاضعاً لجنابه، منكسراً بين يديه، طامعاً في كرمه، راغباً في وعده، راهباً من وعيده.

واجتماع النَّاس في عرفة تذكير بالموقف الأكبر يوم الحشر لفصل

القضاء بين الخلائق ليصيروا إلى منازلهم إمَّا نعيم وإما جحيم، والدُّعاء عظيم المكانة رفيع الشأن، يرفع الحاج إلى مولاه حوائجه ويسأله من كرمه المتوالي، فتقيّد بشروطه وتمسَّك بآدابه، واحذر من الوقوع في شيء من موانع إجابته، وتحر الأوقات والأمكنة الفاضلة لقبوله، وتوجه إلى الله بقلبك امتثالاً لأمره، يقول سبحانه: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وارفع له سؤلك، وناجه بكروبك، وأيقن بتحقيق الإجابة، وألح على الكريم في الطَّلب، ولا تيأس من تأخر العطاء، ففي التأخير رحمة وحكمة وهو الخلاَّق العليم ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ونحر النُّسك عبادة محضة لله يتقرب بها المسلمون لربِّهم من هدي أو أضحية ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج: ٣٧]. وفي وضع النواصي بين يدي ربها حَلْقاً أو تقصيراً استسلام لهيمنة الله وخضوع لعظمته وتذلُّل لعزَّته.

والذِّكر وسيلة لحياة القلب وتهذيب النَّفس وتزكية الفؤاد، وإقامة ذكر الله والإكثار منه في المشاعر مقصد من مقاصد أداء تلك الشَّعيرة، وأرجى لقبولها وأصدق في إخلاص فعلها، قال تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، وقال جلَّ وعلا: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، فصاحِبْ ذكر الله في سائر حجك فشعائر الحجِّ شرعت لذلك، يقول النَّبي ﷺ: «**إنما جُعل الطَّواف بالبيت، والسَّعي بين الصَّفا والمروة، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله**» (رواه الترمذي وقال حسن صحيح).

وأقرب الحجيج عند الله منزلة أكثرهم له ذكراً، يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً، فأفضل الصوّام أكثرهم

ذكراً لله في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكراً لله، وأفضل الحجَّاج أكثرهم ذكراً»، وإذا انقضى الحج فأكثر من الاستغفار فهو ختام الأعمال، والاستغفار يخرج العبد من العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، ومن أحسن في حجه وابتعد عن قوادحه عاد منه بأحسن حال، وانقلب إلى أطيب مآل.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحَجّ: ٢٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

من فاز بمغنم الحجِّ حقيق به أن يعود إلى بلده بحال زاكية صالحة مطمئنة مليئة بالإيمان والتَّقوى، نفسه قويمة السُّلوك، ذات عزيمة قوية في الطاعة، وإقبال على الرَّبِّ، ومن أمارة الرِّضا والقبول فعل الحسنة بعد الحسنة، وإذا انقلب الحاجُّ إلى دياره فليكن فيها قدوة بالصلاح والاستقامة والدَّعوة إلى الله على بصيرة والتَّمسُّك بالدِّين، ورحيلك من المشاعر تذكير لك بالرحيل من هذه الدار، فأنت في سفرٍ سيعقبه سفر إلى قبرك، فتزوَّد من هذه لتلك، يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «النَّاس منذ خُلقوا لم يزالوا مسافرين وليس لهم حطٌّ عن رحالهم إلا في الجَنَّة أو النَّار»، فاغتنم مواسم العبادة قبل فواتها فالحياة مغنم والأيام معدودة والأعمار قصيرة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه. . .

وقفات مع النَّفس أول العام

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالتَّقوى أربح المكاسب، وأجزل المواهب.

أيها المسلمون:

إنَّ تعاقب الشُّهور والأعوام على العباد من نعم الله الغزار قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٣، ٣٤]، ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من النَّاس، الصِّحة والفراغ**» (رواه البخاري)، وقد أقسم الله في آيات عديدة من كتابه بأجزاء من الوقت، من الليل والنهار، والفجر والعصر والضُّحى، ونحن قد ودّعنا عاماً حافلاً من أعمارنا، واستودعنا فيه أعمالنا، تنشر يوم الحشر أمامنا، فما أسرع ما مضى وانقضى، وما أعظم ما حوى، كم من حبيبٍ فيه فارقنا؟ وكم من بلاء فيه واجهنا؟ وكم سيئات فيه اجترحنا؟

والليالي والأيام خزائن للأعمال، ومراحل للأعمار، تُبلي الجديد، وتقرب البعيد، أيامٌ تمر وأعوام تكر، وأجيال تتعاقب على درب الآخرة، فهذا مقبل وذاك مدبر، وهذا صحيح وآخر سقيم، والكلُّ إلى الله يسير، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كلّ النَّاس يغدو، فبائع نفسه، فمعتقها، أو موبقها**» (رواه مسلم)، في الدَّهر آلام تنقلب أفراحاً، وأفراحٌ تنقلب أتراحاً، أيام تَمُرُّ على أصحابها كالأعوام، وأعوام تَمُرُّ على أصحابها كالأيام، واللبيب من اتخذ في ذلك عبرةً ومُدَّكراً، قال سبحانه: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النُّور: ٤٤].

والعام وَلَّى بما أودع فيه العباد من أفعال وستعرض عليهم أعمالهم ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القِيَامَة: ١٣]، فانظر في صحائف أيامك التي خلت، ماذا ادخرت فيها لآخرتك؟ واخل بنفسك وحاسبها حساب الشَّحيح، يقول ميمون بن مهران ـ رحمه الله ـ: «لا يكون العبد تقياً حتى يكون مع نفسه، أشد من الشريك مع شريكه».

واعلم أن مضي الليل والنهار يباعدان من الدُّنيا، ويقربان من الآخرة، فطوبى لعبد انتفع بعمره، فاستقبل عامه الجديد بمحاسبة نفسه على ما مضى، والرَّشيد من وقف مع نفسه وقفة حساب وعتاب، يصحح مسيرتها ويتدارك زلتها، يتصفح في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن كان محموداً أمضاه واستبق بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه وانتهى عن مثله في المستقبل، لأنه مسافر سفراً لا يعود، يقول أبوحاتم ابن حبان ـ رحمه الله ـ: «أفضل ذوي العقول منزلة أدومهم لنفسه محاسبة».

وإنَّ غياب محاسبة النَّفس نذيرُ غرقِ العبد في هواه، وما أردى الكفار في لجج العمى إلا ظنّهم أنهم يمرحون كما يشتهون بلا رقيب، ويفرحون بما يهوون بلا حسيب، قال سبحانه عنهم: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا﴾ [النَّبَإِ: ٢٧].

والاطلاع على عيب النَّفس ونقائصها ومثالبها يلجمها عن الغيِّ،

ومعرفة العبد نفسه وأنَّ مآله إلى القبر يورثه تذللاً وعبودية لله، فلا يعجب بعمله مهما عظم، ولا يحتقر ذنباً مهما صغر، يقول أبو الدَّرداء رضي الله عنه: «لا يتفقه الرَّجل كل الفقه حتى يمقت النَّاس في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً».

وإذا جالست النَّاس فكن واعظاً لقلبك، فالخلق يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك، ومن صح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زيَّن الله ظاهره بالصلاح والفلاح.

والتعرف على حقِّ الله وعظيم فضله ومنِّه، وتذكُّر كثرة نعمه وآلائه يطأطيء الرأس للجبار جلَّ وعلا، ويدرك المرء معه تقصيره على شكر النعم، وأنه لا نجاة إلا بالرجوع إليه، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «بداية المحاسبة أن تقايس بين نعمته عزَّ وجلَّ وجنايتك، فحينئذ يظهر لك التفاوت، وتعلم أنه ليس إلا عفوه ورحمته، أو الهلاك والعطب»، وتَفَقُّد عيوب النَّفس يزكيها ويطهرها، قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشّمس: ٩، ١٠]، يقول مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ: «رحم الله عبداً قال لنفسه: ألستِ صاحبة كذا؟ ألستِ صاحبة كذا؟ ثم زمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب ربها فكان لها قائداً».

وإنّ أضرَّ ما على المكلف، إهمال النَّفس وترك محاسبتها، والاسترسال خلف شهواتها حتى تهلك، وهذا حال أهل الغرور الذين لا يحترزون من الوقوع في المعاصي، ويتكلون على العفو، وإذا فعلوا ذلك سهلت عليهم مواقعة الذنوب وصغر في أعينهم وبالها، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفِطار: ٦]، يقول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «لا يليق بالمؤمن إلا أن يعاتب نفسه فيقول لها: ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ وأما الفاجر فيمضي قدماً لا يعاتب نفسه»، والمؤمن قوام على نفسه يحاسبها قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا

مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وشق الحساب على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة.

فتوق الوقوع في الزَّلة فترك الذَّنب أيسر من طلب التَّوبة، وأنِّبها على التَّقصير في الطَّاعات، فالأيام لك لا تدوم، ولا تعلم متى تكون عن الدنيا راحلاً؟ وخاطب نفسك ماذا قدمت في عام أدبر؟ وماذا أعددت لعام أقبل؟ يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا».

وعاهد نفسك في مطلع هذا العام على المحافظة على الصَّلوات الخمس في المساجد جماعةً مع المسلمين، والتَّزود من العلم النافع والسَّعي في نشره وتعليمه، وحفظ اللسان عن المحرمات من الكذب والغيبة والبذاءة والفحش، وعليك بالورع في المطاعم والمشارب واجتناب ما لا يحلّ، واحرص على برِّ الوالدين وصلة الأرحام وبذل المعروف للقريب والبعيد، وتطهير القلب من الحسد والعداوة والبغضاء، واحذر من الوقيعة في أعراض المسلمين، واجتهد بالقيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وأداء حقوق الأولاد والزَّوجة على الوجه الأكمل، وغضّ البصر عن النَّظر إلى المحرمات في الطرقات أو الفضائيات، وما أجمل أن يكون هذا العام انطلاقة تغير في المجتمعات، ومحافظة النِّساء على حجابهن والتزامهن بالستر والحياء، امتثالاً لأمر الله واتباعاً لسنة رسول الله ﷺ، واقتفاء بسير الصَّحابيَّات والصَّالحات.

فالليل والنهار يباعدان عن الدُّنيا ويقربان من الآخرة، فطوبى لعبد انتفع بعمره فاستقبل عامه الجديد بمحاسبة نفسه على ما مضى، فكلّ يوم تغرب فيه شمسه ينذرك بنقصان عمرك، والعاقل من اتعظ بأمسه واجتهد في يومه واستعد لغده، فخذ الأهبة لآزف النقلة، وأعد الزَّاد لقرب

الرِّحلة، وخير الزَّاد ما صحبه التَّقوى، وأعلى النَّاس عند الله منزلة أخوفهم منه.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: أيها المسلمون:

فاتحة شهور العام، شهر الله المُحرَّم، من أعظم الشُّهور عند الله، عظيم المكانة، قديم الحرمة، رأس العام، من أشهر الله الحرام، فيه نصر الله موسى وقومه على فرعون وملأه، ومِنْ فضائله: كثرة صيام أيامه، يقول النَّبي ﷺ: «**أفضل الصِّيام بعد رمضان شهر الله المُحَرَّم، وأفضل الصَّلاة بعد الفريضة صلاة الليل**» (راوه مسلم).

وأفضل أيَّام هذا الشَّهر يوم عاشوراء، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «قدم النَّبي ﷺ المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**» قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال: «**نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه**» (متفق عليه)، ولمسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: «**أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله**»، وقد عزم على أن يصوم يوماً قبله مخالفة لأهل الكتاب فقال: «**لئن بقيت إلى قابل لأصومنَّ التاسع**»، فيستحب للمسلمين أن يصوموا يوم العاشر اقتداء بسنة المصطفى ﷺ،

وطلباً لثواب الله، وأن يصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده مخالفة لليهود، وعملاً بما استقرت عليه السُّنة وذلك من شكر الله عزَّ وجلَّ على نعمه، واستفتاح هذا العام بعمل من أفضل الأعمال الصالحة التي يرجى فيها ثواب الله سبحانه وتعالى.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

الإجـازة والدُّروس المستفـادة منهـا

الحمد لله الذي سهَّل لعباده المتَّقين إلى مرضاته سبيلاً، وأوضح لهم طرق الهداية وجعل اتباع الرَّسُول عليها دليلاً، أحمده سبحانه وهو المحمود على ما قدره وقضاه، وأشكره تعالى والشُّكر كفيل بالمزيد من عطاياه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا ربّ لنا غيره ولا معبود لنا سواه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده المصطفى، ونبيه المرتضى، صلى الله عليه وعلى أصحابه مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فبالتَّقوى تُرفع الدَّرجات؛ وتُقال العثرات.

أيها المسلمون:

خلق الله الخلق في هذه الحياة وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً، ليلٌ يُدبِر، وصبحٌ يتنفَّس، يُخلق أقوام ويُقبض آخرون، والحياة سائرة بسنتها وحكَمِها، والنَّاس فيها يغدون ويروحون، مطيع عليها وعاصٍ، مؤمن وكافر. وها هي الإجازة قد انصرمت أيامها، وتفرقت أوصالها، وحَوَت بين جنبيها حكماً وعبراً، وعظات وأحداثاً، شَقى فيها خلق وسَعد فيها آخرون، يتمنى فيها امرؤ زوال يومه ليزول معه غمُّه وهمُّه، وآخر

يتمنى دوام يومه ليلتذ بفرحه وسروره، وفي تقلب أيامها مزدجر، وفي تنوع أحوالها مدَّكر، أمور تترى تزيد العاقل عظة وعبرة، وتُنبِّه الجاهل من سبات الغفلة، قيل للربيع بن خيثم: كيف أصبحت؟ قال: «أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا»، وتقلبات الدهر وتصرّم الأيام ومضي المناسبات يجب أن تكون مواقف محاسبة ومساءلة.

وعلى المرء أن يقف وقفة صدق مع نفسه وزمنه فكل النَّاس عند ربهم موقوفون وجميعهم بين يديه مسؤولون، الرسل وأممهم مسؤولون ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، وأهل الصدق مسؤولون ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]، وذوو النعمة مسؤولون وعن النعيم محاسبون ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التّكاثُر: ٨]، والأيام تطوى والأعمار تفنى، والليل والنهار يُدنيان كل بعيد ويأتيان بكل موعود، وفي سرعة مضيها ما يذكر اللبيب بسرعة تصرّم عمره وقرب حلول أجله، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب يوم الشدة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء عاد أمره إلى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والخسارة».

أيها المسلمون:

صفحات من الإجازة طواها دهر اليوم أين مضت؟! وكيف قضيت؟! وصحائفها ماذا حوت؟! يقول النَّبي ﷺ: «**كل النَّاس يغدو، فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها**» (رواه مسلم)، فصنف من النَّاس أمضوها في أجلِّ القُرَب إلى الله، في طلب فنون العلم لإدراكهم أن العلم يفضي بصاحبه إلى السعادة فقليله ينفع وكثيره يُعلي، فاجْتَهَدُوا في طلبه واستعذبوا المشقَّة في حفظه، قومٌ طووا فراش التواني والكسل فنالوا المزيد من الفضائل، عليهم بهاء الطاعة وأنوار العبادة، آثروا الباقي على الفاني، وهؤلاء هم

الأتقياء سادة النَّاس في الآخرة ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجَادلة: ١١].

ومنهم من ابتغى طرق الخير ورياض الجَنَّة، ودعا إلى الله على بصيرة ـ بحكمة وموعظة حسنة ـ ملتزماً بالكتاب والسُّنة، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ناصحاً لأولاده، حافظاً أمانة الله فيهم، ساعياً في إصلاحهم ليكونوا عوناً له في الحياة وذخراً له بعد الممات، فهذا قد تمطَّى ركائب المجد، ورام الخير لنفسه والسَّلامة لدينه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسرَاء: ١٩].

وصنف أحدق بصرَه وأظلم قلبُه بمرئيات ذوات أطباق عاش معها خيالاً، وطلب فيها مُحالاً، أفنى عمره بالندم، وقواه بالحسرة، فهذا كما بدأت عنده الإجازة انقضت، لا لدنيا جمع ولا لآخرةٍ ارتفع.

وآخرون أَفَلَتْ شمس عودتهم من سفر محرم ـ من ديار تحمل في طياتها أخطاراً على العقيدة والأخلاق ـ فهؤلاء مغبونون خاسرون منهم من لوث معتقده ودنَّس ولاءه وبراءه وبعثر أمواله في المنكرات والمحرمات.

ومنهم من أوغل في الظلم فاستصحب معه نساءه ومن تحت يده من بنين وبنات ممن نشأ على الفطرة ليذيقهم حظهم من الشَّقاء، وتستمريء نفوسهم الاستخفاف بالمعاصي ـ مِن أفعالٍ تسقط المروءة، وتقضي على الفضيلة ـ في ديار تلاطمت فيها أمواج الفتن واشرأبَّت فيها مهاوي الرذيلة، النَّبي ﷺ ينهى عن التطلع إلى الفتن والاستشراف إليها، وذا ينغمس بأهله وولده في ضحلها ودركها، فضيّع الأمانة وفرّط في الرعاية، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النّحل: ٢٥]، أهكذا تقابل نعمةُ المالِ والعافية والبنينَ بالجحود والنكران؟!

إنَّ المأمول من الآباء السَّعي إلى إصلاح ذويهم، لا الزَّجَ بهم في

أماكن الفتن، وتعريض قلوبهم للظُّلمة والانحراف عند أدنى محنة، والضلال عند أول فتنة، قال أهل العلم: «الشبهات والشهوات أصل فساد العبد وشقائه في معاشه ومعاده»، ومنهم من إذا عاد تراه ينزع جلباب الحياء بما اقترفته جوارحه من محرمات، فيهتك ستر الله عليه، ويرغِّب السَّامع في تلك الآثام ويحسنها له ويمدحها عنده فيتفاحش ذنبه، إن الافتخار بالمعصية أمارة على موت القلب وفساد الفطرة، يقول النَّبي ﷺ: «**كلُّ أمَّتي معافى إلا المجاهرين**» (متفق عليه)، فواجب العبد أن يتَّقي الله في كل زمان ومكان، وأن يعتزَّ بدينه الذي يحمل معاني الخير وحميد الخصال.

أيها المسلمون:

ما ظهرت معصية على نعمة إلا سلبتها، ولا تمكنت من قلب إلا أفسدته، تزيل النعم الحاصلة وتمنع الآلاء المقبلة، فاحرص على محاسبة نفسك، واحذر مزالق الهوى ونزغات الشَّيطان وسوء الخاتمة، فقد أُحصيت عليك اللفظة والنظرة، وعاتب نفسك على التقصير، واحمد الله أن فُسِح لك في الأجل ولم يجعلك بغتة تحت ركام بناء من زلزال أو جثةً من فيضان، وبادر بتوبةٍ نصوح فإن الله يفرح بتوبة التَّائب، وإيَّاك والتَّسويف فمن استعمل التسويف والمُنى لم ينبعث إلى العمل، من وصايا لقمان: «يا بني: لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة»، فالسَّعيد من أخذ من نفسه لنفسه، ومهَّد لها قبل يوم قبره، يقول وهب بن منبه ـ رحمه الله ـ: «من جعل شهوته تحت قدميه فَزِع الشَّيطان من ظله»، فاستلب الزمن، وغالب الهوى، وحاسب النَّفس، وامح القبيح، واستعد لمُلِمَّات الممات، واستدرك هفوات الفوات، فالتَّرحُّل من الدنيا قد دنا، والتحول منها قد أزف، ومن أصلح ما بقي غُفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أُخذ بما مضى وبما بقي، والأيَّام مطايا والأنفاس خطوات.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عِمرَان: ٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله معيد الليالي والأيَّام، أحمده سبحانه على ما أولانا من الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المَلِكُ العلاّم، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله سيد الأنام، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام.

أما بعد: أيها المسلمون:

لقد أظلنا عام تعليم جديد متعدد العلوم متنوع المعارف، والعلوم تختلف فضلاً وقدراً باختلاف المقاصد، وتتفاوت سُموّاً ورفعة باختلاف الموارد، وأفضل العلوم وأنفعها للإنسان ما تحصل به سعادة قلبه وانشراح صدره، وهو ما أُخذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما اكتسب مكتسب مثل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يردّه عن ردى، وإذا حُفظت العقول والأخلاق وأحيطت بسياج الدين المتين وربطت برباط العقيدة الوثيق صلحت الأعمال، والعلم لا ينال إلا على جسر من التَّعب والمشقة، ومن لم يصبر على ذلّ التعلم ساعة تجرع كأس الجهل أبداً، ولا يتم الأمر إلا بصلاح النِّيَّة والإخلاص لله في طلب العلم ونشره من المعلم والمتعلم.

وعلى الجميع الاتصاف بسمات السلف الصالح الذين ينشرون العلم محبة له وللعمل به، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٧٩]، وعلى المعلِّم أن يتحرىٰ الأمانة والعدالة في التقويم، وإن الحرص ودقّة المتابعة من أولياء الأمور

لأبنائهم في تعليمهم فعل محمود، وتوجيههم في اختيار صحبتهم وأمْرُهم بالصَّلاة مع جماعة المسلمين ألزم وأوجب، وفي أداء الطالب لصلاة الفجر في المسجد حفظ له، ودفع للشرور والآفات عنه من شياطين الإنس والجن، يقول النَّبي ﷺ: «**ومن صلى الفجر فهو في ذمة الله حتى يمسي**» (رواه مسلم).

فاجتهدوا ـ يا عباد الله ـ في طاعة ربِّكم والعمل بسنة نبيِّكم، وحبِّبوا الطَّاعات إلى أولادكم من البنين والبنات، وكرّهوا إليهم المعاصي والمنكرات. ألا ما أعظم سعادة عبد منّ الله عليه بوقاية نفسه وأهله وولده من النَّار، ودعاهم إلى الفوز بالجَنَّة والنَّجاة من النَّار اصْطَحبَ البنين معه إلى الصَّلاة مع جماعة المسلمين في المسجد، وعوَّدهم على إجابة النداء والإسراع إلى الصَّلاة وفعل الخيرات، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التّحريم: ٦]، وقال عزَّ مِنْ قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩﴾ [الحجّ: ٧٧]، وقال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصَّلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشرٍ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**» (رواه أبو داود).

فتربية الأولاد على الإيمان والتَّقوى والعمل الصالح أمانة كبرى عنها تُسألون، فقوموا بها كما أُمرتم، وإياكم والتفريط فإنكم على أعمالكم محاسبون وبأفعالكم مجزيون.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...

الآبـــاء والأبـنـــاء

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فتقوى الله نور في القلب، وبشرى في المنقلب.

أيها المُسلمون:

الأعمار تطوى والأيام تفنى، والعبد يعاقب على تفريطه في زمانه، ويثاب على اغتنامه الأيام، وعمارة الأوقات بالطاعة مما يغبن به العباد بعضهم بعضاً، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**نعمتان مغبون فيهما** ـ أي: لا يعرف قدرهما ـ **كثير من النَّاس، الصِّحة والفراغ**» (رواه البخاري).

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «من استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون». وفي شباب اليوم من يضيع الأوقات في الإجازة ويفرط في الطَّاعات، وعلى الآباء عبء ثقيل في إصلاح أبنائهم وإرشادهم إلى ما يشغلون به فراغهم، فبأيدهم القوامة والرعاية، وعقوق الأبناء آباءهم وضعف تمسكهم بدينهم وانحراف سلوكهم وأخلاقهم من قصور القيام بواجب الولاية عليهم،

وغفلة الأولياء عنهم والتقصير في السؤال عن أحوالهم خلل في التربية، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «وإذا اعتبرت ـ أي: تأملت ـ الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء».

والانغماس في لهو الحياة وزخرفها والإعراض عن الأسرة إضاعة للأبناء، وميزان الشَّرع في ذلك قول النَّبي ﷺ : «**وإنَّ لنفسك حقاً ولأهلك حقاً**» (رواه البخاري)، وإهمال مراقبتهم وعدم تفقد صحبتهم من نقص النصح لهم.

والمال في أيدي الشَّباب مع قصورحسن التصرف فيه مفسدة لهم، وإنما ينفق عليهم بقدر حاجتهم من غير تبذيرٍ ولا تقتير، ووضع الملهيات في البيوت من القنوات ونحوها لها تأثير على المعتقد الصحيح، وفيها دربة على الجريمة، وتشرب فضلات الانحراف وضرره بادٍ على الأسرة، قال الله سبحانه : ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ**﴾ [النِّساء: ١٢٣]، وهي من أسباب حيرةِ عقول الشَّباب، واضطرابِ أفكارهم، لما فيها من تناقضٍ وتضاربٍ في الأقوال وطرحها لمسلمات من أحكام الشَّريعة، وجعلها أداةً للجدلٍ والآراء البشرية، مما لا يتفق مع ما يجب على كلِّ مسلم من التسليم والقبول لنصوص الوحي وأحكام الشَّريعة.

والفتن في البيوت داء من استشرف إليها أخذته، ودواء الفتن نبذها والإعراض عنها، والحذر من مغبتها، وقرب الوالدين من أبنائهم ملء لفراغ قلوبهم ومنع لهم من قرناء السُّوء، وفي الأولياء من هو معرض عن أبنائه، بمنأى عنهم بروحه وجسده، متوان عن أسباب هدايتهم، وواجب على الأب أن يكون قدوة صالحة لأبنائه بالتَّمسك بالدِّين، والبعد عن الخطايا والسيئات. والتوجيه السَّوي المصحوب بالرِّفق خير معين على استقامتهم مع الصَّبر والرِّفق واللِّين معهم، وإذا لم يتَّسع الصَّدر عليهم تلقفهم أهل الانحراف والشُّرور.

والزَّواج المبكِّر من أعظم أسباب صلاح الأبناء والفتيات عملاً بوصية

النَّبي ﷺ: «**يا معشر الشَّباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج**» (متفق عليه).

وتأخير الزَّواج يوقع الشَّباب والفتيات في أمور تسوء العاقبة فيها، والإخلاص في تربية الأولاد وتوجيههم عبادة عظيمة يؤجر عليها الوالدان، وهي من أعمال أهل الجَنَّة قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من عال جاريتين حتى تبلغا** ـ أي: قام عليهما بالمؤنة والتربية ـ **جاء يوم القيامة أنا وهو، وضمّ أصابعه**» (رواه مسلم)، وللترمذي «**دخلت أنا وهو الجَنَّة كهاتين، وأشار بأصبُعَيه**».

ودعاء مستجاب ممنوح من الكريم سبحانه للوالد في دعائه لأبنائه، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ثلاث دعوات يستجاب لهم لا شك فيهم، دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده**» (رواه ابن ماجه).

وتسر الأفئدة بحسن العاقبة في جني ثمار صلاحهم، قال سبحانه: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [البَقَرَة: ١٣٣].

أيها الشاب:

سنُّ الشَّباب من النِّعم التي لا تدوم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اغْتنِمْ خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**» (رواه الحاكم).

والشابُّ يحاسب على إهمال فتوته وتقصيره فيها، يقول النَّبي ﷺ: «**لا تزول قدمُ ابنِ آدم يوم القيامة من عند ربِّه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم**» (رواه الترمذي).

ومن حفظ شبابه بالطَّاعة أظلّه الله تحت ظلِّ عرشه، قال عليه الصَّلاة

والسَّلام: «**سبعة يظلِّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلِّه** ـ وذكر منهم ـ **شابٌّ نشأ في عبادة الله**» (رواه البخاري)، ومن ملك هواه في حال شبيبته أعزه الله في كهولته.

وفي سلف الأمة من اغتنم شبابه فنشأ على الطاعة والعبادة والعلم. فابن عباس رضي الله عنهما يتهجد الليل وهو ابن عشر سنوات، قال: «صلَّيت مع النَّبي ﷺ فقمت إلى جنبه عن يساره فأخذني فأقامني عن يمينه، قال ابن عباس: وأنا يومئذٍ ابن عشر سنين» (رواه أحمد)، وصنف الإمام البخاري كتابَ التاريخِ الكبير وعمره ثمانية عشر عاماً، قال: «صنفته إذ ذاك في الليالي المقمِرة»، والذهبي قرأ القرآن على مسعود الصَّالحي أربعين ختمة، وعبدالملك بن عمر بن عبد العزيز توفِّي وهو في التَّاسعةَ عشرة من عمره، وكان في شبابه مجتهداً في العبادة، ومع قدرته في الدنيا وتمكنه منها كان راغباً عنها مقبلاً على الله، قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «ففي ذكر مثلِ أخبار هذا السيدِ الجليل مع سِنّه، توبيخ لمن جاوز سِنَّه وهو بطال، ولمن كان بعيداً عن أسباب الدنيا وهو إليها ميال».

فاغتنم زهرة العمر وجانب قرناء السوء، ففي صحبتهم ندامة، يقول عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

والمرأة فتنة فاجتنب فتنتها، وكن بمعزل عنها، وإيَّاك والحديث مع من لا تحل لك، فالحرام متعته زائلة ثم تعقبه حسرة، ومن أتبع هواه كانت نهايته الذل والصغار والبلاء، وللطاعة لذَّة وسرور، وبرُّ الوالدين من أسباب السعادة، والصَّلاة مع جماعة المسلمين عصمة من الشُّرور.

أيتها الأم:

الأم يترعرع في أحضانها العظماء، والنبلاء في الأمة ثمرة حسن الرعاية والتوجيه من أمهاتهم، يقول الشافعي ـ رحمه الله ـ: «نشأت يتيماً

وأنا بالشَّام، فجهَّزتني أمي للسَّفر إلى مكة لطلب العلم وأنا ابن عشر سنين، ولم يكن عندها ما تعطيني ما أشتري به القراطيس، فكنت أنظر إلى العَظْم فآخذه فأكتبُ فيه»، ويقول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ : «ألبستني أمي وأنا صبيٌّ لباس العلم، ثم قالت : اذهب إلى الإمام ربيعة فتعلَّم من أدبه قبل علمه»، فالأم تشاطر زوجها أمانة إصلاح أبنائهم وإبعاد الشُّرور وأسباب الفتن من دورهم، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**» (متفق عليه)،

فعليها أن لا تهمل أمانتها بتغليب جانب راحةِ أبنائها ورحمتهِم على توجيههم، وأمرهم بأوامر الشَّريعة.

أيتها الفتاة :

الحياء نعتُ جمالٍ في المرأة، والأُمَم تمدح باتصاف نسائها بالحياء، قال سبحانه في قصة موسى : ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القَصَص: ٢٥]، والمرأة ذات الحياء المانع حياؤها على ترك القبيح موعودة بالجَنَّة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام : «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجَنَّة**» (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح)، قال أهل العلم : «ومن لم يستح من الله من معصيته، لم يستح الله من عقوبته».

والحياء يصان بالقرار في البيوت، وبملازمة الحجاب والستر والاحتراز من الحديث مع الرجال الأجانب، والحذر من سموم الفضائيات، فالمعاصي تذهب السعادة، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «النِّساء عورة فاستروها بالبيوت»، وفي المجتمع نساء صالحات حافظات للغيب، ملازمات لكتاب الله العظيم، مستمسكات بالحجاب والحياء، ملازمات للدِّين بمثلهن يفخر المجتمع.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التّحـْريم: ٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أيها المسلمون:

الأسرة تسعد بطاعة الله ورسوله، وصلاحُ أفرادها صلاح للمجتمع، وفي البعد عن الفتن سلامة الدين، والتفقه وسؤال أهل العلم وبذل الأسباب بالحكمة من أهم أسباب صلاح المجتمع وسعادةِ أفراده.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه. . .

لمـاذا ينحـرف الشَّـبـاب؟

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فتقوى الله نعم العمل؛ والإعراض عنها بئس الأمل.

أيها المسلمون:

لقد خلق الله عباده على الفطرة السويّة السَّليمة، وبعث الرُّسل لتقريرها، والناشئة في بكور حياتها، ديوان مفتوح، وسجل ناصع، تتلقى ما يرد عليها من حق أو باطل، أرض تُنبِتُ أيَّ غراس من صحيح العقائد وفاسدها، ومن مكارم الأخلاق ومساوئها، قال النَّبي ﷺ «**كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه**» (متفق عليه)، وعقول الشَّباب هدف لأعداء المسلمين الذين تنوعت وسائلهم؛ ليوقعوا الشَّباب في شراكهم، وليزجّوا بهم في وحل الفتن تارة، ويلقوا عليهم الشُّبهات تارةً أخرى، لِيُرْدوهم ويُورِدوهم مستنقع الهوى والشَّهوات، ويُغرِقوهم في الملهيات والمحرمات، ولا أنفع بإذن الله للشَّباب من التحصن بعلم

الشَّريعة، علم يزيد الإيمان، وينير البصيرة، ويهذب النَّفس، ويرفع عن دنيء الأفعال، طالبه منظوم في سلك العظماء ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، سلوكه توفيق للخلود في الجنان، والخلق عنه راضون، ولصنيعه مستغفرون، والملائكة لمجالسة أهله راغبون.

ومن تعظيم الشَّريعة والدين تعظيم العلماء، فهم خَلَف أنبياء الله في دعوتهم، قال ﷺ: «**وإن العلماء ورثة الأنبياء**» (رواه أحمد). حقٌّ علينا تبجيلهم وتوقيرهم، وعلى هذا سار أسلاف هذا الدِّين، يقول الرَّبيع بن سليمان ـ رحمه الله ـ: «ما اجترأت أن أشرب الماء والشَّافعي ينظر إليَّ هيبة له»، سؤالهم علم، ومجالستهم سعادة، ومخالطتهم تقويم للسلوك، وملازمتهم حفظ للشباب ـ بإذن الله ـ من الزَّلل، يقول ميمون بن مهران ـ رحمه الله ـ: «وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء»، ثمرة مجالسة العلماء ليست في التزود من العلوم والمعارف فحسب، بل الاقتداء بهم في الهدي والسَّمت وعلوِّ الهمَّة ونفع الآخرين، و بُعْد ناشئة المسلمين عنهم يؤدي إلى تخبط في طلب العلم، وإعجاب بالرأي وقلة في التعبد، وواجب على الشَّباب البعد عن مواطن الفتن والشُّبهات والشَّهوات، ونبيُّنا محمَّد ﷺ تعوَّذ من الفتن وأمر أصحابه بالتعوذ منها، ومن مدَّ عينيه إلى الفتن أو أرخى سمعه لها أخذته، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام عن الفتن: «**ومن استشرف إليها** ـ أي: تطلع إليها ـ **أخذته**» (رواه البخاري)، والإسلام الحنيف جاء بلزوم النورين ـ الكتاب والسُّنة ـ ونهى عن ضدهما مما يورث القلب الفساد.

والشبهة إذا وردت على القلب ثَقُل استئصالها، يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «وإذا تعرض العبد بنفسه إلى البلاء وكله الله إلى نفسه»، والتقصيرُ في أداء الواجبات، والوقوعُ بالمحرمات، وتَشَبُّثُ النَّاشيء بالفضائيات، ولَهَثُهُ وراء المنكرات، بوابةُ فساد للأخلاق، ودنس

للسُّلوك، ومَرْتَعٌ للأفكار المنحرفة، والقلب إذا أظلم بكثرة المعاصي ثقل عليه أداء المعروف، وسهل عليه قبول المنكر، وتشكيك النَّاشئة في المناهج الدراسية يضعف همتهم في التحصيل، وأخذ المعارف منها، ومتغيرات الزمان، وتوالي الحوادث، وتعاقب الأحداث، وحلول الفتن، يُحتِّم تكثيف المناهج الدينية، والتوسع فيها، والبسط في شرحها، وتسهيل فهومها للناشئة، مع عدم إثقال كاهل الطلاب بكثرة المواد غير الدينية التي يغني بعضها عن بعض، فالحاجة ملحة إلى أمور الشَّريعة ـ وبهذه المناهج المرتكزة على الدِّين والعمل بالعلم ـ أصبحت هذه البلاد ـ بحمد الله ـ تزخر بالعلماء الذين يفهمون أحكام الشَّريعة، ويُرجع إليهم في الفتوى والمسألة، واكتسبوا الثِّقة والتَّبجيل في التَّوجيه والإرشاد والدَّعوة، وبفضل من الله استَوْزَر ممَّن درس هذه المناهج الوزراء النَّاصحون، وبرع المستشارون المؤتمنون، وتأدب الأدباء المثقفون، وبرز الصحفيون الإعلاميون، ونبغ الأطباء الحاذقون، وتألق الاقتصاديون العارفون، وتخرج منها مَنْ أَسْهَم في بناء وتنمية الحضارة ومقومات الحياة في المجتمعات، ومن الوفاء الثناء على المناهج التي كان المرء ثمرة علومها.

أيها المسلمون:

الإعلام نافذة واسعة على المجتمع، والشَّباب بحاجة إلى نصيب وافر منه في التوجيه والإرشاد، وفي النصح والفتوى، والتعرض للدِّين المتين باللمز أو لأهله بالسُّخرية والغمز يوغر الصدور ويؤجج المكامن، والثناء على الناشئة واحتواؤهم وتوجيههم طريق قويم يُسْلَكُ حمايةً للشَّباب، لئلاّ يتلقفهم الأعداء بحلاوة اللسان وحسن البيان، والقرآن العظيم كلام رب العالمين بتلاوته تتنزَّل السَّكينة، وبتدبره يزيد الإيمان، نوره يبدد الظلمات قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المَائدة: ١٥]، وانتشار حلقات القرآن الكريم في بيوت الله في هذه البلاد، ورعاية ولاة

الأمور لها؛ أمر يدعو إلى الفخر والاعتزاز ويتطلب الشُّكر والثَّناء، لقد صان الله بها كثيراً من النَّاشئة عن الانحراف، وحفظ الله بها الدِّين، كم انتفع بها من يتيم؟ وكم أسدت للناشئة من معروف؟ وكم أوصدت من أبواب للشُّرور؟ وكم وسّعت من مدارك؟ وكم فتحت من آفاق؟ والقرآن الكريم أصل العلوم وأساسها، ومنه تؤخذ الأخلاق والآداب، وتوجيه الآباء أبناءهم لحفظ كتاب الله حِفظٌ لهم من الشرور والفتن، وحصن من توغل الأفكار المنحرفة إلى عقولهم، والفراغ عامل من عوامل الانحراف الفكري والسلوكي والأخلاقي، كما أن الملهيات الحضارية المحظورة، والمحطات الفضائية لها قسط مظلم في انحراف الأفكار، وتلويث المعتقدات، وتسميم العقول من المتربصين بالشَّباب، والأب الحاذق من يمنع دخول تلك المحطات والملهيات إلى داره، قبل أن تذرف منه دمعة الحزن والأسى، وقبل أن يُفاجأ بخبرٍ فاجع.

أيها المسلمون:

الفجوة بين الوالد والولد عامل من عوامل حجب الابن عن إظهار مكنون صدره لوالده، فيبوح بما في سريرته إلى غير والده ممن قد لا يحسن التربية والتوجيه، ولا يحمل له المودة والشَّفقة. وقرب الأب من أبنائه، والتبسط معهم في الحديث، ومبادلة الرأي من غير إخلال باحترام الوالدين؛ سلامة للأبناء، وطمأنينة للآباء، وقاعدة في تأسيس برِّ الوالدين، والجليس سبب في الإصلاح أو الإفساد، ورسل الله عليهم الصَّلاة والسَّلام عظّموا شأنه، فنبيُّ الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [آل عِمرَان: ٥٢]، ونبيُّنا محمَّدٌ ﷺ اتخذ له صاحباً معيناً له على طريق الدَّعوة، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي**» (رواه البخاري)، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: «لم أعقل إلا وأبوي يدينان الدِّين، وكان النَّبي ﷺ يأتينا وهو بمكة أوَّل النهار وآخره» (رواه البخاري).

الجليس الصَّالح يهديك للخير، يذكرك إذا نسيت، ويحضك إذا غفلت، يظهر ودك إذا حضرت، ويحفظك إذا غبت، ورفيق السُّوء يجري خلف ملذاته وأهوائه، وإذا انقضت حاجته منك نبذك، من كلِّ شر يُدْنِيك، و عن كل خير ينأى بك، على أمور الدنيا لا يُؤمَن، وفي الآخرة على مصاحبته تندم قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩]، فجالِس الصالحين وتشرَّف بصحبتهم، وابتعد عن مصاحبة من يسوؤك في دينك ودنياك. وللمرأة دور مكين في الرعاية والتوجيه، و إذا تخلّت المرأة في دارها عن مسؤوليتها، وأَخلَت مسكنها من نفسها بكثرة خروجها من منزلها، لم يجد الأبناء حنان الأمومة وعطف الحانية، ولا يجدون في المسكن معهم سوى من هو من غير جنسهم من الخدم، فيفقدون عطف الوالدة ورأفة المُشفِقة، فلا يمنعهم ذلك من التوجه إلى من يتلقفهم بمخدوع الحديث وأماني المستقبل، والإسلام ألقى على الأم مسؤولية كبيرة، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**والزوجة راعية ومسؤولة في بيت زوجها**» (متفق عليه)، من أحضان المرأة تخرج العلماء وبرز النُّبلاء، ولا أعظم تكريماً للمرأة ولا أنبل تبجيلاً لمكانتها، من إسداء مسؤولية العقول إليها في دارها، فواجب عليها القيام بأعباء تكاليفها لئلاّ تَذرفَ الدمع على أولادها، وعليها عدم الإصغاء إلى أبواقٍ تدعوها إلى الخروج من مملكتها وإهمال أولادها.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

الأسرة مُرْتَكَزٌ قويم في الإسلام، في ظلِّها تلتقي النفوس على المودة والرحمة والعطف والمحبة، وقد أقسم الله في كتابه بالأولاد والآباء فقال: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البَلَد: ٣]، والعناية بصلاحهم مسلك الأخيار، وباستقامتهم بهجة الآباء والأمهات ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفُرقان: ٧٤].

وأول لَبِنَةٍ في بناء الأبناء، غرس مراقبة الله في نفوسهم، يقول النَّبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما ـ وهو غلام صغير ـ: «**يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**» (رواه الترمذي)، وهم بحاجة إلى التَّربية على المعرفة بالعلوم واغتنام الأوقات يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**احرص على ما ينفعك**» (رواه مسلم)، وعلى الوالد أن يسعى لجلب ما ينفع أبناءه وإبعاد ما يضرهم، واختيار الرّفقة الصَّالحة لهم، وإنّ حسن تنشئتهم مرتبط باستمساك والديهم بدينهم، وكلما استقام الوالدان اقتدى بهم الأبناء، وكانوا بمنجاة من عوامل الضَّياع وأسباب الضَّلال.

واعلم ـ أيُّها الابن ـ: أن أمل والديك أن تكون سيرتك فاضلة

وأخلاقك سامية مع الاستقامة والبعد عن الرذائل والمهالك، وأن لا تقع فريسة للانحراف أو أسيراً للملذات والشهوات، فلا تُضيِّع أملك وأملهم أمام لحظة من شهوة، أو ساعة من غفلة، وعليك بانتقاء الأصحاب في المخالطة والمؤانسة، والزم صحبة العلماء، وجالس الصَّالحين تحز سعادة الدُّنيا والآخرة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

زواج مبــارك

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فتقوى الله طريق الهدى، ومخالفتها سبيل الشقاء.

أيها المسلمون:

الأسرة أساس المجتمع، منها تتفرَّق الأمم وتنتشر الشعوب، نواة بنائها الزوجان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، والشَّريعة مبناها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، دعت الشَّباب لإعفاف أنفسهم بالزَّواج، قال ﷺ: «**يا معشر الشَّباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، فإنه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصِّيام فإنه له وِجاء**» (متفق عليه).

حثّ الدِّين على اختيار الزَّوجة الصَّالحة ذات الخُلُق الرَّاقي والتعامل الهادي، لا ترفع صوتاً ولا تؤذي زوجاً، والسُّؤال عن حال الخاطب والمخطوبة أمر لازم لبيان ما قد يخفى في أحدهما من مثالب قادحة،

وعلى المسؤول الصِّدقُ في الجواب، والبيانُ بكل وضوح وأمانة، بإبداء خوافي المحاسن والمساويء، وكتمان معايب أحدهما عند السؤال ضرب من الغش للمسلمين.

وإذا عزم الخاطب على الخِطْبة أُبيح له النَّظر إلى مخطوبته بحضور محرمها دون خلوة بها، من غير تدليس عليه في زينة أو تَجَمُّل، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا خطب أحدكم امرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**» (رواه أبو داود). وليحذر الخاطب قبل العقد الخلوة بمخطوبته، أو الحديث معها بمهاتفة الاتِّصال، أو إلباس المخطوبة خاتماً، أو مسّ جسدها، أو الخروج بها من دارها، فإن ذلك من المعاصي وركضة من الشَّيطان يُغوي بها الخاطبين، وكثيراً ما تتبدد أحلامُهما بتلك السَّيئات.

والإسلام دينُ عدلٍ وعطفٍ أمر الشَّباب بالزَّواج، وحثّ على تيسير مهره، وإذا قلّ المهر علت المرأة، وشرفت عند الزوج مكانتها، وزادت بركتها يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أعظم النِّساء بركة أيسرهن مؤنة**» (رواه أحمد)، وأثرياء الصحابة لم يغالوا في مهورهم، يقول عبد الرحمن بن عوف ﵁: تزوجت على وزن نواة من ذهب، ولما علم النَّبي ﷺ عن صداقه قال له: «**بارك الله لك في أهلك ومالك**» (رواه البخاري)، والمهر حقٌّ للمرأة لا يجوز للآباء أو الأولياء اختصاصهم به، قال سبحانه: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ [النِّسَاء: ٤].

وجمال المرأة في سترها، وبهاؤها في حيائها، ورونقها في عفافها، والإسلام جاء آمراً بستر المرأة، وبعض النِّساء يقعن في المحرمات في مواطن الفرح، فتُجَوِّز لنفسها ما ضاق من المَلْبَس، وأخرى تلبس ما رقّ منه مما لا يستر جسدها، ومنهن من تبدي شيئاً من ساقها وفخذها، ومنهن من لا تستر أعلى جسدها، يزيّن لهن الشَّيطان سوء عملهن، والمرأة لا يحل لها أن تبدي للمرأة إلا ما أبيح كشفه أمام محارمها من

الرجال مما جرت العادة بكشفه في دارها من الرَّأس والعنق وأطراف اليدين وأطراف القدمين، ولا تبدي المرأة عند النِّساء أكثر من ذلك، ومن النِّساء من تكشف عورتها لامرأة أخرى لإزالة خوافي شعر جسدها وهذا منكر غليظ، وخديعة للزَّوج، وضياع لحفظ حقِّه في غيبته، فيه اطِّلاعٌ على العورات، وعليها وعيد من ربِّ العالمين، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أيُّما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها، فقد هتكت سترها فيما بينها وبين الله**» (رواه الحاكم).

والدِّين وسطٌ في الإنفاق بين الإسراف والتَّقتير، يعلن النِّكاح ولا يقع في المحذور، ومن النِّساء من تتباهى في زينة الملبس والتبرج والتجمل، تُبدِّد الأموال وتهدر الأوقات بشهرة زائفة أو رياء ممقوت، واحذري ـ أيّتها المرأة ـ من الخيلاء في الملبس، فقد قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**بينما رجلٌ يمشي في حُلَّة تعجبه نفسه، مُرجَّل رأسه، يختال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**» (متفق عليه).

والمرأة المسلمة متميِّزة بزينتها وملبسها وشعرها، بعيدة عن تشبهها بالرِّجال أو غير المسلمين، وتشبهها بغير جنسها يعرضها للوعيد، وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبّهات من النِّساء بالرِّجال، ولكلِّ جنس من الرِّجال والنِّساء خصائصه وأحواله وملبسه وزينته، المرأة تفخر بأنوثتها، والرَّجل يعتزُّ برجولته، وفي التقليد ضعف في النَّفس، وعدم رضا بالخصائص، ونقص في إدراك حكمة الخالق.

وحواجب العينين زينة من ربِّ العالمين، وبعض النِّساء تعمد إلى إزالة بهاء وجهها وجمال عينيها بنتف حواجبها، وقد لعن الله من أزالت شعر حاجبها، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لعن الله الواشمات والمستوشِمات والمتنمِّصات**» (متفق عليه)، وبعض النَّاس لضعف في النَّفس مولع بالتقليد يضاهي غيره حتى في أفراحه، والرَّجل محرم عليه رؤية المرأة الأجنبية في النِّكاح وغيره، ودخول الزوج ليلة الزّفاف على النِّساء

الأجانب، وجلوسه على علو مع زوجته، وهو يتطلع إلى نساء المسلمين بكامل زينتهن منكر رذيل، يقول النَّبي ﷺ: «**إيَّاكم والدُّخول على النِّساء**» (متفق عليه).

وجلوس الزوج مع زوجته أمام النِّساء تقليد مقيت، دافعه الهوى وظاهره الخيلاء وثمرته الشَّقاء، فما حال الزَّوجين أمام النِّساء وهن ينظرن إليهما، والناظر للزوجين ما بين شامت في الخلقة وما بين حاسد على النعمة، تقول فاطمة رضي الله عنها: «خير للمرأة أن لا ترى الرجال وأن لا يراها الرجال»، وإرخاء ذيل طويل يحمل خلف الزوجة ليلة زفافها تشبُّهٌ بغير المسلمين حرامٌ عليها فعله.

والمعازف والغناء لا تدني من الرَّبِّ، ومن أسباب قسوة القلب، حجاب كثيف عن الرَّحمن، وما يفعله بعض النَّاس من المعازف ليلة النِّكاح جحود لنعمة الله وعصيان له، ومن السَّرف استئجار عازفة للغناء، لعصيان ربِّ العالمين في دجى السحر زمن نزول العظيم جلَّ جلاله إلى السَّماء الدُّنيا والعُبَّاد في محاريبهم.

والمسلم حرام عليه حضور مناسبة فيها منكر، قال الأوزاعي: «لا تدخل وليمة فيها طبل ومعازف». وفي أحكام الإسلام غُنْيةٌ عن الحرام، وديننا أباح ضرب الدَّف للنِّساء خاصة في وقت من الليل بكلام لا محذور فيه. والتصوير من كبائر الذُّنوب موجب للعنة والغضب، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لعن الله المصوِّر**» (رواه البخاري)، والمصوِّر أشد الخلق عذاباً، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أشدُّ النَّاس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون**» (متفق عليه). وتصوير النِّساء يجني مفاسد وخيمة، وقد تسري صور النِّساء إلى غير المحارم من الرِّجال، فتنهار بذلك بيوت، والأب اللبيب من يمنع زوجته وبناته من ورود أماكن التصوير.

والعدل في المأكل والمشرب وعدم البَذَخ، فيه دأب الفضلاء وسنة خير البشر، تصف صفية رضي الله عنها وليمته بقولها: «أولم النَّبي ﷺ على بعض

نسائه بمُدَّين من شعير»، ومِنْ مجانبة الصَّواب: أن تكون مبذراً في الزَّواج شحيحاً في البذل في أوجه الخيرات، وتكرار ولائم مناسبات النِّكاح في ظاهرها أفراح وفي حقيقتها على الزَّوج أتراح، للخطبة وليمة، وفي يوم إلباس المخطوبة خاتماً من قبل خاطبها مأدبة، ـ ووضعه في يدها محرم ـ، ولليلة عقد النِّكاح دعوة، وفي ليلة الزّفاف مآكل ومشارب متنوعة، كلّ ذلك إرهاق لمؤنة الزَّوج. هل من يسعى لبناء بيت زوجية محاط بالسِّتر والعفاف تُسْتَنزفُ أمواله؟! أم تخفف عنه الأعباء لإضافة لَبِنةٍ صالحة في المجتمع؟

إنَّ الاكتفاء بوليمة واحدة ليلة الزّفاف أحبّ للزوجين وأسلم وأكمل وأوفق، والله عزَّ وجلَّ جعل الليل لباساً والنوم سُباتاً، والنَّبيُّ ﷺ «**كان يكره النَّومَ قبل العشاء والحديث بعدها**» (متفق عليه)، ولحظات الفرح يظهرُ التعبير عنها من غير سهر فاحش، وإعلان النِّكاح لا حاجة إلى امتداده إلى السَّحر، وساعات في أول الليل غنية عن جميعه.

وبعد: أيها المسلمون:

فمن أَسَّس بنيانه على التَّقوى أزهى وأربى، ومن أحاطه بالمحرمات أذن بحلول الشَّقاء، والزَّوجان يكتويان بلظى العصيان ليلة زفافهما، يقول الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: «إني لأعصي الله فأرى ذلك في خُلُق امرأتي ودابتي»، والمرأة الحاذقة لا تزلزل بيتها بمعصية الله أول ليلتها، فالذُّنوب تعسر الأمور وتوحش القلب بين الزَّوجين، وكلما كان الزَّواج أقرب إلى الصَّواب كان أحرى بالتوفيق، وجملة المخالفات في النِّكاح داعيها عقدة الشعور بالعجز والنقص، وبعض النَّاس قد لا يدرك حقيقة النكاح فيظن أن من مستلزماته البذخ والتفنن في المآكل والتباهي في الملابس وليس الأمر كذلك، بل النِّكاح عقد موثق غليظ بين زوجين لا يُشاب بخطيئة ولا يُعرَّض للانهيار بمعصية.

وعلى الآباء أن لا يُرخوا العنان للنِّساء بارتكاب المعاصي بما يزيد

النِّكاح عقبات، والمرأة مستضعفة إن لم تؤخذ بيد وليِّها جنحت مع نفسها بهواها، وعلى النِّساء الإذعان لأوامر الله وعدم الوقوع في المحرمات، وعلى المرأة أن تشتغل بمعالي الأمور بإصلاح قلبها في طاعة ربِّها، فموطنها أم وراعية أسرة وموجهة ينبغي أن تعلي من فكرها وترقى باهتماماتها، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصّلَت: ٤٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

الإسلام منبع الحضارة والسؤدد، التمسك به يثمر الرقي والتقدم. يبني الأمم وينشيء الأجيال بأمثل السُّبل. يسر مسالك النِّكاح ودروب المودة بزواجٍ سعيد يُبهج الزَّوجين وأهلهما ويَسُرُّ المجتمع. يختار الزَّوج امرأة ذات دينٍ وخلقٍ راقٍ وأدبٍ رفيع، وإذا تقدم خاطب كفؤ متسم بالدِّين والخلق لم يُرد، وبعد استشارةٍ لذوي النُّهى واستخارة وعزم على الاختيار يرى الخاطب مخطوبته بحضور محرمها، ومع انشراح صدر وتوكلٍ يُعقد النِّكاح، وفي ليلة الزّفاف فرح معتدل لا مباهاة فيه ولا مفاخرة، يعلن فيه النِّكاح ويدعى إليه، ويصنع طعام بقدرهم لا إسراف فيه ولا تبذير، وتُزَفُّ المرأة إلى زوجها.

والمرأة الواعية ذات العقل الرَّاجح والرُّوح السامية تسعى إلى منع المحرم في زواجها لعلمها أن المعصية لها أثر على حياتها مع زوجها. والإسلام يسَّر النكاح وسهَّل أبوابه على الشَّباب، فنبيُّ الله ﷺ تزوَّج صفية رضي الله عنها وهو في سفر، يقول أنس رضي الله عنه: «حتى إذا كان بالطريق جهَّزتها له أم سليم رضي الله عنها فأهدتها له من الليل فأصبح النَّبيُّ ﷺ عروساً».

ومن قبائح الصَّنائع تأخير الأب تزويج ابنته مع تقدم الكفء لها أو حجرها على ابن عمها.

واعلم ـ أيُّها الأب ـ أنَّ ابنتك مستضعفة في دارك، منعها حياؤها من إبداء مكنون نفسها، تصبح أسيفة وتُمسي حزينة. تتألم من دخول بوابة العنوسة، والمرأة زهرة لها زمن قصير ثم تذبل، ومن الهدي القويم تزويجها في سن مبكر، ولا غضاضة في عرض الرجل ابنته أو أخته على الرَّجل الصَّالح وهذا من تمام الرعاية والقيام بالولاية، وقد عرض عمر الفاروق رضي الله عنه ابنته حفصة رضي الله عنها على عثمان رضي الله عنه فردّها وما غضب، فعرضها على أبي بكر رضي الله عنه فردها وما أيس، فعرضها على النَّبي صلى الله عليه وسلم فتزوَّجها (رواه البخاري)، ومنْعُ الآباء الخاطب ذا الدِّين والخلق مخالف لأمر الشَّريعة، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**» (رواه الترمذي).

فالرَّشَد في اتِّباع الهدى، واللَّبيب من رجا السَّعادة من أبواب الطَّاعة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...

أســرار زوجيــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فمن اتَّقى ربَّه علا، ومن أعرض عنه غوى.

أيها المسلمون:

الأسرة أساس المجتمع منها تفترق الأمم وتنتشر الشُّعوب نواة بنائها الزوجان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، والأسرة هي المأوى الذي هيأه الله للبشر يستقر فيه ويسكن إليه، في الزَّواج إعمار الكون وسكون النَّفس ومتاع الحياة. بقيامه تنتظم الحياة، ويتحقق العفاف والإحصان، يجمع الله بالنكاح الأرحام المتباعدة والأنساب المتفرقة، وعد الله فيه بالغنى والسعة في الرزق ولا خُلْف لوعد الله ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ [النُّور: ٣٢].

وفي اختيار لبنة النِّكاح تتسع الآفاق، فيقرب البعيد، ويُبَرُّ القريب. وهموم الزوجين عديدة ومتشعبة، ولكن حسن العشرة وطيب المودة

يبددها ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النِّسَاء: ١٩]، وفي الأسرة عتاب ومودة، سخط ورضا، والرجل يرفعه الأدب، ويزكيه العقل، يضع من المودة أعلاها، ومن المحبة أسماها، يعفو عن الخطأ، ويتجاوز عن الزلل، والمرأة خلقت من ضلع أعوج، وبمداراتها والصبر على ما يكره منها تستقيم الأمور، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**استوصوا بالنِّساء خيراً، فإنهنَّ خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنِّساء خيراً**» (متفق عليه). ومن كرم أصله لان قلبه، وزوجتك هي حاملة أولادك، وراعية أموالك، وحافظة أسرارك، اخفض الجناح معها، وأظهر البشاشة لها، فالابتسامة تحيي النفوس، وتمحو ضغائن الصُّدور.

والثَّناء على الزَّوجات في الملبس والمأكل والزِّينة جاذب لأفئدتهن، وقد أباح الإسلام الكذب مع الزوجة لزيادة المودة لها، والهدية بين الزوجين مفتاح للقلوب، تنبيء عن محبَّة وسرور، والتبسط معها ونبذ الغموض والكبرياء من سِيْما الحياة السعيدة، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصَّبي ـ أي: في الأنس والسهولة ـ فإن كان في القوم كان رجلاً».

وكن زوجاً مستقيماً في حياتك، تكن هي بإذن الله أقوم، ولا تمدن عينيك إلى ما لا يحل لك فالمعصية شؤم في بيت الزوجة، ومشاهدة الفضائيات يقبح جمال الزَّوجة عند زوجها، وينقص قدر زوجها عندها، فتتباعد القلوب وتنقص المحبة، وتضمحل المودة، ويبدأ الشِّقاق، ولا أسلم من الخلاص منها.

وكن لزوجتك كما تحب أن تكون هي لك في كل ميادين الحياة، فإنها تحب منك كما تحب منها، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إني أحبُّ أن أتزين للمرأة كما أحبّ أن تتزين لي»، واستمع إلى نقد زوجتك بصدر

رحب وبشاشة خلق، فقد كان نساء النَّبي ﷺ يراجعنه في الرَّأي فلا يغضب منهن، ومن علو النَّفس أن لا يأخذ الزَّوج من مال زوجته شيئاً إلا برضاها فمالها ملك لها، وأحسن إليها بالنفقة بالمعروف، ولا تبخل عليها، وتذكر أن زوجتك تود الحديث معك في جميع شؤونها، فارع لها سمعك فهذا من كمال الأدب، ولا تعد إلى دارك كالح الوجه، عابس المحيا، فأولادك بحاجة إلى عطفك وقربك وحديثك، وألن لهم جانبك وانشر بين أيديهم أبوتك، ودعهم يفرحون بتوجيهك وحسن إنصاتك، فقد كان النَّبي ﷺ إذا رأى ابنته فاطمة قال لها: «**مرحباً يا بنيتي ثم يجلسها عن يمينه أو شماله**» (رواه مسلم).

الحنو على أهل البيت شموخ في الرُّجولة، يقول البراء رضي الله عنه: «دخلت مع أبي بكر على أهله، فإذا ابنته عائشة مضطجعة قد أصابتها حمى، فرأيت أباها أبا بكر يقبل خدّها ـ وكانت صغيرة آنذاك ـ ويقول: كيف أنت يا بنية؟» (رواه البخاري). والقيام بأعباء المنزل من شيم الأوفياء، قيل لعائشة رضي الله عنها: ماذا كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: «كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه» (رواه أحمد). والكرم في النَّفقة على أهل بيتك أفضل البذل، ولا يطغى بقاؤك عند أصحابك على حقوق أولادك، فأهلك أحق بك، ولا تذكّر زوجتك بعيوب بدرت منها، ولا تلمزها بتلك الزلات والمعايب، وَأَخْفِ مشاكل الزَّوجين عن الأبناء، ففي إظهارها تأثير على التَّربية، واحترام الوالدين. والغضب أساس الشَّحناء، وما بينك وبين زوجتك أسمى أن تدنسه لحظة غضب عارمة، وآثر السُّكوت على سخط المقال، والعفو عن الزلات أقرب إلى العقل والتَّقوى، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «النِّساء عورة فاستروهن بالبيوت وداووا ضعفهن بالسُّكوت».

إنَّ حقَّ الزَّوجة على الزَّوج عظيم، أُسرت بالعقود، وأوثقت بالعهود، الزوجات يكرمهن الكريم، ويعلي شأنهن العظيم، تقول عائشة رضي الله عنها:

«كان النَّبي ﷺ يكثر ذكر خديجة رضي الله عنها، ورُبَّما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فرُبَّما قلت له: كأنه لم يكن في الدُّنيا امرأة إلا خديجة» (رواه البخاري).

والزوجة الحاذقة تجعل قلبها لزوجها سكناً، وتجعل في نفسها طمأنينة، وفي حديثها معه ابتهاجاً وزينة، تصحبه بالقناعة، وطيب المعاشرة.

بحسن السَّمع والطَّاعة في غير معصية، تعترف بجميل الزَّوج وفضله، وتقوم بحقوقه، تؤمن بعلو منزلته وعظيم مكانته، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ، لأمرت الزَّوجة أن تسجد لزوجها**»، يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «وليس على المرأة بعد حقِّ الله ورسوله أوجب من حق الزوج».

المرأة الصالحة إن رأت زوجها جنح ذكَّرته بالله، وإن رأته يكدح للفانية ذكرته بالآخرة الباقية، تعينه على نوائب الدهر، لا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً في غير معصية الله، تعين زوجها على بر والديه، فمن تحت يديهما نشأ، وعلى أنظارهما ترعرع، تطلب رضا ربها برضا زوجها، لا تَتَّبعُ هفواتِه، ولا تُظهر زلاته، حافظة له في الغيب والشهادة، إن حضر أكرمته، وإن غاب صانته، لا تشططُ على زوجها في النفقة، همُّها طاعة ربِّها برضا زوجها، وتنشئة أولادها على الصلاح والاستقامة، لا ترفع عليه صوتاً، ولا تخالف له رأياً، بشر النَّبي ﷺ خديجة رضي الله عنها ببيت في الجَنَّة من قصب اللؤلؤ لا صخب فيه ولا نصب، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «لا صخب فيه ولا نصب؛ لأنها لم ترفع صوتها على النَّبي ﷺ، ولم تتعبه يوماً من الدهر، فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً»، وقد أوصت حكيمة من العرب ابنتها عند زواجها بقولها: «يا بنية إنك لن تَصِلي إلى ما تحبين منه حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت». والعفة محور الحياة الكريمة، وزينة الزوجة قرارها

في دارها، تقول فاطمة رضي الله عنها: «خير للمرأة أن لا ترى الرِّجال».

ذات الدِّين مطيعة لربِّها ثم لزوجها، لا تتعالى عليه ولا تتمرد على قوامته، ولا تسعى إلى منازعته، تراها ساعية في راحة زوجها، قائمة على خدمته، راغبة في رضاه، حافظة لنفسها، يَدُها في يد زوجها، لا تنام إذا غضب عليها زوجها حتى يرضى، كل ذلك ليقينها بأن فوزها بالجَنَّة معلق بطاعة زوجها، مع قيامها بما فرض الله عليها.

أيها المسلمون:

النعمة لا تشكر بالخطيئة، وليلة زفاف الزوجة إلى زوجها من آلاء الله العظيمة، والابتهاج بها لا يكون بنزع الحياء فيها، فيحرم على النِّساء الملبس المتعري ليلة النكاح، ولو بين النِّساء، لما فيه من الفتنة ومجانبة الستر والعفة، والمرأة مستضعفة إن لم تؤخذ بيد وليها جنحت مع نفسها بهواها، والغناء والمعازف في ليالي الأفراح وغيرها محرمة، وفي الضرب بالدف ليلة النكاح للنساء سنة شرعها الإسلام، وفيه غنية عن الحرام من المعازف والغناء، والتصوير من كبائر الذنوب، متوعد صاحبه باللعنة وولوج النَّار، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كل مصور في النَّار**» (متفق عليه)، وقد تسري صور النِّساء إلى غير المحارم من الرجال فتنهار بذلك بيوت، وقد أفتى أهل العلم بحرمة إجابة دعوة فيها منكر لا قدرة على تغييره، وإن التبذير والمخيلة في الاحتفالات أثرة على الزوج وركضة من الشَّيطان، ولو جمع ما بذخ من المال للزوج لبناء مسكن له أو قضاء دينه لكان خيراً.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفُرقان: ٥٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: أيها المسلمون:

في النِّساء فئة أخرس الحياء لسانها عن الشَّكوى، صرخاتها مكتومة في أعماق جروح قلبها، تعيش صراعاً نفسياً في مجتمعها، تبيت مع القلق والحزن، يؤرقها الهم والفكر، أيامها غالية، وشهورها أغلى، كل يوم تغرب فيه الشمس تتبدد أحلامها بحياة سعيدة، وتتألم خوفاً من دخول بوابة العنوسة، لم تنعم بالأمومة والزوجية، بددت حياتها بشروط وهمية في اختيار زوجها، وأخرى آثرت التعليم على بناء الأسرة، ففجئت بإعراض الأزواج عنها لتقدم سنها، وما قيمة الشهادة مع الحرمان من الزوج والأبناء.

وفي الآباء مَنْ ظلم بنته وأذاقها ألماً وحسرة بتأخير زواجها، جشعاً في وظيفتها ومالها، ومنهم من ظلمها بتزويجها ابن عمِّها قسراً جرياً وراء التقاليد والأعراف المخالفة للشَّرع. والزَّواج المبكر إغلاق لتلك البوابة الحزينة، وقد تزوج النَّبي ﷺ عائشة رضي الله عنها وهي تلعب في أرجوحة لها، وهي بنت تسع سنين، وصغر سنِّها لم يحجزها عن الزَّواج بأعظم الرِّجال، وتحمل مهام بيت النُّبوة وواجباتِه وحقوقه، بل كانت تلك

الصَّغيرة هي أحب نسائه إليه عليه الصَّلاة والسَّلام، فلنتخذ من شريعتنا واقعاً لنا ليسعد الفتيان والفتيات بزواجهم في سنٍّ مبكرة، ونُيَسِّر أموره لينهض المجتمع ويسلم من الانحراف، ومع بزوغ الفتن وتجددها يكون الأمر ألزم والحكم آكد.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

نسـاء عظيمـات

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى؛ فتقوى الله ذكرى لكلِّ أوَّاب؛ ونجاة للعباد من العذاب.

أيها المسلمون:

تسعد المرأة المسلمة باقتفاء أثر خيرِ نساءٍ عِشْنَ في أفضل القرون، وتربين في أجلِّ البيوت ـ بيت النُّبوة ـ أعلى الله مكانتهن وأجلّ قدرهن، ونزل القرآن بالثَّناء عليهن، قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ [الأحزَاب: ٣٢]. زوجات مباركات ونساء عظيمات.

أولاهنَّ المرأة العاقلة الحاذقة، ذات الدين والنسب، **خديجة بنت خويلد** رضي الله عنها نشأت على التخلق بالفضائل، والتحلي بالآداب والكرم، واتصفت بالعفَّة والشَّرف، كانت تدعى بين نساء مكة بالطاهرة، تزوجها النَّبي ﷺ فكانت نعم الزوجة له، آوته بنفسها ومالها ورجاحة عقلها، وفي أحزانه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يأوي إليها ويبث إليها همومه، نزل عليه الوحي أول نزوله فرجع إليها يرجف فؤاده من هول ما رأى وقال لها:

«أي خديجة ما لي؟ لقد خشيت على نفسي» (متفق عليه)، فتلقَّته بقلبٍ ثابت وقالت له: «كلّا والله لا يخزيك الله أبداً». لاح الإسلام في دارها فكانت أول من آمن من هذه الأمة، قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ: «خديجة أول خلق الله إسلاماً بإجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة». عظمت الشَّدائد على النَّبي ﷺ في مطلع دعوته واشتد الإيذاء فكانت له قلباً حانياً ورأياً ثاقباً، لا يسمع النَّبي ﷺ من النَّاس شيئاً يكرهه ثم يرجع إليها إلا ثبَّتَته وهوَّنت عليه، يقول النَّبي ﷺ: **«آمنت بي إذ كفر بي النَّاس، وصدَّقتني إذ كذَّبني النَّاس، وواستني بمالها إذ حرمني النَّاس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النِّساء»** (رواه أحمد).

عظيمة بارَّة بزوجها وأم حنون، جميع أولاد النَّبي ﷺ منها سوى إبراهيم، أدبها رفيع وخلقها جم، لم تُراجع النَّبي ﷺ يوماً في الكلام، ولم تؤذه في خصام، يقول النَّبي ﷺ: **«أتاني جبريل فقال: بشرها ببيت في الجَنَّة من قصب** ـ أي: لؤلؤ مجوف ـ **لا صخب فيه ولا نصب»** (متفق عليه)، قال السهيلي ـ رحمه الله ـ: «إنما بشرها ببيت في الجَنَّة؛ لأنها لم ترفع صوتها على النَّبي ﷺ ولم تُتعِبْه يوماً من الدهر فلم تصخب عليه يوماً ولا آذته أبداً». كانت راضية مرضية عند ربِّها، يقول النَّبي ﷺ: **«قال لي جبريل: إذا أتيت خديجة فاقرأ عليها السَّلام من ربها ومِنِّي»** (متفق عليه)، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وهي فضيلة لا تعرف لامرأة سواها»، أحبَّها الله وأحبتها الملائكة وأحبَّها الرسول ﷺ، يقول النَّبي ﷺ: **«إني رزقت حبَّها»** (رواه مسلم).

كان النَّبي ﷺ إذا ذكرها أعلا شأنها وشكر صحبتها، تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كان النَّبي ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من ثناء عليها واستغفار لها»، حفظ لها ودها ووفاءها فكان يكرم صاحباتها بعد وفاتها، تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «ورُبَّما ذبح الشَّاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة

فيقول: «**إنها كانت وكان لي منها ولد**» (رواه البخاري)، سمع النَّبي ﷺ صوت أختها هالة بعد وفاتها فتذكرها وقال: «**اللهم هالة**» (رواه البخاري).

كملت في دينها وعقلها وخلقها، يقول النَّبي ﷺ: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النِّساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد**» (رواه ابن مردويه)، سبقت نساء هذه الأمة في الخيرية والشرف والسناء، يقول النَّبي ﷺ: «**خير نسائها** ـ أي في زمانها ـ **مريم بنت عمران وخير نسائها** ـ أي من هذه الأمة ـ **خديجة**» (متفق عليه)، صلحت في نفسها وأصلحت بيتها فجنت ثمرة جهدها فأصبحت هي وابنتها خير نساء العالمين في الجَنَّة، يقول النَّبي ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجَنَّة خديجة وفاطمة ومريم وآسية**» (رواه أحمد والنسائي)، كانت عظيمةً في فؤاد النَّبي ﷺ فلم يتزوج امرأة قبلها، ولم يتزوج امرأة معها، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها، فحزن لفقدها، يقول الذهبي ـ رحمه الله ـ: «كانت عاقلة جليلةً ديّنةً مصونةً كريمةً من أهل الجَنَّة».

وفي بيت الصِّدق والتَّقوى ولدت **عائشة بنت أبي بكر الصديق** رضي الله عنهما ونشأت في بيت الإيمان، فأمها صحابية، وأختها أسماء ذات النطاقين صحابية، وأخوها صحابي، ووالدها صديق هذه الأمة، ترعرعت في بيت علم كان أبوها علّامة قريش ونسّابتها، منحها الله ذكاء متدفقاً وحفظاً ثاقباً، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها، فاقت نساء جنسها في العلم والحكمة، رزقت في الفقه فهماً، وفي الشعر حفظاً، وكانت لعلوم الشَّريعة وعاءً»، قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: «أفقه نساء الأمة على الإطلاق، ولا أعلم في أمة محمَّد ﷺ بل ولا في النِّساء مطلقاً امرأة أعلم منها»، سمت على النِّساء بفضائلها وجميل عشرتها، يقول النَّبي ﷺ: «**فضل عائشة على النِّساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام**» (متفق عليه).

أحبها النَّبي ﷺ وما كان ليحب إلا طيباً، يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: «أيُّ النَّاس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: **عائشة**، قلت: فمن الرجال؟ قال: **أبوها**» (رواه البخاري)، لم يتزوج بكراً غيرها، ولا نزل الوحي في لحاف امرأة سواها، عفيفة في نفسها، عابدة لربها، لا تخرج من دارها إلا ليلاً لئلاَّ يراها الرجال، تقول عن نفسها: «كنا لا نخرج إلا ليلاً» محققة قول الله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «والشَّريعة طافحة بلزوم النِّساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة فإن مست الحاجة إلى الخروج فليكن على تبذل وتستر تام»، والله يبتلي من يحب، والابتلاء على قدر الإيمان، بهتت وعمرها اثنا عشر عاماً قالت: «فبكيت حتى لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى ظن أبواي أن البكاء فالق كبدي»، واشتد بها البلاء قالت: «حتى قلص دمعي فلا أحس منه قطرة»، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «فغار الله لها وأنزل براءتها في عشر آيات تتلى على الزمان»، فسما ذكرها وعلا شأنها لتسمع عفافها وهي في صباها، فشهد الله لها بأنها من الطيبات، ووعدها بمغفرة ورزق كريم، لم تزل ساهرة على النَّبي ﷺ تُمرِّضه وتقوم بخدمته حتى توفي في بيتها وليلتها وبين سحرها ونحرها.

وسليمة القلب **سودة بنت زمعة** رضي الله عنها أول من تزوج بها النَّبي ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها، وانفردت به نحواً من ثلاث سنين، كانت جليلة نبيلة، رزقت صفاء السريرة، وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها رعاية لقلب رسول الله ﷺ تبتغي رضا ربها.

والقوّامة الصوّامة **حفصة** رضي الله عنها **بنت أمير المؤمنين** عمر بن الخطاب رضي الله عنه نشأت في بيت نصرة الدين وإظهار الحق، سبعة من أهلها شهدوا بدراً تقول عنها عائشة رضي الله عنها: «هي التي كانت تساميني من أزواج النَّبي ﷺ».

والمنفقة **زينب بنت خزيمة الهلالية** رضي الله عنها ذات البذل والمسارعة في الخيرات، مكثت عند النَّبي ﷺ شهرين ثم توفيت.

والمهاجرة المحتسبة **أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان** رضي الله عنها ليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها، ولا فيمن تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها، عقد عليها وهي في الحبشة فارَّةً بدينها، وأصدقها عنه صاحب الحبشة وجهزها إليه.

والصابرة الحييّة **أم سلمة** رضي الله عنها هند بنت أبي أمية من المهاجرات الأول، لما عزمت الهجرة إلى المدينة مع زوجها أبي سلمة فرّق قومها بينها وبين زوجها وطفلها قالت: «فكنت أخرج كل غداة وأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة كاملة أو قريباً منها حتى أشفقوا عليَّ فأعادوا إليّ طفلي»، يقينها بالله راسخٌ، توفي عنها زوجها أبو سلمة رضي الله عنه فقالت دعاءً نبويّاً فعوضها الله برسول الله ﷺ زوجاً لها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها. قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله؟! ثم إني قلتها فأخلف لي رسول الله**» (رواه مسلم)، فاجعل هذا الدعاء ذخراً لك عند حلول المصاب يعوضك خيراً من مصيبتك.

وأم المساكين **زينب بنت جحش** رضي الله عنها بنت عمة رسول الله ﷺ، نعمت بالحسب والنسب والشرف والبهاء، قال عنها أبو نعيم: «الخاشعة الراضية الأوّاهة الراغبة»، زوّجها الله نبيه ﷺ بنص كتابه بلا ولي ولا شاهد، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾، زواج النَّبي ﷺ بها بركة على المسلمات إلى قيام الساعة حين فرض الحجاب على بنات حواء بعد أن تزوجها ليكون صيانة للشرف والعفاف والنقاء، سخية العطاء للفقراء والضعفاء، كثيرة البر والصدقة، ومع شرف مكانتها

وعلو شأنها كانت تعمل بيدها تدبغ وتخرز وتتصدق من كسبها، قالت عنها عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت امرأة خيراً في الدين من زينب أتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة».

والعابدة **جويرية بنت الحارث** رضي الله عنها من بني المصطلق، أبوها سيد مطاع في قومه، وهي مباركة في نفسها وعلى أهلها، تقول عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها»، كثيرة التعبد لربها قانتة لمولاها كانت تجلس في مصلاها تذكر الله إلى نصف النهار تقول: «أتى عليَّ رسول الله ﷺ غدوة وأنا أسبّح ثم انطلق لحاجته ثم رجع قريباً من نصف النهار فقال: **أما زلت قاعدة؟** ـ يعني: تذكرين الله ـ قلت: نعم» (رواه مسلم).

والوجيهة **صفية بنت حيي** رضي الله عنها من ذرية هارون عليه السلام، كانت شريفة عاقلة، ذات مكانة ودين وحلم ووقار، قال لها النَّبي ﷺ: «**إنك لابنة نبي** ـ أي: هارون عليه السلام ـ **وإن عمك لنبي** ـ أي: موسى عليه السلام ـ **وإنك لتحت نبي** ـ يعني: نفسه ـ» (رواه الترمذي)، كانت وليمة النَّبي ﷺ عليها في زواجها السمن والأقط والتمر، فكان زواجاً مُيَسَّراً مباركاً.

وواصلة الرَّحم أم المؤمنين **ميمونة بنت الحارث الهلاليَّة** رضي الله عنها من عظماء النِّساء، منحها الله صفاء القلب ونقاء السريرة وملازمة العبادة، تقول عائشة رضي الله عنها: «أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم».

وبعد: أيها المسلمون:

فتلك سيرة الخالدات في الإسلام أمهات المؤمنين، مناقبهن مشرقة، جمعن بين المحاسن والفضائل، حقيق بنساء المسلمين أن يجعلنهنّ نبراساً للحياة يرتشفن من معين مآثرهن، ويقتدين بهن في الدين والخلق ومراقبة الله، والانقياد التام لله ورسوله، وملازمة العبادة، والإكثار من الطاعات، والصدق في الحديث، وحفظ اللسان، والبذل للفقراء، وتفريج كربات

الضعفاء، والسَّعي لإصلاح الأبناء، والصبر على تقويم عوجهم، والتحصن بالعلم، وسؤال العلماء الراسخين، وملازمة السِّتر والعفاف والقرار في البيوت، والحجاب، والبعد عن الشبهات والشهوات، والحذر من طول الأمل والغفلة في الحياة، أو الاعتناء بالظاهر مع فساد الباطن، وإطلاق البصر في المحرمات، والخضوع بالقول مع الرِّجال، وليحذرن من الأبواق الداعية إلى التبرُّج والاختلاط بالرِّجال، فشموخ المرأة وعزها في دينها وحجابها.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزَاب: ٥٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

زوجات النَّبي ﷺ عشن معه في بيت متواضع، في حجرات بُنيت من اللَّبِن وسَعَفِ النَّخل ولكنه مليء بالإيمان والتَّقوى، صبرن مع الرسول ﷺ على الفقر والجوع، كان يأتي عليهن الشهر والشهران وما يوقد في بيوتهن نار، وتأتي أيام وليس في بيوتهن سوى تمرة واحدة، ويمر زمن من الدهر ليس فيها سوى الماء بدون طعام، قناعة في العيش وصبر على موعود الله ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضُّحى: ٤]. أجورهن مضاعفة مرتين ﴿۞وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١].

خمس منهن تزوجهنّ عليه الصَّلاة والسَّلام وأعمارهن من الأربعين إلى الستين عاماً، حقق بذلك رعاية الأرامل وكفالة صبيانهن الأيتام، تزوج خديجة رضي الله عنها وعمرها أربعون عاماً ولها ثلاثة أولاد من غيره وهو لم يتزوج من قبل، وتزوج زينب بنت خزيمة رضي الله عنها وهي أرملة ناهزت الستين من عمرها، وتزوج أم سلمة رضي الله عنها وهي أرملة ولها ستة أولاد، وتزوج سودة رضي الله عنها وهي أرملة وعمرها خمسة وخمسون عاماً، تزوج من الأقارب

من بنات عمه وعمته، وتزوج من الأباعد، وكان لهنّ زوجاً رحيماً براً كريماً، جميل العشرة معهن، دائم البشر متلطفاً معهنّ. فمن طلب السعادة فليجعل خير البشر قدوة له، ولتلحق المسلمة بركاب زوجاته الصالحات، فلا فلاح للمرأة إلا بالاقتفاء بمآثرهن في السِّتر والصَّلاح والتَّقوى والإحسان إلى الزَّوج والولد.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

الـكـبــر

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالتَّقوى في مخالفة الهوى، والشَّقاء في معارضة الهدى.

أيها المسلمون:

صلاح ابن آدم في الإيمانِ والعملِ الصَّالح، والسَّعي في إصلاح القلب أفضل من نوافل العبادات، وأعمال القلوب في الثواب والعقاب كأعمال الجوارح، يثاب العبد على الموالاة والمعاداة في الله وعلى التَّوكُّل والرِّضا والعزم على الطَّاعة، ويعاقب على الكبر والحسد والعجب والرِّياء، وكلما ازداد العبد تواضعاً وعبودية ازداد إلى الله قرباً ورفعة، وأصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والاستعلاء، به اتصف إبليس فحسد آدم واستكبر وامتنع من الانقياد لأمر ربه ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٣٤]، وبه تخلَّف الإيمانُ عن اليهود الذين رأوا النَّبي ﷺ وعرفوا صحَّة نبوَّته، وهو الذي

منع ابن أَبي سلول من صِدْقِ التَّسليم، وبه تخلَّف إسلام أَبي جهل، وبه استحبَّت قريش العمى على الهدى، قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصَّافات: ٣٥]، ودعا سليمان عليه السلام بلقيس وقومها إلى نبذ الاستعلاء وإلى الإذعان ﴿أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النَّمل: ٣١]، وهو سبب للفرقة والنِّزاع والاختلاف والبغضاء، قال سبحانه عن بني إسرائيل: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ﴾ [الجاثية: ١٧]، وبسببه تنوعت شنائع بني إسرائيل مع أنبيائهم بين تكذيب وقتل ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وهو من أوصاف أهل النفاق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافِقون: ٥].

وعُذِّبت الأمم السَّالفة لاتِّصافهم به، قال تعالى عن قوم نوح: ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]، وقال عن فرعون وقومه: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٣٩، ٤٠]، وقال عن قوم هود: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٥، ١٦].

المستكبرون هم أعداء الأنبياء وأتباعهم ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ [الأعراف: ٨٨]، وموسى عليه السلام استعاذ بالله منهم، قال جلَّ وعلا: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

المُتكبِّر متبع لهواه، ينظر إلى نفسه بعين الكمال وإلى غيره بعين النَّقص، مطبوع على قلبه لا يقبل إلا ما يهوى ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، والله يبغضه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. المتصف بالكبر مصروف عن الاعتبار والاتعاظ بالعبر والآيات ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

والمستكبر عن الحقِّ يُبتلى بالانقياد للباطل وقد تُعجَّل له العقوبة في الدنيا، فقد شلّت يد رجلٍ في عهد النُّبوة بسبب الكبر، يقول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «أكل رجلٌ عند النَّبي صلى الله عليه وسلم بشماله فقال له: **كل بيمينك** قال: لا أستطيع قال: **لا استطعت ما منعه إلا الكبر** قال: فما رفعها إلى فيه» (رواه مسلم)، وقد خسفت الأرض بمتكبِّر، يقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: «**بينما رجلٌ يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجّل رأسه، يختال في مشيته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**» (متفق عليه).

وفي الآخرة يعامل بنقيض قصده، فمن يترفع عن النَّاس في الدنيا، يطؤه النَّاس بأقدامهم في الآخرة، يقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: «**يُحشر الجبَّارون والمتكبِّرون يوم القيامة في صور الذَّر يطؤهم النَّاس بأرجلهم**» (رواه البزار)، قال في نوادر الأصول: «كل من كان أشد تكبراً كان أقصر قامة في الآخرة، وعلى هذا السبيل كل من كان أشد تواضعاً لله فهو أشرف قامة على الخلق»، ومن حمل في قلبه ولو شيئاً يسيراً من الكبر حرم عليه دخول الجنَّة، يقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: «**لا يدخل الجنَّة من في قلبه مثقال ذرة من كبر**» (رواه مسلم)، والنَّار دار لهم ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمر: ٦٠]، ويقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: «**ألا أخبركم بأهل النَّار؟ كل عُتُلٍّ جوّاظٍ مستكبر**» (متفق عليه)، ويقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: «**احتجَّت الجنَّة والنَّار فقالت النَّار: فيَّ الجبَّارون والمتكبِّرون، وقالت الجنَّة: فيَّ ضعفاء النَّاس ومساكينهم**» (رواه مسلم).

أيها المسلمون:

الكبرياء من خصائص الربوبية لا ينازع فيه، ومن اتَّصف به من المخلوقين عذَّبه الله، يقول النَّبي ﷺ في الحديث القدسي: «**قال الله عز وجل: العِزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني في واحد منهما عذَّبتُه**» (رواه مسلم). والله جلَّ وعلا هو المتكبر، قال سبحانه عن نفسه: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، والإسلام حمى جناب الكبرياء والعظمة لله، وحرم كلّ طريق ينازع الرَّب في كبريائه، فمنع لبس الذهب والحرير للرجل لكونهما مدعاة للكبر والخيلاء، وتوعد المسبل إزاره بالعذاب، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ثلاثة لا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليمٌ ـ قالها ثلاثاً ـ** قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: **المسبل، والمنَّان، والمُنفِّقُ سلعته بالحلف الكاذب**» (رواه مسلم)، ونهى عن ميل الخد والإعراض به تعاظماً على الآخرين، ولم يأذن بمشية الخيلاء تبختراً في غير الحرب فقال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، ونهى عن التشدُّق في الكلام اعتزازاً، يقول النَّبي ﷺ: «**وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم منِّي يوم القيامة الثَّرثارون والمتشدِّقون والمُتفيهقون**» (رواه الترمذي).

فانزع عنك رداء الكبر والتعاظم فإنهما ليسا لك بل هما للخالق، والبس رداء الانكسار والتواضع، فما دخل قلب امريء شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك أو أكثر، ومنشأ هذا من جهل العبد بربه وجهله بنفسه، فإنه لوعرف ربه بصفات الكمال ونعوت الجلال وعرف نفسه بالنقائص والآفات لم يستعلِ ولم يأنف، يقول سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ: «من كانت معصيته في الكبر فاخش عليه، فإبليس عصى متكبراً فلعن».

والعذاب يقع على من تغلغل ذلك في قلبه، وتكون خفته وشدته

بحسب خفتها وشدتها، ومن فتحها على نفسه فتح عليه أبواباً من الشُّرور عديدة، ومن أغلقها على نفسه فتحت له بإذن الله أبواب من الخيرات واسعة، والكبر المباين للإيمان لا يدخل صاحبه الجَنَّة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ومن الكبر ما هو مباين للإيمان الواجب بل كبره يوجب له جحد الحقِّ واحتقار الخلق يقول النَّبي ﷺ: «**لا يدخل الجَنَّة من في قلبه مثقال ذرة من كبر** قالوا: يارسول الله إنَّ الرَّجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال: **الكبر بَطَرُ الحَقِّ، وغمط النَّاس**» (رواه مسلم)، ولا تفخر على أحد فدنياك زائلة، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**حقّ على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**» (رواه البخاري).

أيها المسلمون:

في التَّواضع رفعة الدنيا والآخرة، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه**» (رواه مسلم)، وهو من أخلاق الأنبياء وشيم النُّبلاء، موسى عليه السلام رفع الحجر لامرأتين أبوهما شيخ كبير، وداود عليه السلام كان يأكل من كسب يده، وزكريا عليه السلام كان نجاراً، وعيسى عليه السلام يقول: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]، وما من نبي إلا ورعى الغنم، ونبينا ﷺ كان رقيق القلب، رحيماً خافض الجناح للمؤمنين، ليِّن الجانب لهم، يحمل الكَلّ ويكسب المعدوم، ويُعين على نوائب الدهر، وركب الحمار وأردف عليه، ويُسلم على الصبيان، ويبدأ من لقيه بالسَّلام، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى ذراع أو كراع، ولما سُئلت عائشة رضي الله عنها ما كان النَّبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «**كان يكون في مهنة أهله** ـ يعني: خدمتهم ـ **فإذا حضرت الصَّلاة خرج إلى الصَّلاة**» (رواه البخاري).

التَّواضع سبب العدل والألفة والمحبة في المجتمع، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنَّ الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على**

أحد، ولا يبغي أحد على أحد» (رواه مسلم). المتواضع منكسر القلب لله، خافض جناح الذُّل والرَّحمة بعباده، لا يرى له عند أحد حقاً بل يرى الفضل للناس عليه، وهذا خُلُقٌ إنما يعطيه الله من يحبه ويقربه ويكرمه.

وبعد: أيها المسلمون:

فأكرم التَّواضع بعد حقِّ الله التَّواضع في جنب الوالدين ببرِّهما وإكرامهما، وطاعتهما في غير معصية، والحنوِّ عليهما، والبشر في وجههما والتلطف في الخطاب معهما، وتوقيرهما والإكثار من الدُّعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما، قال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، والاستنكاف عن أوامرهما والاستكبار عليهما، والتأفف من قضاء حوائجهما، ضربٌ من الكبر والعقوق متوعد صاحبه بدخول النَّار.

وتواضع للدِّين ولا تعارضه برأي أو هوى، ولا تعرض عن تعلمه والعمل به، ومن أسدى إليك نصحاً فاقبله واشكر قائله، ومن أمرك بمعروف أو نهاك عن منكر فامتثل لرشده فالحظوة في التواضع للطاعة، يقول الفضيل ـ رحمه الله ـ: «التواضع أن تخضع للحقِّ وتنقاد له»، وقال رجل لمالك بن مغول: «اتَّقِ الله، فوضع خده على الأرض».

والمعلم والمتعلم يتواضعان لبعضهما مع توقير المعلم، ولقد كان شيخ المحدثين أبو موسى المديني ـ رحمه الله ـ يقريء الصبيان القرآن في الألواح مع جلالة قدره وعلو منزلته، وتواضع للمرضى بعيادتهم والوقوف بجانبهم وكشف كربتهم وتذكيرهم بالاحتساب والرِّضا والصَّبر على القضاء، وألن جانبك لذوي الفقر والمسكنة، وتصفح وجوه الفقراء والمحاويج وذوي التعفف والحياء في الطلب وواسهم من مالك وتواضع لهم في حسبك، يقول بشر بن الحارث ـ رحمه الله ـ: «ما رأيت أحسن من غنيٍّ جالس بين يدي فقير».

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القَصَص: ٨٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

يُحبُّ الله تواضع العبد عند أمره امتثالاً وعند نهيه اجتناباً، والشَّرف ينال بالخضوع والاستكانة لله، والتَّواضع للمسلمين، ولين الجانب لهم، واحتمال الأذى منهم والصَّبر عليهم، قال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحِجر: ٨٨]، كلّ ذلك مع التشاغل بتلاوة كتاب الله، والنظر في الأحاديث، مع حسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى، وترك الغيبة والنميمة، وعامل النَّاس معاملة إيثار لا استئثار.

والمتواضع من إذا رأى أحداً قال هذا أفضل مني، يقول الشافعي ـ رحمه الله ـ: «أرفع النَّاس قدراً من لا يرى قدره، وأكبر النَّاس فضلاً من لا يرى فضله»، وإذا أنعم الله عليك بنعمة فاستقبلها بالشُّكر والاستكانة. قال عبدالله بن المبارك ـ رحمه الله ـ: «رأس التَّواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا، حتى تعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل».

ثم اعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه. . .

اليهـــود

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالتَّقيُّ من أطاع مولاه، وجاهد نفسه وهواه.

أيها المسلمون:

إنَّ الإسلام دين الله المتين، لا يقبل من أحد ديناً سواه، جامع بين العلم والعمل، وسط في العبادة والمعتقد، صِدْقٌ في الأخبار عَدْلٌ في الأحكام، وقد ضلَّت طوائف عن الصِّراط المضيء ممتطية كبرها أو جهلها، تنكبت طريقاً مُعْتِماً، وسلكت وادياً مُجدِباً، وسنة الله ماضية في كشف ستره عن الظالمين ولو بعد تتابع الدُّهور، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعَام: ٥٥]، واليهود أضل الملل، لاح في ديانتها العوج والخلل، أبان الله في كتابه أحوالهم تصريحاً وإسهاباً، إيماءً واقتضاباً، في مئات الآيات، ووصفهم وصفاً مطابقاً عادلاً، حذر منهم ووضعهم في مقدمة صفوف أعداء المؤمنين ﴿لَتَجِدَنَّ

﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة: ٨٢]، واجهوا الإسلام بالعداء والإباء، واحتضنوا النِّفاق والمنافقين، وحرضوا المشركين وتآمروا معهم ضدّ المسلمين، اكتوى المسلمون بنار عداوتهم وكيدهم، تطاولت ألسنة السُّفهاء منهم على خالقهم، جمع لهم نبيهم بين الأمر والنهي، والبشارة والنذارة، فقابلوه أقبح مقابلة، كانوا معه في أفسح الأمكنة وأرحبها وأطيبها، هواء سقفهم الذي يظلهم من الشمس الغمام، وطعامهم السَّلوى ـ طير من ألذ الطيور ـ وشرابهم من العسل، وتفجر لهم من الحجر اثنتا عشرة عيناً من الماء فكفروا النِّعم، وسألوه الاستبدال بما هو دون ذلك، طلبوا الثوم والبصل والعدس والقِثّاء، وهذا من قلة عقلهم وقصور فهمهم، يعتقدون الصَّواب والحقّ مع من يشدد ويضيق عليهم، عرضت عليهم التَّوراة فلم يقبلوها، فأمر الله جبريل فقلع جبلاً من أصله على قدرهم ثم رفعه فوق رؤوسهم، وقيل لهم إن لم تقبلوها ألقيناه عليكم فقبلوها كرهاً، قال تعالى: ﴿۞وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

ولما بُعثَ نبينا محمَّد ﷺ، حرّضوا النَّاس عليه وقاتلوه، آذوه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ وتآمروا على قتله والغدر به مراراً، همُّوا بإلقاء حجر كبير عليه في بني النضير من أعلى بيت كان يجلس تحته فأتاه خبر السَّماء، وأهدوا إليه شاة مشوية فيها سُمٌّ فَلاَكَ منها ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ شيئاً وظل متأثراً بما لاَكَهُ منها حتى توفي، ومكروا به ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ فسحروه حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله فشفاه الله وخلَّصه، يشعلون الفتن ويوقدون الحروب ويبثون الضغائن ويثيرون الأحقاد والعداوات ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، يكتمون الحقَّ ويحرفون الكلم عن مواضعه، أصحاب تلبيس ومكر وتدليس ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ

تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٧١]، ينقضون العهود وينكثون المواثيق، قتلوا عدداً من الأنبياء الذين لا تنال الهداية إلا على أيديهم بالذبح تارة والنشر بالمناشير أخرى، أراقوا دم يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونشروا بالمنشار زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهمُّوا بقتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحاولوا قتل محمد ﷺ مرات، ولا خير فيمن قتل نبياً ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ [البَقَرَة: ٨٧].

اليهود لِنِعَم الله وآلائه جاحدون، إن أحسنت إليهم أساؤوا، وإن أكرمتهم تمرَّدوا، نجّاهم الله من الغرق مع موسى فلم يشكروا الله بل سألوا موسى إباءً واستكباراً أن يجعل لهم إلهاً غير الله، يعبدون الله على ما يهوون، ولأنبيائه لا يوقرون، قالوا لنبيِّهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البَقَرَة: ٥٥]. قوم حسّاد إن رأوا نعمة بازغة على غيرهم سعوا لنزعها وفي زعمهم أنهم أحق بها، يقول النَّبي ﷺ: «**إنَّ اليهودَ قومٌ حسدٌ**» (رواه ابن خزيمة).

دمّروا الشُّعوب والأفراد بالرِّبا، يستمتعون بأكل الحرام، يستنزفون ثروات المسلمين بتدمير اقتصادهم وإدخال المحرمات في تعاملهم، يفتكون بالمسلمين لإفلاسهم، ويسعون إلى فقرهم، يتعالون على الآخرين بالكبر تارة وبالازدراء أخرى، يتعاظمون على المسلمين عند ضعفهم ويذلون عند قوتهم، في أنفسهم أنهم شعب الله المختار وغيرهم خدم لهم إنما خلقوا لقضاء حاجاتهم، ألسنتهم لا تتنزه عن الكذب والفحش والبذاء، قالوا عن العظيم سبحانه: يده مغلولة، وقالوا عن الغني تعالى: إنه فقير ونحن أغنياء، ورموا عيسى وأمه بالعظائم، وقالوا عن المصطفى ﷺ: إنه ساحر وكذاب، تتابعت عليهم اللعنات، وتوالت عليهم العقوبات.

افتتنوا بالمرأة ونشروا التحلل والسفور، يقول النَّبي ﷺ: «**أول فتنة بني إسرائيل في النِّساء**» (رواه مسلم)، دعوا إلى الإباحية والفساد مع التستر

تحت شعارات خداعة كالحرية والمساواة والإنسانية والإخاء، يفتكون بالشَّباب المسلم ويُغْرُونه بالمرأة والرَّذائل، فُتنوا بالمرأة ويعملون جاهدين لفتنة غيرهم بها، ضاعفوا جهودهم لإخراج جيل من المسلمين خواء لا عقيدة له ولا مباديء ولا أخلاق له ولا مروءات، يلوثون عقول النَّاشئة بتهييج الغرائز والملذات، تارة بالمرئيات وأخرى بالفضائيات، يحسدون المرأة المسلمة على سترها وحيائها، يدعونها إلى السُّفور والتحلل من قيمها، ويزينون لها مشابهة نسائهم في ملبسها ومعاملتها ليحرفوها عن فطرتها، يزينون للشباب والمرأة الشَّهوات لينسلخ الجميع عن دينه وقيمه فيبقى أسيراً للشَّهوات والملذَّات، قال الله عنهم: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، يهدفون لهدم الأسرة المسلمة وتفكيك الروابط والأسس الدينية والاجتماعية لتصبح أمة لا خطام لها ولا لجام، ينشرون فيها الرذائل والفواحش، ويدمرون الفضائل والمحاسن ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ﴾ [آل عِمرَان: ١١٢]، جبناء عند اللقاء قالوا لنبيِّهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المَائدة: ٢٤]، يفرون من الموت ويخشون من القتال ﴿لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ﴾ [الحَشر: ١٤].

يحبّون الحياة ويفتدون لبقائها، ذهبوا في كفرهم شيئاً لا يحصون ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ﴾ [الحَشر: ١٤]، اختلافهم بينهم شديد ونزاعهم تليد، الألفة والمحبة بينهم مفقودة إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ﴾ [المَائدة: ٦٤]، طمَّ بغيهم وعمَّ فسادهم، لا تحصى فضائحهم، ولا تعد قبائحهم، هم أكثر أتباع الدجال، أَمرنا الله بالاستعاذة من طريقهم في كل يوم سبع عشرة مرة فرضاً.

أفبعد هذا أهم شعب الله المختار؟! أم هم أبناء الله وأحباؤه؟!

وبعد: أيها المسلمون:

فهذه نعوت في كيد الشَّيطان وتلاعبه بتلك الأمة المغضوب عليها يعرف بها المسلم الحنيف قدر نعمة الله عليه وما منَّ به عليه من نعمة الهداية.

وما اتَّصف به آباء اليهود بالأمس يسير على ركابه الأحفاد اليوم، ظلمٌ في الأراضي المقدسة، إجلاءٌ من المساكن، تشريدٌ من الدّور، هدمٌ للمنازل، قتلٌ للأطفال، اعتداءٌ على الأبرياء، استيلاءٌ على الممتلكات، نقضٌ للعهود، غدرٌ في المواعيد، استخفافٌ بالمسلمين وهتكٌ لمقدساتهم.

وإنَّ أمة موصوفة بالجبن والخور وخوف الملاقاة وفزع الاقتتال حقيق بنصر المسلمين عليهم ولكن لما ضعف المسلمون أصبحت لهم قوة ودولة تعيش على دماء المسلمين، وواجب على المسلمين مؤازرة إخوانهم في الأراضي المباركة، وتوحيد الصفِّ، ونبذ النزاع مع الإلحاح في الدُّعاء لهم، ومنذ ميلاد مأساة هذه المحنة من أكثر من نصف قرن ـ ولهذه البلاد مواقف تحمد عليها في التاريخ لعتق رقِّ الأقصى ـ لينعم المسلمون بالصَّلاة فيه كما ينعمون بالصَّلاة في الحرمين.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

النَّصر على الأعداء لن يتحقق إلا براية يستظل فيها المقاتلون براية التوحيد، ولن يكون إلا بالأخذ بالأسباب، والرجوع إلى الله، وتقوية الصِّلة به سبحانه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٧، ٨]، وبهذا تقوى الأمة وتُرهب عدوها، وإذا انغمست الأمة في عصيانها وغفلتها وبعدها عن خالقها فالمسجد الأقصى عنها يقصى، فعلينا إصلاح أنفسنا من الداخل بالتسلح بسلاح العقيدة قولاً وعملاً وواقعاً، وأن نحذر دسائس اليهود في تدمير المسلمين.

وواجبٌ علينا الحفاظ على شبابنا وصونهم من المغريات والمحرمات، والاهتمام بنسائنا وشغلهن بما ينفعهن في دينهن وعدم تعريضهن للفتن، ومنعهن من التبرج والسُّفور والاختلاط، وتحصينُ الجميع بالعلوم الشَّرعية، وتكثيف ذلك في دور التعليم، مع حسن الرعاية وكمال الأمانة في القيام بهم، وعلينا السعي إلى إصلاح الأسرة المسلمة، وأن لا نهزمها من داخل أروقتها بما تتلقاه مما يعرضه أعداؤها عليها،

وفي مراحل التَّاريخ ـ لايخلوا منه عقد ـ إلا ولليهود في الإفساد يد.

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ وخذوا بأسباب نصركم، وأصلحوا شبابكم ونساءكم، وأصلحوا بيوتكم، وابتعدوا عن مشابهة أعدائكم، واعتزُّوا بدينكم تنصروا على عدوِّكم، واحذروا مكرهم وغدرهم فإنهم لا يألون جهداً في إضعاف المسلمين وإفساد دينهم وعقيدتهم ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يُوسُف: ٢١].

وصلُّوا وسلِّموا على البشير النَّذير والسِّراج المنير فقد أمركم الله بالصَّلاة والسَّلام عليه. . .

بائـــع ديـنـــه

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فالتَّقوى طريق المفلحين، والإعراض عنها سبيل البائسين.

أيها المسلمون:

الهداية منحة من الكريم ينعم بها على من يشاء من عباده، وقد أَمر جلَّ وعلا بالحفاظ عليها مما يدنِّس صفوها أو يمحو نورها، ومن النَّاس من أرخص دينه بعدم رضاه بما كتب له أو لغيره جزعاً على المقدور، فباع دينه للسَّحرة والمشعوذين بسؤالهم المغيبات أو طلب السِّحر منهم لتحقيق أطماع موهومة، ولقد اكتوى بنار السحرة الأفراد والمجتمعات، والسِّحر جامع لمهلكات في الدِّين من الاستغاثة بالجنِّ والشَّياطين وخوف القلب من غير الله ونبذ التَّوكُّل على الله وإفساد معايش النَّاس ومصالحهم، وهو من معاول هدم المجتمع ومما يفرّق الأسر، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اجتنبوا السَّبع الموبقات قالوا: وما هُنَّ يارسول الله؟ قال: الشِّرك بالله، والسِّحر، وقتل النَّفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الرِّبا،**

وأكل مال اليتيم، والتَّولِّي يوم الزَّحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (متفق عليه)، والشَّيطان يؤزّ السَّاحر أزّاً ليعمل السِّحر أذيَّة لعباد الله، قال سبحانه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]، وليس كلُّ سحر يؤثر في المسحور، فكم من ساحرٍ عقد سحراً ولم يؤثر في المسحور؟! قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]، والضّر والنَّفع كله بيد الله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام «**واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**» (رواه الترمذي).

أيها المسلمون:

السَّاحر أخبث النَّاس نفساً، وأفسدهم طبعاً، وأظلمهم قلباً، قريب من الشَّيطان عابد له، مُدْبر عن الخير ناقم على المجتمع، متصف بأحقر الصفات، فيكذب على من يأتيه بالأخبار المزيفة، قال النَّبي ﷺ: «**فيلقيها على لسان السَّاحر أو الكاهن، فيكذب معها مائة كذبة**» (متفق عليه)، ولا يتم له السِّحر إلا بعد الكفر بالله العظيم، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ومن سحر فقد أشرك**» (رواه النسائي)، قال في فتح المجيد: «هذا نص في أن الساحر مشرك إذ لا يتأتى السِّحر بدون الشرك».

السَّاحر يحب المال حباً جماً، ويخدع السُّذَّجَ لذلك، ولما طلب فرعون من السَّحرة أن يواجهوا موسى عليه السلام بالسِّحر طلبوا منه مالاً، قال سبحانه إخباراً عنهم: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣، ١١٤]، السَّاحر يمكر بالآخرين فيدعوهم إلى الشرك فقد يأمر من يأتيه بالذبح لغير الله، وقد يأمره بتعليق تميمة زاعماً النفع منها ودفع الضّر بها، والنَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام يقول: «**من تعلَّق تميمة فقد أشرك**» (رواه أحمد)، ويوهم

من أتى إليه بأنه يعرف ما به من الأمراض والأسقام ليتعلق قلبه به، ويخادع من أتاه بإحاطة طلاسمه بالآيات القرآنية.

السَّاحر ضرره محض على المجتمع وأفعاله ظلمات متراكبة، أوقع أفراداً من المجتمع في الشرك، وأحل به الخطوب، شتت بيوتاً سعيدة وفرّق بين زوجين متآلفين فذاق بسببه الأبناء الأبرياء مرارة الحياة وتعرضوا بفرقة والديهم لأسباب الانحراف، جلب للناس الهموم والكروب، فكم من إنسان معافى تسبب السَّاحر في مرضه؟! وكم من فقير تحمل ديوناً طلباً لعافية تسبب السَّاحر في سلبها؟ وكم أكل السَّاحر من الأموال سحتاً بما يزعمه من الدَّواء أو علم الغيب؟! وكم من إنسانٍ أخرجه السَّاحر من الدِّين لتصديقه خبراً من الغيب لا يعلمه إلا الله؟! قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فسأله عن شيءٍ فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمَّد**» (رواه أحمد)، ولتفاقم خطر السَّحرة على المسلمين جاء حكمهم بقطع أعناقهم لتسلم المجتمعات من شرورهم، كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمّاله: «أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة»، وجزاؤه في الآخرة دخول النَّار، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]، ومع ضرر السَّاحر المتحقق على المجتمع والدِّين ترى نفوساً تفسد دينها بإتيان السَّاحر مرةً بعد أخرى.

أيها المسلمون:

مَنْ طرق باب ساحرٍ ليعمل له سحراً فقد باع دينه بدنياه، واستعاض عن نور الإيمان بظلام القلب، وإنَّ الرَّاضي بالفعل المستحِب له كالفاعل له، جاء في نواقض الإسلام العشرة: «فمن فعله ـ أي: السِّحر ـ أو رضي به فقد كفر قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]».

الذَّاهب للسَّحرة أغضب الخالق، وظَلَم المخلوق، وبلغ من الحسد

غايته بعمل السِّحر لغيره إزالة لنعمة تفضل الله بها على غيره، ووبال من سعى لسحر غيره مردود عليه، قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فَاطِر: ٤٣]، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم، قال محمَّد بن كعب القرظي: «ثلاثٌ مَنْ فعلهن لم ينج حتى تنزل به: مَن مكر، أو بغى، أو نكث، وتصديقها في كتاب الله».

فلا تكن ـ يا طالب السِّحر ـ من الهاوين مع السَّحرة بالخروج من دينك، وتذكر أن الدُّنيا قصيرة وأنك تُوسَّد في قبر مظلم، فأعلن توبتك، واغسل حسد قلبك بالإحسان إلى غيرك عوضاً عن سحرهم، واحلل عقد من سحرت قبل أن تدور عليك الدوائر من الرب العظيم.

أيها المسلمون:

المسحور مظلوم وقد يعوضه الله عن النعمة التي حسد عليها بنعمة أعظم منها. والله يبتلي من يحب من عباده رفعة له وتكفيراً لسيئاته، قال النَّبي ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يصب منه**» (رواه البخاري). فلا تحزن ـ أيها المسحور ـ على ما أصابك فالله يبتلي عبده المؤمن ليقربه إليه، ولا تسخط بسبب ما حلّ بك، ولا تجزع مما كتبه الله عليك فقد يكون ذلك سبب سعادتك، قال سبحانه: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ [البَقَرَة: ٢١٦]، ودعوة المظلوم مستجابة، قال المصطفى ﷺ: «**ثلاث دعواتٍ مستجابات لا شكَّ فيهنَّ: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**» (رواه الترمذي)، وإذا صبرت واتقيت الله كانت لك العاقبة، قال سبحانه: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعرَاف: ١٢٨]، وأكثر من دعوة ذي النون ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ٨٧]، يقول النَّبي ﷺ: «**لم يدع بها مسلم قط إلا استجاب له**» (رواه الترمذي). قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وقد جُرب أن من قالها سبع مرات كشف الله ضره».

واجعل: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها» معطراً بها لسانك، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من قالها آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها**» (رواه أبو داود). ولازم الاستغفار تفرّج عنك الهموم ويزاح ما ألمّ بك من الكروب.

إنك إن تُقدِم ـ أيها المسحور ـ على ربِّك وأنت مظلوم خير من أن تأتي إليه وأنت ظالم، فالجأ إلى الله وأكثر من الاستغفار والدُّعاء ففرج الله قريب، وإيَّاك واليأس من روح الله، ومن أسرف على نفسه بارتياد الكهنة، وسوَّلت له نفسه الإضرار بالآخرين فليقلع عما يفسد دينه وليقبل على الله بتوبة نصوح من الجرم العظيم وليسلك سبيل التائبين وليحذر طريق المفسدين من السحرة والمشعوذين.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها المسلمون:

من كان قريباً من الله ابتعدت عنه الآفات والشُّرور، والإكثار من ذكر الله من أسباب منع وقوع السِّحر، والمحافظة على صلاة الفجر جماعة حصن من الشرور، وسورة البقرة سورة مباركة، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة** ـ يعني: السحرة ـ» (رواه مسلم). وقراءة المعوذتين في أول النهار وآخره تدفع السحر، قال عليه الصَّلاة والسَّلام لعقبة بن عامر رضي الله عنه: «**تعوذ بهما فما تعوَّذ متعوِّذٌ بمثلهما**» (رواه أبوداود). قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السُّورتين أعظم من حاجته إلى النّفَس والطَّعام والشَّراب واللِّباس». ومن قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاه من الشرور، وأكل سبع تمرات من تمر العجوة تمنع السِّحر. قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من تصبَّح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سمٌّ ولا سحر**» (متفق عليه).

واحذروا المعاصي وأنواع المعازف فإنها من أعظم ما يجلب الشياطين إلى البيوت. وإذا خلا جوف العبد من ذكر الله أو قلّت عبادته

لمولاه تسلطت عليه الشياطين وسهل وصول الضرر إليه، فأكثروا من قراءة القرآن، واشغلوا أوقاتكم بذكر الله وعبادته، فالقرآن شفاء من الأدواء، وذكر الله يحرس العبد مما يؤذيه، ويشرح الصدر، ويُطَمْئِن القلب ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨].

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...

نصيحـة حاكــم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستقيموا على أمره سراً وجهراً.

أيها المسلمون:

بعث الله نبيّنا محمَّداً ﷺ لتقصد قلوب الأفراد والجماعة الرَّبّ وحده، وشعائر الإسلام تعلو بأمر الله بالألفة والاجتماع أفراد المجتمع على هذا الدين. بعثه الله والنَّاس أشد تقاطعاً وتعادياً، وأكثر اختلافاً وتمادياً، فأتى بالأمر بربط أواصر المودة بين أفراده؛ ليفردوا خالقهم بالعبادة، وجعل ذلك من أوليات قواعد الدِّين. يقول عمرو بن عبسة رضي الله عنه: «**دخلت على النَّبي ﷺ بمكَّة فقلت له: من أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله، فقلت: وبأيِّ شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحّد الله لا يشرك به شيء**» (رواه مسلم)، ودعا إلى لحمة الائتلاف بين المسلمين، وحرم ضدها، فقال: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله**

إخواناً» (متفق عليه)، ولِتبقى القلوب سليمة نهى عن الهجر فوق ثلاث ليالٍ فقال: «**لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**» (متفق عليه)، ولما هاجر عليه الصَّلاة والسَّلام إلى المدينة كان من أول أعماله تأليف القلوب على طاعة الله، فألّف بين الأوس والخزرج بعد حروب طاحنة بينهم، فزالت إحنهم، وانقطعت عداواتهم، وصاروا بالإسلام إخواناً متحابين، وبألفة الدين أعواناً متناصرين ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فكانت تلك نعمة سابغة امتنَّ بها على الأنصار، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً، فهداكم الله بي؟، وكنتم متفرِّقين، فألَّفكم الله بي؟**» (متفق عليه).

والمجتمع المتآلف ينتصر على أعدائه، ويؤدي الإسلام رسالته، وتقوم الشَّريعة كما أمر الله، ومِنَ القواعد التي استقرَّت عليها الملَّة، وجاءت بها الفطرة: ضرورة إقامة والٍ على الرعية يسوس الدُّنيا بالدِّين، ليصدر التدبير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على رأي متبوع، فلا دين ينتشر إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، قال الماوَرْدي ـ رحمه الله ـ: «ولولا الولاة لكانوا فوضى مهملين». الوالي يحفظ الله به الدِّين ليكون محروساً من الخلل، وينفذ الأحكام بين الأخصام، فلا يتعدّى ظالم، ولا يضعف مظلوم، ويذب عن الحرمات ليأمن النَّاس في المعاش، يحفظ الحقوق ويقيم الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك، يرفع راية الدَّعوة إلى الله، ويظهر الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ليذوق النَّاس حلاوة الدين، به تقام شعائر الملة وأعلام الإسلام.

وعبء أمانة الولاية ثقيل يعين على حمله النَّصيحة الصَّادقة المخلصة من الرَّعية للرَّاعي، يقول النَّبي ﷺ: «**الدِّين النصيحة**، قلنا: لمن يا رسول الله؟ **قال: لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم**» (رواه مسلم)، قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «النَّصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على

الحقِّ، وطاعتهم فيه وتذكيرهم به، وتنبيههم برفقٍ ولطفٍ، والدُّعاء لهم بالتوفيق، وحث الأغيار على ذلك»، ونصح الولاة من الأعمال الفاضلة التي يحبّها الله ويرتضيها، يقول النَّبي ﷺ: «**إنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تَفرَّقوا، وأن تناصحوا من ولَّاه الله أمركم**» (رواه أحمد).

والنصيحة تكون سراً بين النَّاصح الصَّادق، وبين الوالي لتكون أخلص عند الله، وعلى هذا سار السَّلف الصَّالح. سُئل ابن عباس رضي الله عنهما: عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر فقال: «إن كنت فاعلاً ففيما بينك وبينه»، قال الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ: «الواجب مناصحتهم على الوجه الشَّرعي برفقٍ، واتباع ما كان عليه السَّلف الصَّالح من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع النَّاس، أما مخالفة ذلك، واعتقاد أنه من إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد، فإنه غلط فاحش، وجهل ظاهر، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد العظام في الدين والدنيا، كما يعرف ذلك من نوَّر الله قلبه، وعرف طريقة السلف الصالح وأئمة الدين».

وتوقير الولاة مع النُّصح لهم من الفقه في الدِّين، يقول سهل بن عبد الله ـ رحمه الله ـ: «لا يزال النَّاس بخير ما عظموا السُّلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين فسدت دنياهم وأخراهم»، ونصحهم يكون بتلطف في العبارة وحكمة ولين، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «مخاطبة الرّؤساء بالقول اللِّين أمر مطلوب شرعاً وعقلاً وعرفاً، ولذلك تجد النَّاس كالمفطورين عليه، وهكذا كان النَّبي ﷺ يخاطب رؤساء العشائر والقبائل».

ومن تمام النصح دعوة صادقة خفية لولي الأمر ابتغاء ثواب الله، وكان الإمام أحمد والفضيل بن عياض يقولان: «لو كانت لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسُّلطان»، وواجب على الرَّعية مع النَّصيحة السَّمع

والطَّاعة له في غير معصية الله، يقول النَّبي ﷺ: «**تسمع وتطيع للأمير، وإن ضُرِب ظهرك، وأُخذ مالك فاسمع وأطع**» (رواه مسلم)، قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «السَّمعُ والطَّاعة لولاة أمور المسلمين فيها سعادة الدُّنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربِّهم».

وبالألفة بين الرَّاعي والرَّعية يظهر الدِّين، ويهنأ العيش، ويطاع الرَّبّ بالعمل بنصوص الشَّريعة في ذلك، فترتفع منزلة العبد عند الله في الآخرة وتحقق له الرفعة.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النِّساء: ٥٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

الموفق من اغتنم عمره بالطاعة، وعَمَر حياته بأعمالٍ من البر متنوعة، ممتثلاً أمر الله ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقد كان لخادم الحرمين ـ رحمه الله ـ يد طولى في ذلك، وتمتد الرفعة بعد العجز عن العمل ـ بانقطاع الحياة ـ بالدُّعاء والصَّدقة الجارية قال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» (رواه مسلم)، ومِنْ حقِّه على الرَّعيَّة: الدُّعاء له بالمغفرة والرضوان، جزاء ما قدم لرعيته وللمسلمين من أعمال صالحة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

نعمـــة الأمـــن

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فمن اتَّقى ربه رشد، ومن أعرض عن مولاه عاش في كمد.

أيها المسلمون:

فرض الله الفرائض وحرَّم المحرمات وأوجب الحقوق رعاية لمصالح العباد، وجعل الشَّريعة غذَّاء لحفظ حياتهم ودواء لدفع أدوائهم، وجاءت دعوة الرُّسل بإخلاص العبادة لله وحده بخضوع وخشوع وطمأنينة، ومقتت ما يصرف القلوب عن خالقها، فكانت أوَّل تضرُّعات الخليل عليه السلام لربه أن يبسط الأمن على مهوى أفئدة المسلمين فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فاستجاب الله دعاءه فقال سبحانه: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٧]، وفضّل الله البيت الحرام بما أحلَّ فيه من الأمن والاستقرار ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البَقَرَة: ١٢٥]، وامتنَّ الله على ثمود قوم صالح نحتهم بيوتهم من غير خوفٍ ولا فزعٍ فقال

عنهم: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]، وأنعم الله على سبأ الآلاء المتتابعة والأماكن الآمنة ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سَبَأ: ١٨]، ويوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يخاطب والديه وأهله ممتناً بنعمة الله عليهم بدخولهم بلداً آمناً مستقراً تطمئنّ فيه نفوسهم ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٩]، وحبس الله عن مكَّة الفيل وجعل كيد أصحاب الفيل في تضليل، لتبقى كعبة الله صرحاً آمناً عبر التَّاريخ، و العرب قبل الإسلام كانت تعيش حالةً مِنْ التَّمزُّق والفوضى والضَّياع، تدور بينهم حروب طاحنة ومعارك ضارية، وعلت مكانة قريش من بينهم لاحتضانها بلداً آمناً ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العَنكبوت: ٦٧]، بل وأقسم الله بذلك البلد المستقر الآمن فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣].

ووعد الله نبيَّه محمَّداً ﷺ وأصحابه بأداء النُّسك على صفةٍ تتشوق لها أنفسهم وهي الأمن ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفَتْح: ٢٧]، ومما اختصَّت به مدينة المصطفى ﷺ أمنها حين تفزع القرى من المسيح الدَّجَّال، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يدخل المدينة رعب المسيح الدَّجَّال، لها يومئذٍ سبعة أبواب على كلِّ بابٍ ملكان**» (رواه البخاري).

ومن نعيم أهل الجَنَّة في الجَنَّة أَمْنُ المكان فلا خوف ولا فزع ولا تحوُّل ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سَبَأ: ٣٧]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدّخان: ٥١].

أيها المسلمون:

لقد جمعت شريعة الإسلام المحاسن كلّها، فصانت الدين وحفظت العقول وطهرت الأموال وصانت الأعراض وأمنت النُّفوس، أمرت المسلم

بإلقاء كلمة السَّلام والأمان والرَّحمة والاطمئنان على أخيه المسلم إشارةً منها لنشر الأمن بين النَّاس، وأوجبت حفظ النَّفس حتى في مظنة أمنها في أحبِّ البقاع إلى الله، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها أو قال: فليقبض بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء**» (متفق عليه).

وحذَّرت من إظهار أسباب الرَّوع بين صفوف المسلمين، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسِّلاح فإنه لا يدري لعلَّ الشَّيطان ينزع في يده فيقع في حفرةٍ من النَّار**» (متفق عليه)، وحرمت على المسلم الإشارة على أخيه المسلم بالسِّلاح ولو مازحاً، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من أشار إلى أخيه بحديدة فإنَّ الملائكة تلعنه حتى يدعها وإن كان أخاه لأبيه وأمه**» (رواه مسلم). قال النووي ـ رحمه الله ـ: «هذا مبالغة في إيضاح عموم النَّهي في كل أحد سواء من يُتَّهم فيه ومن لا يُتَّهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم لا، لأنَّ ترويع المسلم حرام بكلِّ حال».

ودعا الإسلام إلى كلِّ عملٍ يبعث على الأمن والاطمئنان بين صفوف أفراده، وأمر بإخفاء أسباب الفزع في المجتمع فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يحلُّ لمسلم أن يُروِّع مسلماً**» (رواه أحمد)، ولما دخل النَّبي ﷺ مكة عام الفتح منح أهل مكة أعظم ما تتوق إليه نفوسهم فأعطى الأمان لهم وقال: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السِّلاح فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن**» (رواه مسلم). وما شُرعت الحدود العادلة الحازمة في الإسلام على تنوعها إلا لتحقيق الأمن في المجتمعات.

أيها المسلمون:

بالأمن والإيمان تتوحد النُّفوس، وتزدهر الحياة، وتغدق الأرزاق، ويتعارف النَّاس، وتتلقى العلوم من منابعها الصافية، ويزداد الحبل الوثيق بين الأمة وعلمائها، وتتوثق الروابط بين أفراد المجتمع، وتتوحَّد الكلمة

ويأنس الجميع، ويتبادل النَّاس المنافع وتقام الشَّعائر بطمأنينة، وتقام حدود الله في أرض الله على عباد الله.

وإذا اختلَّ الأمن تبدَّل الحال، ولم يهنأ أحد براحة بال، فيلحق النَّاس الفزع في عباداتهم فتهجر المساجد ويمنع المسلم من إظهار شعائر دينه، قال سبحانه: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]، وتُعاق سبل الدَّعوة، وينضب وصول الخير إلى الآخرين، وينقطع تحصيل العلم وملازمة العلماء، ولا توصل الأرحام، ويئن المرضى فلا دواء ولا طبيب، وتختلّ المعايش، وتُهجر الديار، وتفارق الأوطان، وتتفرق الأسر، وتنقض عهود ومواثيق، وتبور التجارة ويتعسر طلب الرزق، وتتبدَّل طباع الخلق فيظهر الكذب ويُلقى الشح ويبادر إلى تصديق الخبر المخوف وتكذيب خبر الأمن. باختلال الأمن تقتل نفوس بريئة، وتُرمَّل نساء، ويُيتَّمُ أطفال.

إذا سُلبت نعمة الأمن فشى الجهل، وشاع الظُّلم، وسلبت الممتلكات، وإذا حلَّ الخوف أُذِيقَ المجتمع لباس الفقر والجوع، قال سبحانه: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٦]، قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «سمّى الله الجوع والخوف لباساً؛ لأنَّه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللِّباس».

الخوف يجلب الغمَّ وهو قرين الحزن، قال سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، يقول معاوية رضي الله عنه: «إياكم والفتنة فلا تهمّوا بها، فإنها تفسد المعيشة، وتُكدِّر النعمة، وتورث الاستئصال». ولو قلّبت البصر في الآفاق لوجدت الأمن ضرورة في كل شأن، ولن تصل إلى غاية كمال أمر إلا بالأمن، بل لن تجد مجتمعاً ناهضاً وحبال الخوف تهز كيانه.

أيها المسلمون:

نعمة الأمن من نعم الله حقاً حقيق بأن تُذكر ويُذكَّر بها، وأن يحافظ عليها قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأنفال: ٢٦]، ونعمة الأمن تقابل بالذكر والشكر ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٩].

وأمر الله قريشاً بشكر نعمة الأمن والرَّخاء بالإكثار من طاعته قال جلَّ وعــلا ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قُرَيش: ٣ ـ ٤]، والمعاصي والأمن لا يجتمعان.

فالذُّنوب مزيلة للنِّعم وبها تحلّ النِّقم، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفَال: ٥٣]، وما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة، والطَّاعة هي حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين، وبالخوف من الله ومراقبته يتحقق الأمن والأمان، فهابيل امتنع من قتل قابيل خوفاً من الله ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المَائدة: ٢٨].

والعناية بالعلم والتمسك بالكتاب والسنة شريعة وقيماً وأصولاً اجتماعية عصمة من الفتن، والتعليم الشرعي أساس في رسوخ الأمن والاطمئنان، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وإذا ظهر العلم في بلد أو محلة قلّ الشَّر في أهلها، وإذا خفي العلم هناك ظهر الشَّر والفساد»، والعلماء الرَّبانيون هم ورثة الأنبياء، وفي ملازمتهم وزياراتهم وسؤالهم والاستنارة بآراءهم سداد في الرَّأي وتوفيق للصَّواب ودرء للمفاسد.

وببركة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر تُمنع الشُّرور والآفات عن المجتمعات. وحفظ العبد نفسه من شهوات النَّفس وشبهات القلب أصل في صيانة المجتمع من المخاوف والمكاره، وتأويل نصوص الشَّريعة على

غير وجهها سبب انحراف الأفهام، ومنها ينطلق الأعداء لتلويث عقول الناشئة، ويزداد أثره حين يضعف التَّحصُّن بعلوم الدِّين.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النُّور: ٥٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

الأمن مطلب في الحياة لا يستغني عنه الخلق لقضاء مصالحهم الدِّينية والدُّنيوية، وما من عبدٍ إلا ويبحث لنفسه عن أسباب أمنها، ويتوقَّى جهد طاقته أسباب الخوف التي قد تحدق به في طريق حياته، ومهما أوتي الإنسان من سلامة بدن ووفرة رزق فإنه لا يشعر بقيمتها إلا بالأمن والاستقرار، والخوف من الله ومراقبته مفتاح الأمن للمسلم في دنياه وفي أخراه، وعقد القلب على أركان الإيمان وتوفير مقتضياته في عمل الجوارح هو المصدر الحقيقي لحصول الأمن في الدنيا والآخرة، والأمن التَّام هو في طاعة الله ولزوم ذكره ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨].

وإذا استقام الفرد في نفسه، وألزم من تحت يده من زوجة وأبناء على السَّير وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حقَّق الأمن لنفسه وانتظم الأمن في المجتمع.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه. . .

خطبــة الاستسقــاء

الحمد لله ذي العرش المجيد، لا إله إلا الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا إله إلا الله الواسع الحميد، لا إله إلا الله المؤمل لكشف كلِّ كربٍ شديد، لا إله إلا الله المرجو للإحسان والإفضال والمزيد، لا إله إلا الله لا راحم ولا واسع سواه للعبيد، استوى في علمه القريب والبعيد، لا ملجأ منه إلا إليه ولا مفرَّ ولا محيد، سبحان فارج الكربات، ومجيب الدَّعوات، ومغيث اللَّهفات، سبحان العالم بالظَّواهر والنيات، القائم بأرزاق جميع المخلوقات، سبحان الله مكون الأكوان، ومدبر الأزمان، ذي العظمة والجود والعزِّ والسُّلطان، يحبُّ الأوّاب ويتوب على من تاب.

أحمده تعالى حمد من تاب إليه وأناب، وأشكره على نعم تفوق العدّ والحساب، وأرجو عفوه وأسأله المزيد من فضله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، في السَّماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم، وتبارك الذي له ملك السَّموات والأرض وما بينهما وعنده علم السَّاعة وإليه ترجعون.

وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، أخشى النَّاس لربِّه، وأتقاهم لمولاه، وأكثرهم له استغفاراً، وأصدقهم شكراً.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك وخليلك محمَّدٍ وعلى آله وأصحابه هداة الأنام.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ وتوبوا إليه واستغفروه وأخلصوا له العبادة ووحِّدوه.

أيها المسلمون:

المعاصي والذُّنوب ضررها على الأبدان والقلوب وتسري إلى البلدان والدُّور، وأثرها ظاهر على الشُّعوب والأفراد، فهي جالبة للشرور والمصائب، بها تزول النِّعم وتحصل النِّقم، وبسببها تتوالى المحن وتتداعى الفتن، بالمعصية تتعسَّر الأمور، فما يطرق العاصي باباً إلا وجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه تحقيقه، والخطيئة تحرم الرِّزق من السَّماء، والذُّنوب متى استحكمت قتلت وبالهلاك آذنت، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا ظهر الزِّنا والرِّبا في قرية أذن الله بهلاكها»، وتتابع الآثام سبب زوال الأمن والاطمئنان، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النّحل: ١١٢]، وعقوبة الذنب تحل ولو بعد حين، قال سبحانه ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النِّساء: ١٢٣]، وهوان الذَّنب على العاصي من علامة الهلاك، وكلَّما صغر الذَّنب في عين العبد عظم عند الله، ومُحقرات الذنوب إذا اجتمعن على الرَّجل أهلكنه، والذُّنوب عظيمٌ خطرها إذا جاهر بها العصاة، يقول ابن حجر ـ رحمه الله ـ: : «يكون إهلاك الجميع عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصي» ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨، ٩].

أيها المسلمون:

إذا كثر الاستغفار في الأمة وصدر عن قلوب مطمئنة دفع الله عنها ضروباً من النِّقم، وصرف عنها صنوفاً من البلايا والمحن ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، بالاستغفار تنزل الرَّحمات ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النَّمل: ٤٦]، بالاستغفار يبلغ كلّ ذي منزل منزلته وينال كلّ ذي فضل فضله ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ﴾ [هُود: ٣].

فاتَّقوا الله واتَّعظوا واعتبروا، وبادروا بالتَّوبة وتعجلوا الإنابة، فقد جعل الله لكم في التَّوبة ملاذاً مكيناً وملجأً حصيناً، ومن تدنس بشيء من قذر المعاصي وأوحال الذنوب فليبادر بغسله بماء التَّوبة وطهور الاستغفار، وخير العاصين من يسارع إلى التَّوبة ويبادر إلى العودة، تحثّه الخطى وتسرع به الدُّموع ويحوطه العمل الصَّالح.

أيها المسلمون:

ها أنتم قد حضرتم تشكون إلى ربِّكم جدب دياركم، وتبسطون إليه حاجاتكم، فادعوه سبحانه والتجؤوا إليه وتقربوا بصالح العمل لديه، فما ضاق أمر إلا وجعل الله منه مخرجاً، ولا عظم خطب إلا وجعل الله معه فرجاً، وفي كتاب الله قوم مذمومون لم يستكينوا عند البلاء ولم يرجعوا إلى ربِّهم في البأساء، قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

فتوجَّهوا إلى الله تائبين، وردُّوا المظالم إلى أهلها، فإن الله قد حرَّم الظُّلم على نفسه وجعله بينكم محرماً فلا تظالموا، ولا تمزقوا بالغيبة أعراضكم، وتسامحوا وتراحموا، ولا تشاحنوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تتقاطعوا، وأكثروا من الصَّدقة تُرزقوا، ومروا بالمعروف تُخصبوا،

وانهوا عن المنكر تُنصروا، ولا تشتغلوا بأموالكم في معصية الله، واسعوا إلى التماس المغفرة من الله، واصرفوا همّكم بالتَّقرب إليه بطاعته، وإيَّاكم ومُحقرات الذُّنوب فإن لها من الله طالباً، وما نزل بلاء إلا بذنب ولا كشف إلا بتوبة، فاستكينوا إلى ربِّكم، وارفعوا أَكُفَّ الضَّراعة إليه واستغفروه، فقد قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ [هُود: ٥٢].

اللهم إنَّا نستغفرك إنَّك كنت غفاراً فأرسل السَّماء علينا مدراراً.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت. . .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة